لنومه فعلى هذا يكون المهد بمعنى الممهود كالخلق بمعنى المخلوق - والثانى وَّالْجِبَالَ أَوْتَادًا - لحصول السكون فى الارض لئلا تميد بكم - اى ثبتنا الارض بالجبال كما ثبت البيت بالاوتاد - ومنه قول الافوه -

البيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

فالرابع خَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا - اى ذكرًا وانثى لينظم بهما امر المعاش والتخريف اه - والتناسل فالمتولد من الزوجين هو الانسان المتولدى واما قوله تعالى خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ فعنى به الانسان المتولدى ويراد به آدم عليه الصلاة والسلام وقد تتولد بعض الحيوانات على طريق التولد كالعقارب فانها تتولد من لباب الخز والحيات من العسل والشعر والخنافس من البعر على ما قيل - والرابع وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا قال صاحب اللسان السَّبْتُ الراحة وسَبَتَ يَسْبُتُ اى استراح وسكن والسبات نوم خفى كالغشية - وقال ثعلب السبات ابتداء النوم فى الراس حتى يبلغ الى القلب والحاصل ان اصل السبات هو الراحة - وفى حديث عمرو بن مسعود قال لمعاوية ما تسأل عن شيخ نومه سبات وليله هبات اى نوم المريض والشيخ المسن - وقال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح فى بدنه اى جعلنا نومكم راحة لكم - والخامس وَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاسًا - اى يستركم بظلامه كما يستركم اللباس - وقال الاصمعى اللبس اختلاط الظلام و قيل الملبس الليل بعينه فلا شك فى ان هذا اللفظ من مناسبات الليل والمعنى ان الليل يستر افعالكم واحوالكم كما ان الانسان اذا اراد قتل انسان او فرارًا من عدو بحيث لا يطلع عليه انسان فهو يفعل مثل هذه الافعال فى الليل لانه يسترها بسدول ظلامه - واليه اشار المتنبى -

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ　　تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وَالسادس وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا - والمَعاش مصدر ميمي ومعنًا معيشة وقع ظرفًا - قال الجوهري كل واحدٍ من معاش ومعيشةٍ يصلح أن يكون مصدرًا وان يكون اسمًا مثل مَعاب ومعيبٍ قال المؤرّج ويُقال في لغة الازواشة ومنه قول حاجر ابن الجعد -

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَا يُتِمُّ غَدَاهَا　　وَلَا كَدُّ الْمَعُوشَةِ وَالـ

اى من النساء اللّاتى ينقضن عهودهن والعلاج العمل بالجوارح - والمعنى انّ الله تعالى جَعَلَ النهار مُضيئًا ليشتغل الانسانُ فيه فى حوائجه ويسعى فى مكاسبه - والسابع وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا - قال صاحب الكشاف جمع شديدةٍ يعنى محكمةً قويةَ الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان - انتهى والمراد بالسبع الشداد السموات لانها اجرامٌ محكمةٌ قويةٌ ومنه قول الشاعر

فَلَمَّا جِئْتُهُ أَعْلَى مَحَلِّي　　وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشِّدَادِ

والمعنى ان الله سبحانه وتعالى خلق السموات محكمةً قويةً لانتظام نظام العالم بها وبالكواكب التى تسير فى بروجها الا ترى ان سير الشمس يوجد فوائد عظيمة للعالم السفلى كالفصول مثلاً فانها تحدث بحصول الشمس فى بروج مخصوصة وبيانه ان الشمس اذا دخلت فى برج الحمل يُبتدأ الرّبيعُ الذى يحيى به الكون وينضّر به وجهه ويستمرّ هذه البهجة والنضارة فى العالم الى ان ينتهى سيرها الى اخر درجة برج الجوزاء ثم تدخل على التعاقب فى السرطان والاسد والسنبلة وهذه تسمّى فصل الصّيف ففى هذه البروج تشتد حرارتها حتى تنضج بها الحبوب التى تحصد زمن الصيف ثم تريد الشمس ان تنزل فى البروج الجنوبية فتجتاز على التوالى

الميزان والعقرب والقوس وهذه تسمى فصل الخريف ثم تحلّ في الجدي والدلو والحوت على التتابع فيدخل الشتاء بثلجه وبرده وتسمى هذه فصل الشتاء وتكون ح في غاية البعد واشعته مائلة - فعرفت من ذلك ان الصور الاثنى عشرة لمنطقة البروج تنقسم على الفصول الاربعة فللربيع الحمل والثور والجوزاء - وللصيف السرطان والاسد والسنبلة وللخريف الميزان والعقرب والقوس وللشتاء الجدي والدلو والحوت فللشمس في هذا السير والانتقال من برج الى برج ومن درجة الى درجة افعال مخصوصة وآثار معيّنة تظهر وقت اجتيازها من كل درجة وبرج وهذا التقدير العزيز العليم الذي اراد به منافع الانسان وفوائد الحيوان لكن الانسان مع كونه عاقلا وشاعرا لا يتوجه الى هذه النعم العزيزة ولا يؤدي شكرها بل يبقى منهمكا في مرغوباته من الماكل والمشارب والمناكح ولا يتفكر انه لم يخلقه الله لهذه بل خلقه لطاعته وعبادته كما قال جل عظمته وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ - والثامن وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا - الوهج والوهجان حرارة الشمس والنار - قال الامام الرازي كلام اهل اللغة مضطرب في تفسير الوهاج فمنهم من قال الوهج يجمع النور والحرارة - وروى الكلبي عن ابن عباس ان الوهاج مبالغة في النور فقط يقال للجوهر اذا تلألأ توهج وهذا يدل على ان الوهاج يفيد الكمال في النور - وفي كتاب الخليل الوهج حرّ النار والشمس وهذا يقتضي ان الوهاج هو البالغ في الحرّ - وقال ابو حيان هو المتوقد المتلألي - وعلى الجملة ان المراد بالسراج الوهاج هو الشمس وانما عبرها الله بالسراج لانه لم يكن قبل ايجادها

الاظلمة ويناسبها السراج - والتاسع وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ - قال الحسن وابن جبير وزيد بن اسلم وقتادة هي السموات وقال ابن عباس وابو العالية والربيع والضحاك السحاب القاطرة ماخوذ من العصر - وهو قول المازني وفي رواية عن ابن عباس هي الرياح لانها تعصر السحاب وهو قول ابي حنيفة - وقال ابو اسحق المعصرات السحائب لانها تعصر الماء - وقال البعيث في المعصرات فجعلها سحائب ذوات المطر -

وَذِي أُشُرٍ كَالْأُقْحُوَانِ تَشُوقُهُ ... ذِهَابُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الدَّوَالِحُ

والدوالح من نعت السحاب لا من نعت الرياح وهي التي اثقلها الماء فهي تدلح اي تمشي مشي المثقل والذهاب الامطار - مَاءً ثَجَّاجًا - الثج الصب الكثير - وخص بعضهم بالماء - وثجيج الماء صوت انصبابه ومنه قول ابي ذويب -

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... حَنَاتِمُ سُحْمٌ مَاؤُهُنَّ ثَجِيجُ

وروي - غَمَائِمُ سُودٌ مَاؤُهُنَّ ثَجِيجُ - قال ابن دريد هذا متاجاء في لفظ فاعل والموضع مفعول لان السحاب يثج الماء فهو مثجوج - وقال بعض اهل اللغة ثججت الماء اثجه ثجا اذا اسالته وثج الماء نفسه يثج ثجوجا اذا انصب فاذا كان كذلك فأن يكون ثجاج في معنى ثاج احسن من ان تكلف وضع الفاعل موضع المفعول وان كان ذلك كثيرا ويجوز أثججته بمعنى ثججته ودم ثجاج منصب مصبوب قال الشاعر

حَتَّى رَأَيْتُ الْعَلَقَ الثَّجَّاجَا ... قَدْ أَخْضَلَ النُّحُورَ وَالْأَوْدَاجَا

فيكون معنى ماء ثجاجا ماء منصبا كثير الصب - لِنُخْرِجَ بِهِ - اى بالماء حَبًّا - والمراد به النجم لانه ينبت الحبوب كالحنطة والشعير والارز وغيرها

وَنَبَاتًا - قال الليث كل ما انبت الله في الارض فهو نبتٌ والنبات فعله ويجرى مجرى اسمه قال الفراء ان النبات اسم يقوم مقام المصدر وهو ما يعتلف به الدواب والانعام كالتبن والحشيش كما في قوله تعالى كُلُوا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ - اى كلوا الحبوب وارعوا انعامكم ودوابكم النبات

وَجَنّٰتٍ - وهي البساتين والحدائق والمراد بالبستان ما يجتمع فيه اشجار الثمار والازهار - ولما كان في مناظر البستان والحديقة تنزه وانشراح للناظرين ذكرها الله تعالى في النعم - اَلْفَافًا - ذكر الامام الرازي قد ذكر صاحب الكشاف انه لا واحد لها كالاوزاع وهي الجماعات المتفرقة والاخياف وهي الجماعة المختلطة وكثير من اللغويين اثبتوا لها واحدًا ثم اختلفوا فيه فقال الاخفش والكسائي واحدها لِفّ بالكسر وزاد الكسائي لُفّ بالضم وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفّاء وجمعها لُفّ والفافٌ انتهى ثم الالفاف الاشجار التي يلتف بعضها ببعض نشد الحسن بن الطوسي -

جَنَّةٌ لِفٌّ وَعَيْشٌ مُغْدِقٌ وَنَدَامَى كُلُّهُمْ بِيضٌ زُهُرٌ

وقال ابو اسحق وهو جمع لفيف كنصير وانصار وقال الزجاج جنّاتًا الفافًا اى بساتين ملتفة - اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتًا - هذا شروع في جواب لما يتساءلون في وقوع البعث والنشر والمراد بيوم الفصل يوم القيامة اى ان يوم الفصل يوم فصل الله عزوجل فيه بين الخلائق وكان مقدرًا في علمه فلا يكون قبله ولا بعده - يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوْرِ - اى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان لان فيه تفخيمًا وتهويلًا بليغًا لذلك اليوم والصور هو القرن والنافخ هو اسرافيل عليه السلام ولمن اذنه الرحمن لنفخه - روى عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيان جواب السائل

لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثُمَّ نُفِخَ فِيْهِ اُخْرٰى - واعلم ان هذا ليس مستبعدا او ذلك لان النفخ علة لتحرك الهواء واشتداده ولا شك في ان شدته سيلانه موجبة لخراب العالم كما يشهد على ذلك قصة قوم عاد فهلكوا جميعا في ثمانية ايام وكان ذلك بشدة الرياح العواصف وطوفانها ولا ينكر المنجمون هذا القول بل اطبقوا على ان حلول الكواكب واجتماعها في برج من البروج الهوائية علة لطوفان الرياح وثورانها - وقد ذكر علماء الهيئة والنجوم ان انطباق دائرة المعدل على دائرة فلك البروج يدل على خراب العالم السفلي وفساده وتغيره للفصول اعني الربيع والصيف والخريف والشتاء فلا يبقى الحرث والنسل والمراد بهذا الانطباق انطباق لا يقبل الانتقال من نقطة الانطباق فهذا الانطباق مفسد ومغير لما في العالم السفلي من المواليد الثلاثة بل لطبائع العناصر وليس هذا مثل انطباق هاتين الدائرتين في اول جزء من برج الحمل في كل سنة كما بين في موضعه لان هذا الانطباق يزول سريعا ولا يغير ترتيب الفصول ونظامها على وتيرة واحدة كما يشاهد مرارا قال الدهريون ان فاعل هذا الانطباق هو الطبيعة الدهرية فلا يقع التخلل في افعالها ابدا والفلاسفة ذهبوا الى ان الله تعالى فاعل موجب فلا يفسد النظام الموجود بالنظر الى ايجابه - اقول في جوابه ان الفاعل الكون

اما ان يكون طبيعةً او من له ارادةٌ و الثانى اما ان يكون مريدًا موجبًا
او مريدًا مختارًا - لا سبيل الى الاول و الثانى فتعيّن الثالث - اما بطلان
الاوّل فلانّ ذلك الفاعل لو كان طبيعة فلا يخلو امّا انْ تكون بسيطةً
او مركبةً فان كانت بسيطةً لا يجوز ان يصدر منها الا فعلٌ واحدٌ - كالنار
مثلا فانها لا يصدر منها الا فعل واحدٌ - وهو الحرارة وكذا حال كل
فاعل بسيط - فلا يجوز انْ يصدُر منها هذا النظام الموجودُ لوجود غاية الكثرة
وان كانت مركبةً كانت محتاجة الى الاجزاء التى حصلت بها نفسها
و الى فاعل يؤلِّف هذه الاجزاء فوجب ان يكون الطبيعة ممكنةً وكل
ممكن يحتاج فى وجوده الى علة فهذه العلة ان كانت طبيعةً اخرى مثلها
فننقل الكلام اليها مثل الكلام فى الاولى فهذه السلسلةُ اما انْ تكون
متوقفةً او لا تكون متوقفة فعلى الاوّل يلزم الدَّورُ وعلى الثانى يلزمُ
التسلسلُ وكل واحد منهما باطل - وَمَعَ ذلك ان الطبيعة ليس لها شعورٌ
و ارادةٌ كما بُيّنَ فى موضعه وعلى هذا لا يصدُرُ منها العالم الذى فيه
نظامٌ بليغٌ ونسقٌ بديع وترتيبٌ انيق وتاليفٌ عجيبٌ لانّه يدل على انّ
فاعله قادرٌ متقِنٌ وعالم حكيمٌ لا يفعل فعلًا الا وفيه حكمةٌ فابداعُ
هذا النظام الغريب على هذا النمط العجيب اوضح دليل على انّ خالقه بديع
الحكمة - و امّا بطلانُ الثانى فلانّ الفاعل اذا كان موجبًا بحيث لا يقدرُ
على تركه وَجَبَ ان يكون مضطرًا على اصدار الفعل - و الاضطرار دليلٌ
على كونه محتاجًا الى ذلك الفعل و الاحتياج دليل الامكان و الممكن
يحتاج فى وجوده الى مرجح فعلى هذا يلزم الدور و التسلسل فبطل القسم
الثانى فاذا بطل هذا القسمان تعيّن القسم الثالث وهو المطلوب وتفصيل

هذا البحث فی کتابنا المسمّٰی بتحریر العقائد - فَتَأتُوْنَ - ای بعد
قیامهم من القبور - أفْوَاجًا - ای جماعة جماعة - وَ فُتِحَتِ السَّمَآءُ
قرئی بالتخفیف و التشدید - ای شُقّقت یوم القیامة - فَکَانَتْ اَبْوَابًا
فصارت ذات ابواب و المراد بالابواب شقوقها الحادثة بنفخ الصور -
وَ سُیِّرَتِ الْجِبَالُ - عن اماکنها علی وجه الارض - و قیل معنی سیّرت
نُسِفَتْ و قیل معناه انّ الجبال سیرت فی الهواء - فَکَانَتْ سَرَابًا - ای
هباءً منثورًا - ومثله قال الله تعالی - وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَّهِیَ
تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ - و ادغم تاء فکانت سرابا ابو عمرو هشام بخلفه
و حمزة و الکسائی و خلف و المعنی ان تکون الجبال بعد الاندکاک
مثل الهباء المنبثّ فی عین الناظر - و السراب ینشاء من حرارت الاشعة
الشمسیة الواقعة فی طبقات الاهویة التی تلامس الارض المرملة الحارّ
و المعزاء المتوقّدة فهذه الاودیة لما تسخنت بحرارة الشمس و ظهرت فیها
من بعد مخصوص مثل البحیرة المتموجّة فیراها العطشان انها ماءٌ متموّج
فاذا دنا منها الناظر العاطش یریٰ وادیًا وسیعًا لیس فیه قطرة من الماء
قال ابو الهیثم سُمّی سرابًا لانّه یسرب سروبًا ای یجری جریًا یقال سرب
الماء یسرب سروبًا و قال ابن السکیت السراب الذی یجری علی وجه
الارض کانّه الماء و هو یکون فی نصف النهار و قیل السراب الآل
و قیل السراب الذی یکون لاطئًا بالارض لاصقًا بها کانّه ماءٌ جارٍ و الآل
یکون بالضحی یرفع الشخوص و یریٰ کالماء بین السماء و الارض - و قال
الاصمعی الآل و السراب واحد - و خالفه غیره فقال الآل من الضحی الی
زوال الشمس و السراب بعد الزوال الی العصر و قالوا بانّ الآل یرفع کل شیء

بیان السراب

شیٔ حتی تصیر شخصا و ان السراب بمعنی القیام یخفض کل شیٔ حتی یصیر لازقا بالارض۔ و قال یونس العرب تقول الآل من غدوۃ الی ارتفاع الضحی والسراب تظہر فی نصف النہار۔ ذکر فی تاج العروس و السراب معرفۃ ای علم لا یدخلہ الالف و اللام۔ و ہذا القول ضعیف۔ لان اللام تدخل فیہ کثیر کما قال لبید بن ربیعۃ۔

فبتلک اذ رقص اللوامع بالضحی وَاجتاب اردیۃ السراب اکامہا

قال ابو السعود فی تفسیرہ و قد ادمج فی ہذا التشبیہ تشبیہ حال الجبال بحال السحاب فی تخلخل الاجزاء وانتفاشہا کما ینطق بہ قولہ تعالیٰ وتکون الجبال کالعہن المنفوش۔ یبدل اللہ تعالی الارض و یغیر ہیئاتہا انتہی و کل ذلک عند النفخۃ الثانیۃ فاذا اندکت الجبال وانصدعت عند النفخۃ الاولی اسطوت سطوح الارض فلا یبقی فیہا غور ولا نجد حتی یری وجہہا کالقاع الصفصف علی طریق السطح الحقیقی۔ کما قال اللہ سبحانہ و یسألونک عن الجبال فقل ینسفہا ربی نسفا فیذرہا قاعا صفصفا لا تری فیہا عوجا و لا امتا۔ و اعلم ان ہذہ الآیات تدل علی البعث و النشر و المراد بہ وجود عالم آخر بعد النفخۃ الثانیۃ و ہو ممکن و ذلک لان اللہ تعالیٰ عالم فی کل حال و قادر فی کل زمان فکما کان باعتبار علمہ و قدرتہ أبدع العالم ابتداءً کذلک ہو قادر علی ابداع عالم آخر بعد خرابہ و فسادہ۔ و ذلک لان اللہ تعالی عالم بالجزئیات و قادر علی اعادۃ الاجزاء الاصلیۃ لان اللہ تعالی یعلمہا علی وجہ الاحاطۃ فیجوز ان یعید اللہ تعالی اشیاء کما کانت فی الابتداء و القول باعادۃ المعدوم باطل و ذلک لان العالم بعد کونہ خرابا بالنفخۃ الاولی لا یفنی

الا باعتبار الصورة الشخصية فيكون العالم باعتبار اجناسه وانواعه موجودًا كما كان قبل خرابه - وقد بينا ذلك مرارًا - ولما كان الله تعالى يعلم الجزئيات بتمامها يجب أن يعلم عوارض كل شئ كان متشخصًا بها فيمكن له أن يعيد كل شئ متشخصا بعوارضه التي كانت معه في الابتداء فالقول بحشر الاجساد ثابت صحيح لا شك فيه هذا باعتبار الوجوه العقلية اما باعتبار النصوص الشرعية فالاعتقاد به فرض وانكاره كفر. إِنَّ جَهَنَّمَ - قرأه الجمهور بكسر الهمزة وقرأ ابو عمرو والمنقري وابن يعمر بفتح الهمزة هي اسم النار - كَانَتْ مِرْصَادًا - المرصاد اسم مكان يرصد فيه الناس كالمضمار الذي يضمر فيه الخيل هذا قول ابن الانباري وهذا المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه الملائكة وقال الاعمش المرصاد ثلاثة جسور - خلف الصراط جسر عليه الامانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب كما قال الله تعالى - انَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ اي انه لبالطريق الذي ممرك عليه - والمعنى ان جهنم كانت مرصادًا يرصد فيه الملائكة لِّلطَّاغِينَ - اما نعت لمرصادًا اي كائنا للطاغين - مَآبًا معناه مرجعًا واما حال من مآبًا - قدمت عليه لكونه نكرة - ومآبًا بدل من مرصادٍ فجهنم مرصاد للمومن والكافر - كما قال الله تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا - لاكنها مآب للكافر خاصة فتعذب به واما اهل الجنة فيرصد هم الملائكة ويستقبلونهم - عند هذا المرصاد فيمرون منها بالفرح والسرور لَّابِثِينَ فِيهَا - حال من الضمير المستكن في الطاغين واختلف القراء في لابثين فقرأ حمزة وروح بلا الف حملًا على الصفة المشبهة وهي تدل على الثبوت فذلك اللبث يصير لهم

سجيّةً فيكون مثل الحذِرِ والفَرِح ووافقهما الاعمش والباقون بالالف اسم فاعل من لبِثَ بمعنى اَقَامَ وقال الفراء هما بمعنى واحدٍ اَحْقَابًا اى مقيمين فى جهنم اَحْقَابًا والاَحْقاب جمع حقب وهو ثمانون سنةً والحقبُ السنون واحد حقبة وهى زمانٌ من الدهر لا وقت له وقال ثعلب هو اقل من ثمانين سنةً لانّ موسى عليه السلام لم يبق ان يسايرَ ثمانين سنةً ولا اكثر وذلك لانّ بقيّةَ عمرِه فى ذلك الوقت لا تحتمل ذلك والجمع من كل ذلك احقابٌ واحقبٌ قال ابن هرمة ـ

وَقَدْ وَرِثَ الْعَبَّاسُ قَبْلَ مُحَمَّدٍ نَبِيَّيْنِ حَلَّا بَطْنَ مَكَّةَ اَحْقُبَا

وقال الفرّاء الحُقب ثمانون سنةً والسّنة ثلثمائةٍ وستّون يومًا اليوم منها الف سنةٍ من عدد الدّنيا وليس هذا ممّا يدل على غايةٍ وانّما يدلّ على الغاية التوقيتُ مثل خمسةُ احقابٍ او عشرة احقاب والمعنى انّهم يلبثون فيها احقابًا كلّما مضى حقبٌ تبعه حقبٌ اٰخر وقال الزجاج انهم يلبثون احقابًا اى هم خالدون فى النار ـ وقال الزمخشرى وفيه وجهٌ اٰخر وهو اَنْ يكونَ من حقب عامنا اذا قلّ مطره وخيره وحقب اذا اخطأ الرزق فهو حقبٌ وجمعه احقابٌ فينتصب حالًا عنهم يعنى لبثين فيها حقبين ـ لَا يَذُوقُوْنَ فِيهَا ـ اى فى جهنم بَرْدًا وَّلَا شَرَابًا ـ البرد معناه هو المشهور اى لا يذوقون فى جهنّم مع شدّة الحرّ ما يكون لهم به راحة من ريح باردًا او ظل يمنع من لفحات نار، ولا يجدون شرابًا يسكن حرقتهم ويزيل عطشهم ـ وعلى هذا المعنى يكون قوله تعالى ـ لَا يَذُوْقُوْنَ فِيهَا بَرْدًا الخ بيانًا لقوله تعالى لٰبثين فيها اَحْقَابًا على ما ذكره صاحب الكشاف ـ وقال الاخفش والكسائى

والفرّاء وقطرب البرد هو النوم لانّه يبرّد صاحبه فانّ العطشان ينام فيبرد بالنوم وانشد ابو عبيدة والمبرد قول الشاعر۔

بَرَدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَيَّ فَصَدَّنِيْ عَنْهَا وَعَنْ رَشَفَاتِهَا الْبَرْدُ

اى النوم وكذا قال معاذ النحوى ومن كلامهم منع البرد البرد اى النوم ومنه قول الشاعر۔

فَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ وَاِنْ شِئْتُ لَمْ اَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا

اى ماءً ولا نومًا۔ وفى كتاب اللغات فى القرآن البرد هو النوم بلغة هذيل۔ والذوق على هذا يكون مجازًا۔ وقيل البرد الشراب البارد المستلذ ومنه قول حسان بن ثابت۔

يَسْقُوْنَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيْصَ عَلَيْهِمُ بَرَدًا يُصَفَّقُ بِالرَّحِيْقِ السَّلْسَلِ

وعلى هذا التقدير يكون لايذوقون فى جهنم ماءً باردًا ولا شرابًا يستريحون بهما ويزيلون حرّهم وعطشهم۔ فيكون الذوق معناه حقيقة۔ واليه ذهب اكثر المفسرين۔ وقال بعضهم اذا اريد بالبرد النوم يكون النوم والشراب غير متناسبين والصحيح ان يراد به الماء البارد لانّ النوم يبرّد العطشان ويزيل حرّه وحرقته وكذا الشراب يزيل حرّه وحرقته فهما متناسبان باعتبار المعنى كما فى شعر العرجى۔ وَاِنْ شِئْتُ لَمْ اَطْعَمْ نُقَاخًا وَلَا بَرْدًا۔ والنقاخ الماءُ البارِدُ۔ فبالنظر الى هذه المناسبة عطف العرجى البَرْدَ على النقاخ فلا يبعد ان يراد فى قوله تعالى بَرْدًا وَلَا شَرَابًا النوم والشراب اِلَّا حَمِيْمًا وَغَسَّاقًا۔ والمعنى لايذوقون فيها بردًا ولا شرابًا لكنّهم يذوقون حميمًا وغسّاقًا۔ الحميم الماءُ الحارّ الغسّاق هو ما يغسق ويسيل من جلود اهل النار وصديدهم من قيح

ونحوہ - و قرأہ ابو عمرو بالتخفیف وقرأہ الکسائی بالتشدید نقلہا یحییٰ
ابن وثاب وعامۃ اصحاب عبداللہ بن مسعودؓ - وکذا قرأ حفصؒ وحمزۃؒ
وروی عن ابن عباسؓ بالتشدید وفسرہ ابن مسعودؓ وابن عباسؓ
بالزمہریر - والباقون قرأوا بالتخفیف واختارہ ابو حاتم - روی
عن ابی سعید الخدریؓ عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال لو ان دلوا من غساق
یہراق فی الدنیا لانتن اہل الدنیا واختلف فی ان الغساق عربی ام لا
قال ابو معاذ کنت اسمع مشایخنا یقولون الغساق فارسی معرب
یقولون للشئ الذی یتقذرونہ وہو فی الاصل خاشاک - وہذا ضعیف
لان خاشاک عند اہل الفرس لیس معناہ شیئا قذرا وانہم یریدون
بخاشاک حشیشا وہو لیس بقذر لان القذر ہو النجس والحشیش لیس
بنجس - والاکثرون علی انہ عربی ومعناہ الشئ القذر والمنتن
قال الامام الرازی والمعنی انہم لا یذوقون فیہا بردا الا غساقا ولا
شرابا الا حمیما - وجمعہما اللہ تعالی لاجل انتظام الآیۃ کما فی
شعر امرئ القیس -

كَأَنَّ قلوبَ الطَّيرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

والمعنی کان قلوب الطیر رطبا العناب ویابسا الحشف البالی - ویحتمل
ان یکون الاستثناء بالحمیم والغساق راجعا الی البرد والشراب معا
جَزَآءً وِّفَاقًا - ای جوزوا جزاءً وفاقا لاعمالہم لانہ معصیۃ اکبر
من الکفر ولا عذاب اکبر من عذاب النار فطابق جزاؤہم بکفرہم
اِنَّهُمْ كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا - ای لا یخافون حسابا ولا یؤمنون بہ
ہذا تعلیل لکونہم مستحقین بالعذاب - وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا كِذَّابًا - قرأ

الجمهور کذابا بتشدید الذال قال الفراء هی لغة لبعض العرب الیمانیین فصیحة یقولون کذبت کذابا وخرقت القمیص خراقا کل فعلت فمصدره فعال مشدد فی لغتهم وقال لی اعرابی مرة علی المروة یستفتینی الحلق احب الیک ام القصار - وانشدنی بعض بنی کلیب

لقد طال ما ثبطتنی عن صحابتی وعن حوج قضاؤها من شفائیا

قال الفراء وخففهما سیدنا علی بن ابیطالب رضی الله عنه وکذا الکسائی کان یخفف فی قوله تعالی - لا یسمعون فیها لغوا ولا کذابا - وقری کذابا جمع کاذب فیکون المعنی ای کذبوا بآیاتنا کاذبین فانتصابه علی الحالیة ویجوز ان یکون الکذاب بمعنی الواحد البلیغ فی الکذب یقال رجل کذاب کقولک حسان وبخال فیجعل صفة لمصدر کذبوا ای تکذیبا کذابا مفرطا کذبه هذا ما ذکره صاحب الکشاف - وکل شیء احصینه کتابا - ای کل شیء من الاعمال احصیناه مکتوبا فی الصحائف او فی اللوح المحفوظ - وقرأ ابو السمال کل شیء بالرفع علی الابتداء فذوقوا فلن نزیدکم الا عذابا ای یقال لهم ذوقوا وفیه التفات من الغائب الی الخطاب المتبادر من کلمة فذوقوا یدل علی کمال الاذن والانزعاج وقال علیه الصلوة والسلام هذه الآیة اشد ما فی القرآن علی اهل النار قال صاحب الکشاف وناهیک بلن نزیدکم وبدلالته علی ان ترک الزیادة کالمحال الذی لا یدخل تحت الصحة انتهی - ومن الزیادة فی عذابهم انها کلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غیرها - وکلما خبت النار زادهم الله سعیرا - ان للمتقین مفازا - هذا شروع فی بیان حال المؤمنین وما اعد لهم الله من نعیم الجنة - والمفاز فوزا

وَاظْفَرْ بالبغية او موضع فوز وقيل نجاة بمما فيه او اهلاك او موضع نجاة هذا ما ذكره صاحب الكشاف - قال صاحب اللسان ولا يجوز ان يكون المفاز ههنا اسم الموضع لان الحدائق والاعناب ليست موضع فوز ولعله اراد بالحدائق الاشجار الملتفة وبهذا الاعتبار عطف عليه قوله اعنابا وان اريد بالحدائق البساتين التي يحيط بها الجدار لا يستحسن عطف الاعناب عليه - حَدَآئِقَ وَاَعْنَابًا - انتصابهما على انهما بدل اشتمال من مفازا او البدل الكل من كل على طريق المبالغة

سأل نافع بن الازرق عن ابن عباسؓ عن قوله حدائق واعنابا قال الحدائق البساتين قال وهل تعرف العرب ذلك قال اما سمعت قول الشاعر وهو يقول -

بِلَادٌ سَقَاهَا اللّٰهُ اَمَّا سُهُوْلُهَا   فَقُضُبٌ وَدُرٌّ مُغْدِقٌ وَحَدَائِقُ

وَكَوَاعِبَ اَتْرَابًا - الكواعب جمع كاعب اللاتي فلكت ثديهنّ وقال ابن عباسؓ اى نواهد يقال كعب الثدى يكعب اذا نهد - يقول العرب جارية كعاب وكاعب وانشد ثعلب -

نَجِيْبَةُ بَطَّالٍ لَدُنْ شَبَّ هَمُّهُ   لِعَابُ الْكِعَابِ وَالْمُدَامُ الْمُشَعْشَعُ

وَقَالَ آخَرُ

اِذَا اجْتَمَعَ الْجُوْعُ الْمُبَرِّحُ وَالْهَوٰى   نَسِيْتَ وِصَالَ الْاٰنِسَاتِ الْكَوَاعِبِ

والترب اللدة والسن يقال هذه ترب هذه اى لدتها - وجمعه اتراب قال ثعلب وَالْاَتْرَابُ ههنا الامثال وهو حسن اذ لبست ههنا ك ولادة

وَكَأْسًا دِهَاقًا - اى مترعة مملوءة - عن ابن عباسؓ اِنَّ نافع بن الازرق قال له اخبرني كاسا دهاقا - قال اما سمعت قول الشاعر -

أَتْرَابًا عَامِنٌ يَرْجُوْ قِيْ اِنَّا   فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا
اى دراكا - لَا يَسْمَعُوْنَ - حال من المتقين - فِيْهَا - اى فى الجنّة لَغْوًا
وَلَا كِذّٰابًا - و المراد باللغو الكلام الباطل و الكذاب هو ان يكذب
بعضهم بعضًا - و ظاهر انّ من شرب الخمور و ثمل فمن شانه ان ينطق
باللّغو و الكذب كما هو عادة الشاربين و خمر الجنّة ليست من جنس
خمور الدنيا فشاربوها لا يتكلمون بالباطل - و لا يتغيّر عقولهم -
جَزَآءً مِّنْ رَّبِّكَ - قال الزجّاج اى جزاهم جزاءً اى بمقتضى عدا عطآءً
بدل من قوله جزاءً - و المعنى الذى جازاهم جزاءً هو عطاء و تفضّلٌ
من ربّهم عز و جل لانه لا يجب عليه شئ - حِسَابًا - قال ابو عبيدة
اى كافيًا على طريق المجازفة الطرف - قال ابن قتيبة معناه كثيرًا قال
العرب احسبت فلانًا اى اكثرت له العطاء و منه قول الشاعر -
وَ نُقْفِي وَلِيْدَ الْحَيِّ اِنْ كَانَ جَائِعًا   وَنُحْسِبُهُ اِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ
قال الزجاج معناه ما يكفيهم قال الاخفش يقال احسبنى كذا اى كفانى و منه قول الشاعر
فَلَمَّا حَلَلْتُ بِهِ ضَمَّنِيْ   فَأَوْلٰى جَمِيْلًا وَ اَعْطٰى حِسَابًا
قال مجاهد حسابًا بمعنى القدر - و قرأ ابو هاشم حَسَّابًا بفتح الحاو تشديد
السين اى كفافًا - قال الاصمعى تقول العرب حَسَّبْتُ الرجل بالتشديد
اذا اكرمته قرأ ابن عباسؓ حَسَنًا من الحسن - رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ
قرأ عبد الله بن مسعودؓ و ابن ابى اسحق و الاعمش و ابن محيصن و ابن
عامر الشامى و عاصم ربِّ و الرحمنِ بالجرّ على انّه بدل من قوله ربّك
و الاعرج و ابو جعفر و شيبة و ابو عمرو و الحرميّان برفعهما و الكوفيون
ربِّ بالجر و الرحمنُ بالرفع و هى قراءة الحسن و ابن وثاب و الاعمش

والرفع على اضمار هو - وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِنْهُ - اى من رب
الرحمن - خِطَابًا - لتهويل ذلك اليوم وافزاعه مع انه تعالى ربهم
ورحمته واسعة - يَوْمَ يَقُوْمُ الرُّوْحُ - العامل فى يوم قوله لا يملكون
او لا يتكلمون - والروح اما ملك اعظم شانا او مرتبة او اكبر جثة
من الملائكة او هو جبريل عليه السلام او خلق اخر منهم لا يعلمه الا الله
تعالى - وَالْمَلٰئِكَةُ صَفًّا - لخوف الله جل شانه وتهويل ذلك اليوم
لَا يَتَكَلَّمُوْنَ - والمراد بهم الملائكة او الخلائق من الجن وقيل المراد
من المتكلمين العقلاء وهم الملائكة ومؤمنو الجن والانس - اِلَّا مَنْ اَذِنَ
لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا - يعنى لا يتكلم احد فى ذلك اليوم الا من يوجد
فيه شرطان الاول اذن الله تعالى والثانى هو قول الصواب قال الضحاك
ومجاهد صوابا اى حقا - وهذان الشرطان لا يوجدان الا فى من رضى
الله عنه فاجازه ان يشفع لمن يشاء من عباده عنه واليه اشار الله تعالى
فى قوله وَلَا يَشْفَعُوْنَ اِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى - اى ربه - ويدل هذه الاية
ان المؤمنين الصالحين ايضا يكونون ماذونين للشفاعة فى ذلك اليوم
المهول وذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ -
ذٰلِكَ - اى يوم البعث والنشر - الْيَوْمُ الْحَقُّ - بحيث لا شك فيه ولا
استحالة بوقوعه - فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ - بالعمل الصالح الذى مبدأه هو
التوفيق من الله تعالى - اِلٰى رَبِّهٖ مَاٰبًا - اى مرجعا من آب يؤوب اى
رجع والمعنى فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى رضاء ربه فعل ذلك بالايمان به
والعبادة فانهما يقربان العبد من مولاه - اِنَّا اَنْذَرْنٰكُمْ - يايها الكفار
او كفار مكة - عَذَابًا قَرِيْبًا - يعنى عذاب يوم الاخرة لان كل ما هو آت

فهو قريب وقيل يراد به قتل قريش يوم بدر والاول اولى - يوم
ينظر المرء - سواء كان مؤمنا او كافرا - ما قدمت يداه - اي ينظر المؤمن
اعماله الصالحة والكافر اعماله القبيحة فيكون الاول مثابا والثاني معذبا
وانما خص الايدي لان اكثر الاعمال انما تصدر بالايدي - قالت
المعتزلة وهذه الآية تدل على ان عمل الخير يوجب الثواب وعمل الشر
يوجب العقاب - قلنا لا يجب على الفاعل المختار شيء لكن عطاء الثواب
على محل الخير وعد منه تعالى فلا يخلف ما وعد - كما قال ان الله لا يخلف
الميعاد وذلك لان الوعد يثبت حق العبد على ذاته وابطال حقه بعد كونه
موعودا مذموم - واما عقاب الكافر فهو ايضا وعد في معنى الوعيد
فلا يجوز تركه - وقيل ينظر المرء جزاء ما قدمت يداه من الخير والشر
ويقول الكافر - وهو يعم كل كافر لان اللام للاستغراق وقيل هو
ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من الاشرار الذين يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقيل هو ابليس - يا ليتني كنت ترابا
اي يتمنى ان يكون ترابا فلم يخلق انسانا ولم يكلف فلم يبعث ولم يعذب
في هذا اليوم - او كنت ترابا كالبهائم كما روي في الحديث اما الجان
فالمؤمنون منهم مثابون والكافرون منهم معذبون - تم تفسير هذه
السورة فالحمد لله الذي خلق النور والنار والصلوة والسلام على نبي الذي
يشفع الناس في يوم ليس لهم اعوان فيه ولا انصار - وعلى آله الذين
هم سادة الاخيار وائمة الابرار

سورة النازعات وتسمى سورة الساهرة وهي خمس او ست واربعون آية وهي مكية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحیم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا - قال الاکثرون والمراد بالنازعات الملائکة التی تنزع نفوس بنی آدم من ابدانهم ویظهر بهذا ان نازع الارواح لیس واحدًا وهو ملك الموت کما هو المشهور بل هم اکثرون - والمراد بهذه الارواح ارواح الکفرة یعنی ان تلك الملائکة ینزعون ارواحهم بکمال الشدة وهو قول مجاهد وسعید بن جبیر وابن عباس رض وابن مسعود رض - وقال قتادة النازعات هی النجوم تنزع من افق الی افق - ای انها تغرب وتغیب وتطلع من افق آخر وهو قول ابی عبیدة والاخفش وابن کیسان - وقیل النازعات الغزاة الرماة والمراد بالغرق الاغراق - ای اغراقا فی النزع - وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا قال ابن مسعود رض انها الملائکة وکذا روی عن ابن عباس رض وقال سیدنا علی ابن ابی طالب رضی الله عنه هی الملائکة تنشط ارواح الکفار ما بین الاظفار والجلد حتی تخرجها - وقال الفراء هی الملائکة تنشط نفس المؤمن بقبضها وقال الزجاج هی الملائکة تنشط الارواح نشطا ای تنزعها نزعا کما تنزع الدلو من البئر - قال الاصمعی یقال بئر انشاط قریبة القعر وهی التی تخرج الدلو منها بجذبة واحدة - وقال ابو عبید هی النجوم تطلع ثم تغیب ای تنشط من برج الی برج کالثور الناشط من بلد الی بلد والیه ذهب الاخفش وقال ابو عبیدة وقتادة هی الوحوش حین تنشط من بلد الی بلد - وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا - ای الملائکة الذین تسبح فی الابدان لاخراج الارواح وقیل الملائکة الذین تسبح بین السماء والارض وقیل هم الذین تخرج ارواح المؤمنین لسهولة - وقال علی کرم الله وجهه ورضی الله عنه هی الملائکة

تسبح بارواح المؤمنین بین السماء والارض - وقال ابن الفرج سمعت
ابا الجهم الجعفری یقول والسابحات سبحا هی النجوم تسبح فی الفلک اے
تذهب فیها بسطا کما یسبح السابح فی الماء سبحا - وقال الازهری السابحات
السفن وقیل هی الخیل السابحة فی الغزو ومنه قول امرء القیس

مسح اذا ما السابحات علی الونا ... یثرن الغبار بالکدید المرکل -

فالسابقات سبقا - ای الملائکة الذین تسبق بالوحی الی الانبیاء
علیهم السلام - وقال الوروق هی الملائکة سبقت ادم علیه السلام بالخیر
والعمل الصالح وقال مقاتل هی الملائکة تسبق بارواح المؤمنین الی الجنة
وهو قول علی کرم الله وجهه ورضی الله عنه - فالمدبرات امرا قال
سیدنا علی رضی الله عنه هی التی تدبر امر العباد من السنة الی السنة - وروی
عنه یدبرون ذکر الرحمن وامره - وقال الماوردی فیه قولان احدهما قول
الجمهور وهو ان المدبرات الملائکة والثانی انها الکواکب وروی عن معاذ
ابن جبل وفی تدبیرها الامر وجهان الاول طلوعها وافولها - والثانی تدبر
ما قضاه الله فیها من الاحوال ومعنی تدبیر الملائکة للامر نزولها بالحلال
والحرام وتفصیلهما والمدبر حقیقة هو الله والاولی هو الذی روی
عن سیدنا علی رضی الله عنه اعنی هم الملائکة الذین یدبرون احوال
العالم کما امرهم الله فهم مامورون من الله بافعال مخصوصة فیها
اصلاح هذا العالم والیه اشار الله سبحانه واوحی فی کل سماء امرها
وایضا قال ویتنزل الامر بینهن - فالملائکة یحفظون امر ربهم ثم
ینفذونه فی خلقه کما یؤمرون بتنفیذها فالمبدأ الاول الذی هو

لسائر الحوادث المحدثة في هذا العالم وبهذا الامر قامت السموات والارض فالمأمورون كثيرون لا يعلمهم الا الله تعالى ويمكن ان يكون هؤلاء المامورون آمرين لنوع من الملائكة وهلم جرا حتى يتنزل امر الله تعالى الى هذا العالم - فسلسلة هذا التكليف ينتهى الى نوع الانسان فتوسط هذه الوسائط يتنزل امر الله تعالى الى خلقه - الا انه لا تاثير لهم في امر من هذه الامور واليه ذهب الشيخ الاكبر ابن العربي في الفتوحات حيث قال لما جعل الله تعالى زمام هذه الامور بايدى هؤلاء الجماعة من الملائكة المكرمين جعل في كل سماء ملائكة مسخرة تحت ايدى هؤلاء الولاة وجعلهم على طبقات فمنهم اهل العروج بالليل والنهار من الحق الينا ومنا الى الحق في كل صباح ومساء - ومنهم المستغفرون ومنهم الموكلون بايصال الشرائع - ومنهم الموكلون بنفخ الارواح ومنهم الموكلون بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار - كما ذكر الله تعالى قولهم وما منا الا له مقام معلوم - فما من حادث يحدثه الله تعالى في العالم الا وقد وكل باجرائه ملائكة - وهم لا يزالون تحت سلطان الارواح المتيمة وهم خواص الملائكة فالله تعالى ينفذ اوامره في الخلائق بهذه الملائكة فافهم - وما ذهب اليه الاشراقيون من ان لكل نوع من الخلائق ربا مدبرا لذلك النوع يؤول الى هذا المعنى - قيل ان الله تعالى وكل تدبير امر الدنيا الى اربعة من الملائكة اى جبريل عليه السلام وميكائيل عليه السلام وعزرائيل عليه السلام واسرافيل عليه السلام - فاما جبريل عليه السلام فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل عليه السلام فموكل بالقطر والنبات واما عزرائيل عليه السلام فموكل بقبض الارواح واما

اسرافیل علیه السلام فهو ینزل بالامر علیهم۔ و المعنی ان الله تعالی اقسم بهذه الاشیاء و جوابه محذوف و هو لتبعثن قال الفراء و حذف لمعرفة السامعین به و یدل علیه قوله تعالی - ائذا کنا عظاما نخرة
یَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ - یوم منصوب علی الظرفیة بالجواب المحذوف ای لتبعثن یوم ترجف الراجفة یقال رجف یرجف - اذا اضطرب قال ابن الاعرابی رجف البلد اذا تزلزل و مثله قال الله تعالی یَوْمَ تَرْجُفُ الْاَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَّهِيْلًا - قال الفراء هی النفخة الاولی بها یموت الخلائق و هو قول ابن عباسؓ - تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ - قال الفراء و هی النفخة الثانیة - و قال ابو اسحٰق الرادفة الارض و ترجف معناه تتحرک - ای الارض تتحرک حرکة شدیدة قال مجاهد هی زلزلة وقیل الراجفة الارض و الرادفة القیامة ای یوم تتحرک الارض تتبعها القیامة - قُلُوْبٌ يَّوْمَئِذٍ وَّاجِفَةٌ - قلوب موصوف و واجفة صفة فهو مبتدأ - او التقدیر قلوبهم و هو مبتدأ و واجفة خبر - و الوجف الاضطراب و هو قول المبرد و وجف القلب وجیفا خفق قال الازهری معناه شدة الاضطراب و منه قول العجاج -

ناج طواه الاین مما وجفا طی اللیالی زلفا فزلفا

اَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ - ای من الذل کقوله تعالی خاشعین من الذل و المراد بهم منکروا البعث - يَقُوْلُوْنَ ءَاِنَّا لَمَرْدُوْدُوْنَ فِی الْحَافِرَةِ حکایة لقول الذین ینکرون البعث و الاستفهام للانکار - ای یقولون ائنا المردودون فی الحافرة - قال العرب اتیت فلانا ثم رجعت علی حافرتی ای رجعت من حیث جئت و رجع علی حافرته ای الطریق الذی جاء منه

وتقول مسمعناه الخلقة الأولى وانشد ابن الاعرابي

أَحَافِرَةً عَلٰى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللّٰهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارٍ

اى أأرجع الى ما كنت عليه فى شبابى وأمرى الاوّل من الغزل والصبا بعد ما شبت وصلعت فيكون معنى الحافرة العودة فى الشئ حتى يردّ آخره على اوّله وفى الحديث ان هذا الامر لا يترك على حاله حتى يردّ على حافرته اى على اوّل تاسيسه۔ وقال الفرّاء معناه أئنّا لمردودون الى امرنا الاوّل اى الحياة۔ وقال ابن الاعرابى فى الحافرة اى فى الدنيا كما كنّا وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم فسمّاها الحافرة والمعنى يريد المحفورة كما قال ماءٍ دافق يريد مدفوق۔ وكذا قال مجاهد وقال زيد بن اسلم الحافرة النار۔ اختلف فى قراءة أئنا لمردودون وأئذا كنّا فقرأ بالاستفهام فى الاوّل والاخبار فى الثانى نافع وابن عامر والكسائى ويعقوب وقرأ ابو جعفر بالاخبار فى الاوّل والاستفهام فى الثانى والباقون بالاستفهام فيهما۔ وكل مستفهم على اصله فقالون وابو عمرو البصرى وأبو جعفر بالتسهيل والمد وورش وابن كثير ورويس بالتسهيل والقصر۔ والباقون بالتحقيق والقصر لكن اكثر الطرق عن هشام على المدّ۔ ثم زادهم المنكرون للبعث اصرارهم۔ فقالوا أئذا كنّا عظاما نّخرة۔ واختلف فى نخرة فابو بكر وحمزة والكسائى وخلف ورويس بالف بعد النون وافقهم الاعمش قال فى النشر هذا الذى عليه العمل عن الكسائى وبه ناخذ وروى كثير من المشارقة والمغاربة عن الدورى التخيير بين الوجهين وجرى عليه فى الطيبة وقال ابن

مجاھد فی السبعۃ عنہ کان لا یبالی کیف قرأھا بالف وبلا الف وروی عنہ جعفر بن محمد بغیر الف وان شئت بالف والباقون بغیر الف وھما بمعنی کحذر وحاذر۔ وا قرأ الجمھور وابو عبید وحاتم بغیر الف والناخرۃ والنخرۃ بمعنی البالیۃ المتفتتۃ۔ قال الفراء وقرئ ناخرۃ وھی اجود الوجھین لان الایات بالالف الا تری ان ناخرۃ مع الحافرۃ والساھرۃ اشبہ بمجئ التاویل وقال والناخرۃ والنخرۃ سواء فی المعنی کالطامع والطمع قال ابن بری وقال الھمدانی یوم القادسیۃ۔

أَقْدِمْ أَخَا نِهْمٍ عَلَى الْأَسَاوِرَةْ ۔۔۔ وَلَا تَهُولَنَّكَ رُؤُسٌ نَادِرَةْ
حَتَّى تَعُودَ بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَةْ ۔۔۔ مِنْ بَعْدِ مَا صِرْتَ عِظَامًا نَاخِرَةْ

وقال الاخفش ھما جمیعا لغتان ایھما قراءت فحسن۔ قالوا۔ ای الذین ینکرون البعث بطریق الاستھزاء۔ تلک۔ ای رجعتنا الی الحیاۃ التی لم نکن نعتقدھا۔ اذا کرۃ خاسرۃ۔ ای ذات خسران وخیبۃ لانکارنا البعث والنشر فلما بعثنا فاذا نحن خاسرون۔ فانما ھی زجرۃ واحدۃ۔ ای لا تستبعدوا البعث النشر واحیاء العظام البالیۃ۔ فانما ھی زجرۃ واحدۃ والمراد بالزجرۃ الصیحۃ وھی النفخۃ الثانیۃ التی ھی لبعث الاموات وانما سمیت زجرۃ لانہ یفھم منھا النھی عن التخلف منہ اوھی صیحۃ لا یتخلف عنھا القیام۔ فاذا ھم بالساھرۃ۔ والساھرۃ الارض وقیل ھی الفلاۃ قال ابو کبیر الھذلی۔

يَرْتَدْنَ سَاهِرَةً كَأَنَّ جَمِيمَهَا ۔۔۔ وَعَمِيمَهَا أَسْدَافُ لَيْلٍ مُظْلِمِ

الجموم والجمیم بمعنی کثیر۔ والاسداف جمع اللیل قیل ھی ارض اللہ یجددھا یوم القیامۃ وقیل ھی ارض لم یوطأ۔ وقال الفراء الساھرۃ وجہ الارض لان فیھا الحیوان

نومهم وسهرهم - وقال ابن عباس قال امية بن الصلت -

وَفِيهَا لَحْمُ سَاهِرَةٍ وَبَحْرٌ وَمَا فَاهُوا بِهِ أَبَدًا مُقِيمُ

وماقاهوا اي ما تكلموا واني رايت في كتب اللغات ان هذا الشعر هكذا

فَلَا لَغْوٌ وَلَا تَأْثِيمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ أَبَدًا مُقِيمُ

فالمصرع الاول في هذا البيت يناسب ثانيه - قال عكرمة هي وجه الارض كما يقال صيد بحر وصيد ساهرة - قال سهل بن الساعدي هي ارض بيضاء عفر اء كالخبز من النقي - قال وهب الساهرة جبل الى جنب بيت المقدس وقال قتادة هي جهنم - قال الامام الرازي ان الارض تسمى ساهرة لانها من شدة الخوف فيها يطير النوم عن الانسان فتلك الارض التي يجتمع فيها الكفار هي موقف الحشر

هَلْ أَتٰكَ حَدِيثُ مُوسٰى إِذْ نَادٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

قال الجوهري طُوًى اسم موضع بالشام تكسر طاؤه وتضم و يصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله اسم بلدة وبقعة وجعله معرفة - قال ابن بري اذا كان طُوًى اسمًا للوادي فهو علم له واذا كان اسمًا علمًا فليس يصح تنكيره لنباينهما فمن صرفه جعله اسمًا للمكان ومن لم يصرفه اسمًا للبقعة قال واذا كان طُوًى وطِوًى وهو الشيء المطوي مرتين فهو صفة بمنزلة ثُنًى وثِنًى وليس بعلم لشيء وهو مصروف لا غير ومثله قول عدي بن زيد

أَعَاذِلُ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُوًى مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ

قال ابن سيده وطُوًى وطِوًى جبل بالشام وقيل وهو واد في اصل الطور

قال ابو اسحق طُوًى اسم الوادي ويجوز فيه اربعة اوجه طوى بضم الطاء

بغير تنوين و بتنوين فمن نوّنه فهو اسمٌ للوادي او الجبل وهو مذكر سُمّي على فعل نحو حُطَمٍ وصرد ومن لم يُنوّنه تركَ صرفه من جهتين - احداهما أن يكون معدولاً عن طاوٍ فيصير مثل عمر المعدول عن عامرٍ فلا ينصرف كما لا ينصرف عمر وهذا قول الفرّاء والجهة الأخرى أن يكون اسمًا للبقعة كما قال في البقعة المباركة من الشجرة وإذا كسر فنوّن فهو طِوًى مثل مِعًى مصروفٌ - وسُئل المبرّد عن وادٍ يقال له طُوًى أتصرفه قال نعم لأن احدى العلّتين قد انخرمت عنه - وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب الحضرمي طوًى وطُوَى اذهب غير مُجرًى وقرأ الكسائي وعاصم وحمزة وابن عامر طوًى منونًا في السورتين وقال بعضهم معنى طُوًى اى طُوِيَ مرتين اى قدّس وقال الحسن ثُنيت فيه البركة والتقديس مرّتين - اِذْهَبْ اِلٰى فِرْعَوْنَ - هو على حذف أن المفسرة ويؤيده قراءة ابن مسعود رض أن اذهب لأنّ في النداء معنى القول - اِنَّهٗ طَغٰى - اى لأنّه طغى تعليل لذهاب موسى عليه السلام الى فرعون وطغيانه تكبره على الله عزّ وجلّ - فَقُلْ هَلْ لَّكَ اِلٰٓى اَنْ تَزَكّٰى - قرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاء على ادغام التاء في الزاء والباقون من السبعة قرأوا بالتخفيف - قال أبو عمرو بن العلاء المازني معنى قراءة التخفيف هل لك ان تكون مومنًا زكيًا - والمعنى هل لك رغبة الى ان تطهر والعرب يحذف فوق القيد الذي تتعلق به الى اى هل لك رغبة كما قال اوس بن حجر -

فهل لكم فيها اليَّ فانّني ... بصيرٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حِذيما

النِّطاسيُ عالم بالأمور - اى فهل لكم رغبة او حاجة اليَّ - والتزكية

الهداية الى توحيد الله و معرفته - وَ اَهْدِيَكَ اِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى
هذا تفسير التزكية - اى ارشدك سبيل ربك لانك ضللت عن الطريق
التى توصلك الى ربك فتخشى لان خشية الله لا تكون الا بمعرفته
كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء - فَاَرٰىهُ الْاٰيَةَ
الْكُبْرٰى - قال ابو حيان و فى الكلام حذف اى فذهب و قال له
ما امره ربه و اتبع ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه فاراه الاية الكبرى
و هى العصا و اليد جعلهما اية واحدة لان اليد كأنها من جملة العصا
لكونها تابعة لها او العصا وحدها لانها كانت المقدمة و الاصل
و اليد تبع لها لانه كان تتقيها بيده - فَكَذَّبَ - اى فرعون موسى عليه
السلام - و ما اتى من المعجزتين الدالتين على انه عليه السلام ارسل
اليه من عند ربه - وَ عَصٰى - اى الله تعالى بعد ما علم ما اتى به موسى
عليه السلام ثم ارتاب و توهم انه سحر - ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعٰى - و ذلك
لان فرعون لما راى العصا ثعبانا عظيما فجعل يسرع فى مشيته و لم
يتخيل ان الادبار و الفرار من الشئ الذى هاب عنه مناف لدعوى
الالوهية - و قال الجمهور هو كناية عن اعراضه عن الايمان يسعى
اى يجتهد فى اضرار موسى عليه السلام او فى مكايدته فَحَشَرَ فَنَادٰى
اى جمع السحرة و اعيان دولته فنادى اى قام فيهم خطيبا او فنادى
فى المقام الذى اجتمعوا فيه - فَقَالَ اَنَا رَبُّكُمُ الْاَعْلٰى - قال ابو حيان
قال ابن عطية قول فرعون ذلك نهاية فى المخرقة و نحوها باق فى
ملوك مصر و اتباعهم انتهى و انما ذلك لان ملك مصر فى زمانه
كان اسماعيليا و هو مذهب يعتقدون فيه الهية - و كان اول

من ملكها منهم المعز بن المنصور بن القائم المهدى عبيد الله و آخرهم
العاضد و طهّر الله مصر من هذا المذهب الملعون بظهور الملك الناصر
صلاح الدين بن يوسف بن شادى رحمه الله - وجزاه عن الاسلام
خيرا انتهى و المعنى انه قال فى النادى الذى جمع فيه اعيان مصر
انا ربكم الاعلى اى اعلى من كل صنم عبدتموه - قال عطاء و كان
صنع لهم اصناما صغارا و امرهم بعبادتها - نعوذ بالله من هذا القول
و اعلم ان هذا القول نشأ منه لوفور كبريائه و كثرة خيلائه فى
نفسه و الا فهو كان يعرف حين كان يدعو الله بانه عبد من عباده
المذللين - و لا يخفى على الفطين المتدبر ان دعوى الالوهية اعظم
من الشرك لان فى الاول انحصار الالوهية فى نفسه مع انكار
الالوهية الواقعية و فى الثانى اثبات الالوهية لغير الله كالاصنام
مثلا مع اقرار الالوهية الواقعية و قد ذكر الله مرارا فى كتابه
اِنَّهٗ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ فالمشرك هو القانط
من رحمة الله تعالى فاذا كان حال المشرك كذلك فكيف يكون حال
من يدعى الالوهية و ينكر الالوهية الواقعية الثابتة لله تعالى

و لذلك قال فى كتابه القديم - فَاَخَذَهُ اللّٰهُ نَكَالَ الْاٰخِرَةِ وَالْاُوْلٰى
النكال نعت لمصدر محذوف اى اخذه الله اخذا نكال الاخرة و الاولى
وقال الزجاج انه مصدر مؤكد بغير لفظه و الاول هو الذى ذهب اليه
الفراء والنكال العقوبة قال مجاهد معناه عذاب اول عمره و اخره
وللشيخ الاكبر فى باب فرعون الطاغى كلام آخر ونذكر هنا ملخصا المذكور
فى الفتوحات - قال الشيخ ان فرعون كان فى باطنه ذلة و صغار و ش

فاخذه الله نكال الآخرة والاولى - والاول والثانى - قول الشيخ محى الدين ابن العربى

ظاهره جبروت واستكبار كما يرى في الجبابرة والطغاة فلذلك
ارشد الله لموسى وهارون عليهما السلام ان قولا له قولا لينا
وما يؤمر بلين المقال الا لمن كان قوته اعظم من قوة من ارسل
اليه فاللين في القول ليس الا استنزال ظاهره من الجبروت والكبرياء
الى التواضع والتخشع - والغرض منه ارادة التساوي في الظاهر
والباطن - ولما كان الذلة والافتقار مستترا في باطنه قال آمنت
بالذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين - فاظهر حالة باطنه
والعلم الصحيح الذي كان كامنا في قلبه فلا مرية في كونه مومنا
واما قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا - يدل على
ان باس الدنيا لا يرتفع عمن نزل به ولا يدل ما في الآية على ان
باس الآخرة ايضا غير مرتفع فيجوز لنا ان نقول ان ابتداء الغرق
كان عذابا فصار الموت في حقه شهادة لم يتخللها معصية فقبض
على افضل عمل وهو التلفظ بالايمان ولم يؤخر اجله في حال ايمانه
لئلا يرجع الى ما كان عليه من الدعوى - اقول هذا كلام مردود
لان قوله تعالى - فاخذه الله نكال الآخرة والاولى - يدل دلالة
صريحة على انه ماخوذ في الدنيا بالغرق وماخوذ في الآخرة بعذاب
النار وما قال الشيخ ان غرقه كان عذاب الآخرة ولذلك قدمها
في الذكر على الاولى غير مستقيم لان الغرق اذا كان نكال الآخرة
فقط فاي شيء يتصور بانه له نكال الاولى والكلام يدل على
ان له نكال الاولى لان الاولى معطوفة على الآخرة فلا بد ان يكون
مضافا اليه للنكال فيكون المعنى ان الله اخذه نكال الآخرة ونكال

الاولى والصحيح ان الغرق هو نكال الاولى اى الدنيا اما نكال الاخرة فهو عذاب النار كما ورد في قوله تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فهذا عذاب الاخرة واما قال الشيخ الاكبر ان فرعون لا يدخل النار بل يدخلها آله لانه حكم بقوله ادخلوا ال فرعون ولم يقل ادخل فرعون واله - فهو غير صحيح لان الله تعالى اراد بال فرعون قومه وكانوا يعتقدون بالوهيته وهو يدعوهم الى الوهية نفسه فهو معذب في النار اولا وبالذات لهذه الدعوة الباطلة وآله معذبة ثانيا وبالعرض لانهم صاروا كافرين باجابة دعوته وقد قال الشيخ الاكبر في باب الثالث والسبعين فمن ظهر بصفته لم يؤاخذه الله لانه كيف يؤاخذه اذا ظهر بما هو حق له - ولما لم يكن لهم الجبروت وما في معناه وظهر وابه اهلكهم الله فتحقق عند العارفين انها صفة الحق تعالى ظهرت فيمن اراد الله ان يشقيه انتهى فاذا كان اظهار العبد لنفسه صفة من صفات الله تعالى موجبا لشقائه وسببا لاهلاكه فكيف لا يكون دعوى الالوهية مع كونه عبدا علة لدخوله النار - ان في ذلك - اى قصة فرعون لعبرة - عظيمة - لمن يخشى - الله ويتقه ويخاف عقوبة الآخرة

ء انتم اشد خلقا ام السماء بناها - قرأ ءانتم بتسهيل الثانية مع الفصل بلا الف قالون وابو عمرو وابو جعفر وهشام في احد وجهيه وبلا فصل ورش وابن كثير ورويس زاد الازرق ابدالها الفا مع المد - والثاني لهشام التحقيق مع الفصل والثالث له التحقيق بلا فصل وبه قرأ الباقون وتقديرا لكلام ء انتم اشد

خلقًا ام خلقُ السَّمَاء والمخاطبون كفار مكّة ومثله قوله تعالى - لَخَلْقُ السَّمٰوٰتِ والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى - اوليس الذى خلق السمٰوٰت والارض بقٰدر على ان يخلق مثلهم - رَفَعَ سَمْكَهَا - اى اعلاه فى الهواء هو بيان للبناء والسمك غلظ السماء وهو الارتفاع بين سطح الاسفل والاعلى - قال الامام الرازى ان امتداد الشئ اذا أُخِذَ من اعلاه الى اسفله سُمِّىَ عُمقًا واذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمّى سمكًا - فَسَوّٰهَا - اى سوّٰى حجمها وجعلها مستوية ملساء ليس فيها شقوق - والمراد من السَّمَاء فلك الافلاك وهو اول مخلوق جسمًا فى ما اظهر الله وابدعه بكلمة كُن وهو محدّد الافلاك عند الحكماء وزعموا انّه لا كوكب فيه لانه ثبت عند اصحاب الارصاد هكذا - والرَّاصِدُون لما لم يروا وراء المحدّد جسمًا ولا مكانًا ظنّوا انّ الافلاك تسعة - وقالوا ان العقول عشرة فالعقل الاول منها اَوْجَدَ العقل الثانى وفلك الافلاك والعقل الثانى اوجد العقل الثالث والفلك الثامن والعقل الثالث اوجد العقل الرابع والفلك السابع والعقل الرابع اوجد العقل الخامس والفلك السادس والعقل الخامس اوجد العقل السادس والفلك الخامس والعقل السادس اوجد العقل السابع والفلك الرابع - والعقل السابع اوجد العقل الثامن والفلك الثالث والعقل الثامن اوجد العقل التاسع والفلك الثانى - والعقل التاسع اوجد العقل العاشر والفلك الاول فصار الافلاك تسعة وتمّ سلسلة الافلاك وانتهى سلسلة العقول الى عشرة - فعلّقوا سلسلة العلّية والمعلولية بينهما وبين الافلاك

بيان تسوية السماء والبحث فى اقوال الحكماء

ولا برهان عندهم على حصر العقول في عشرة سوى عدد الافلاك
فلم يبق هذه المسئلة الا وهمًا - ولذلك لم يذهب الاقدمون
من الحكماء الى ترتيب وجود العالم بهذا الطريق - قال الشيخ الاكبر
انتصارًا لهم ولم يمنعوا ان يكون فوق الفلك الاطلس افلاك أخر
الا ان الراصد لم يبلغ اليها - والحق انهم عاجزون في تفاصيل
احكام الموجودات على ما هي عليه في نفس الامر - فلم يذكروا في نظامها
وترتيبها الا على سبيل الظن والتخمين - واليه ذهب الصدر
الشيرازي واذا كان كذلك يجب في هذا الباب أن يستدل باقوال
الانبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنزلة عليهم ولا يجوز ان
يعتقد فيه بمقاييس الحكماء لان علومهم ظنية وقياساتهم تخمينية
فلا بد ان نخلي قلوبنا من وساوس هؤلاء المتفلسفين - واعلم ان
كلمات هذه الاية تدل على ان السماء جسم ذو سمك وتسوية
وليس فيه شي يدل على انها مد البصر او نهايته كما يقال في هذا الزمان
وعدم مرئيتها بالالات الرصدية والمناظر الكبيرة الطويلة لا يدل
على عدمه لانه يمكن ان تكون في غاية البعد ولا تكفي هذه الالات
لرويتها ولكونها شفافة لا لون فيها اما روية الكواكب فهي جايزة
لكونها متجلية ولا مانع لها - وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا - اى اظلم -
والاغطاش يجئ اللازم والمتعدي يقال اغطش الليل بنفسه واغطشه
الله اى اظلمه - والغطاش ظلمة الليل - وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا - اى ابرز
نهارها واضافة الليل والنهار الى السماء لانهما يحدثان بطلوع
الشمس وغروبها وهما لا يحدثان الا بحركة الفلك فصح اضافة

اللیل و النهار الی الفلك - وَالْاَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰهَا - ای بعد تسویة السماء و معنی دحاها بسطها یقال دحا الارض یدحوها دحواً بسطها و کذا قال الفراء - قال شمر و انشدتنی اعرابیة

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ اَطَاقَا　بَنَی السَّمَآءَ فَوْقَنَا طِبَاقَا

ثُمَّ دَحَا الْاَرْضَ فَمَا اَضَاقَا

قال شمر و فسرته - فقالت دحا الارض ای اوسعها - و انشد ابن بری لزید بن عمرو بن نفیل -

دَحَاهَا فَلَمَّا رَاٰهَا اسْتَوَتْ　عَلَی الْمَاءِ اَرْسٰی عَلَیْهَا الْجِبَالَا

قال اکثر اهل التفسیر ان اللّٰه تعالی خلق الارض اولا ثم خلق السماء ثانیا ثم دحی الارض ای بسطها ثالثا لانها کانت فی بدو الامر کالکرة المجتمعة ثم مدها اللّٰه و بسطها و استدلوا علی هذا القول بقوله تعالی هُوَ الَّذِیْ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِی الْاَرْضِ جَمِیْعًا ثُمَّ اسْتَوٰی اِلَی السَّمَآءِ فَسَوّٰهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ - اقول و هذا الاستدلال ضعیف لان هذه الاٰیة تدل علی ان تسویة السماء مؤخر عن خلق الارض ولا تدل علی ان خلق السماء مؤخر عن خلق الارض و ظاهر ان التسویة غیر الخلق - کما ان دحو الارض مغائر من خلقها -

اَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا - ای من الارض ماءها و هو الذی یجری من الانهار و العیون المنفجرة و الصحیح ان الماء الذی یجری من اصول الجبال هو ماء الامطار الذی نفذ فیها فاذا کثر ذلك الماء انتشر عنه العیون و الانهار و تسیل علی وجه الارض لان کرة الماء لیست تحت الارض و انما اضاف اللّٰه الماء الی الارض

لانّ العیون المنفجرة و الینابیع الفوّارة لا تُنسب الا الی الارض لانّ مخازنها هے الجبال - فیکون اسناد الماءٓ الی الارض اسنادًا مجازیًا - و مَرْعٰها - ای اخرج من الارض النّباتات لانْ ترتع منها الحیوانات و یتغذّی من بعضها الانسان کالبقول وبتداوی من بعضها کالعقاقیر - ثمّ النّباتات امّا مخلّقة عادةً و امّا غیر مخلّقةٍ عادةً فالمخلّقة تُسمّی شجرًا و هو کلّ نباتٍ قام علی ساقٍ و غیر مخلّقةٍ تُسمّی نجمًا و هو کلّ نباتٍ لم یقم علی ساقٍ بل له الطّلوع و الظّهور علی وجه الارض خاصّةً - ثم النّبات علی قسمین الاوّل ما له حسٌّ و نموٌّ و منه ماله الحرکة المستقیمة و منه ماله الحرکة الافقیّة و قد تسمّی منکوسةً و الثانی ما لیس له حسٌّ و لٰکن له نموٌّ فهو ایضًا مثل الاوّل و هے تحصل الحیاة من الاصول کجذب الماء الّذی یوافق طبعه بطبع النبات و من الفروع ایضًا کجذب الهواء مثلًا - و یجب ان لا یخالف طبعه بطبع النبات و الّا یخاف علیها الموت بطریان الیبوسة - و ما من نباتٍ الّا و هو داءٌ او دواءٌ - ای فیه مضرّة و منفعةٌ و ذلك بحسب استعمال الامزجة فیجوز ان یکون داءٌ لبعض الامزجة و دواءٌ لغیرها و ذلك تقدیر العزیز الحکیم - و التفصیل فی مطولات علم النباتات

وَالْجِبَالَ اَرْسٰهَا - ای اثبتها فی الارض و جعلها کالاوتاد لئلا تمید الارض عن مرکزها فقرأ الجمهور بنصب الجبال علی الاشتغال ای ارسی الجبال ارساها و قرئ بالرفع علی الابتداء و الاولی هی قرأة الجمهور مَتَاعًا - ای منفعةً - لَّکُمْ وَ لِاَنْعَامِکُمْ - تقدیر الکلام

متعکم متاعا لکم او مفعول لاجله ای فعل هذا تمتعا لکم ولانعامکم
فاذا جاءت الطامة الکبری - یقال طم الماء یطم طما
وطموما اذا علا وغلب - واصله من طم الشیء اذا عظم وجاء
السیل فطم رکیة آل فلان اذا دفنها وسواها - وانشد ابن
بری للراجز -
فصبحت والطیر لم تکلم خابیة طمت بسیل مفعم
وقال الفراء هی القیامة تطم علی کل شیء ای تغلب وقال المبرد
الطامة الداهیة التی لا تستطاع - وقال الزجاج الطامة هی
الصیحة التی تطم علی کل شیء وجاء فی الحدیث ما من طامة
و فوقها طامة ای ما من امر عظیم وفوقه امر عظم - قال ابن عباس رض
الطامة اسم من اسماء یوم القیامة - وجواب اذا جاءت محذوف
یدل علیه قوله یوم یتذکر الانسان ما سعی - یوم یتذکر
الانسان ما سعی - یوم منصوب بفعل مضمر ای اعنی یوم یتذکر
وقیل ان الظرف بدل من اذا وقیل هو بدل من الطامة الکبری
وما مصدریة او موصولة - ای یوم یتذکر الانسان ما عمل
فی الدنیا من خیر وشر وذلک سعیه - وبرزت الجحیم لمن یری
قرأ الجمهور لمن یری بالتحتانیة - وقرأت عائشة رض ومالک بن
دینار وعکرمة وزید بن علی رض بالفوقانیة ای لمن تری والمعنی
ای لمن تراه الجحیم ولمن تراه انت یا محمد وقرأ ابن مسعود رض
لمن رای علی صیغة فعل الماضی والمعنی واظهرت الجحیم النار
المحرقة اظهارا بینا - فیراها الخلائق باعینهم او لمن یری من الکفار

ما عدا المومنين - فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ - اى جاوز الحد فى الكفر و المعاصى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا - اى قدمها على الاخرة و اختارها - فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ - اى مأواه - ولا يخفى على العارف الفطين ان موآثرة الدنيا رأس كل خطيئة و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة - قال الامام الرازى و متى كان الانسان و العياذ بالله موصوفا بهذين الامرين كان بالغا فى الفساد الى أقصى الغايات و هو الكافر الذى يكون عقابه مخلدا - اقول و اذا كان كذلك يجب رفض الدنيا و الانقطاع عن حبها لان حبها راس كل خطيئة و هو مذهبنا - و اليه اشار الله تعالى - وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا - اى انقطع الى الله تعالى انقطاعا تاما من كل شئ - فيكون ترك حب الدنيا فريضة على كل مسلم و مسلمة لان جزاء من آثرها هو الجحيم فيكون ترك حبها فرضا - وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ - اى حذر مقامه بين يدى ربه يوم القيامة و فى اضافة المقام الى ربه تهويل عظيم واقع على النفوس و تعظيم بليغ لذلك المقام و المراد بمن المومن العارف لان الخوف معلوم العرض فان فمن لا يعرف الله لا يخاف منه - و اما الخائف منه فشأنه ان ينتهى عما نهى الله عنه و اليه اشار الله تعالى - وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ - اى عن الميل الى تحصيل الشهوات و اكتساب الحياة الدنيا و زهرتها و لم يغتر بزخارفها - فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ - اى منزله الذى يأوى اليه و يخلد فيه و اللام فى الماوى عوض المضاف اليه اى مأواه و هو مذهب الكوفيين و قال البصريون التقدير مأوى له

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ - یا محمد صلی الله علیه وسلم - أَيَّانَ مُرْسَاهَا - قال الفراء ای منتہی قیامہا کمرسی السفینة و قال ابو عبیدة و مرسی السفینة حین تنتہی - و المعنی ایان منتہاها و مستقرها - فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا - ای فی ای شیئ انت من ذکراها - قالت عائشة رض کان رسول الله یسأل عن الساعة کثیرا فلما نزلت هذه الآیة انتہی عن ذکرہ و المعنی فی ای شیئ انت من ذکر تحدیدها و وقتها ای لست من ذلک فی شیئ - و کذا روی عن علی کرم الله وجهه و رضی الله عنه - إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ای منتہی علم الساعة لم یوت لاحد من الخلائق و لذلک قال رسول الله صلی الله علیه وسلم فی جواب جبریل علیه السلام ما المسئول عنها باعلم من السائل بل ینتہی علمها الی الله تعالی إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا قرأ الجمهور باضافة الی ما بعدہ وقرئ بالتنوین قال الفراء کلاهما صواب - قال صاحب الکشاف و قرئ منذر بالتنوین و هو الاصل و الاضافة تخفیف و کلاهما للحال و الاستقبال فاذا ارید به الماضی فلیس الا الاضافة کقولک هو منذر زید امس - انتہی - قال ابو حیان فی تفسیرہ اما قوله و هو الاصل یعنی التنوین فهو قول قد قاله غیرہ ممن تقدم - وقد قررنا فی هذا الکتاب و فیما کتبنا فی هذا العلم ان الاصل الاضافة لان العمل انما هو بالشبه و الاضافة هی اصل فی الاسماء و اما قوله فاذا ارید به الماضی فلیس الا الاضافة فهذا فیه تفصیل و خلاف مذکور فی علم النحو انتہی اقول ان اسم الفاعل عند البصریین لا یعمل عمل المضارع الا بشرط کونه بمعنی الحال او الاستقبال

فاذا كان للماضي بطل الشرط فلا يعمل عمل المضارع فيجب وجبت اضافة كما قال صاحب الكشاف أمّا من لم يشترط في عمله هذا الشرط كالكسائي فانه يقول ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل وان كان بمعنى الماضي ويحتج بقوله تعالى والكلب باسطٌ ذراعيه ورده لانّه على حكاية الحال والمعنى يبسط ذراعيه
بدليل ونقلّبهم ولم يقل الله سبحانه وقلّبناهم - كأنهم يوم يرونها - اى القيامة - لم يلبثوا - يتخيلون انّهم لم يمكثوا في الدنيا او في اجداثهم - الا عشيّة - اى كامتداد الوقت من الزوال الى غروب الشمس - او ضحاها - او من البكرة الى زوال الشمس - واضاف الضحى الى العشيّة لكونهما طرفي النهار ولمّا بدأ بذكر احدهما اضاف الاخر اليه مجازا وتوسّعا - تمّ تفسير هذه السورة فنحمد الله على ما وفّقنا لتفسيرها - والصلاة والسلام على نبي هذه الامّة الامّيّة
وبشيرها ونذيرها وعلى آله واصحابه
الذين هم سراة الناس وسادتهم
وهداتهم
وقادتهم

سورة عبس مكية وهي ثنتان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ اَنْ جَآءَهُ الْاَعْمٰى ۔ روى ان ابن مكتوم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ۔ وعنده عصبة من صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن المطلب وامية بن خلف والوليد بن مغيرة يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى ماعلمك الله وكرر ذلك ولا يعلم مقاولته صلى الله عليه وسلم بالقوم فتانف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع كلامه ولم يتوجه الى قوله فانزل الله سبحانه هذه الاية فكان رسول الله صلى الله يكرمه بعد ذلك ۔ ومعنى عبس قطب وتولى اعرض ۔ ان جاءه الاعمى مفعول لاجله ۔ اى قطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجئ الاعمى عنده وخطابه حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ۔ يناجيهم ويدعوهم فى امر الاسلام وانما قال الله تعالى ۔ عبس وتولى ولم يخاطبه اجلالا لشانه وتعظيما لمكانه ولطفا به ان يخاطبه تنبيها ۔ بل نبهه على طريق حكاية الكلام قرأ الجمهور عبس مخففا ۔ ان بهمزة واحدة ۔ وزيد بن على بتشديد الباء ۔ وهو الحسن وابو عمران الجونى وعيسى أآن بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين محققتين والهمزة فى هاتين القراءتين للاستفهام ۔ وانما قال الاعمى اشعارا بما يناسب

من الرفق - وَمَا يُدْرِيكَ - اى اىّ شئ جعلك داريًا بحاله حتى تتولّيتَ عن ذلك الاعمى - لَعَلَّهُ - اختلف في المرجع فقال بعضهم انه يرجع الى الاعمى - يَزَّكّٰىٓ - اى لعلّه يتطهّر من الذنوب بالعمل الصالح الذى يفعله بتعليمك و يتنزه من الادناس بفيضان تلقينك - و قال بعضهم انه يرجع الى الكافر و المعنى انك ترجو ان يزّكّى الكافر بقبوله الاسلام و تطمع تصفيله و ازالة دينه عن فؤاده فيطهر قلبه بادناس الشرك و الكفر بتعليمك اياه و الامر لبس كذلك و الاحتمال الاول هو الاولى - اَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى - اى الموعظة التى سمعها منك و قرأ الجمهور فتنفعه برفع العين عطفا على او يذّكّر و عاصم و الاعرج ابو حيوة و ابن ابى عبلة بنصبها قال صاحب الكشاف و بالنصب جوابًا للعل - اَمَّا مَنِ اسْتَغْنٰى - اى كان ذا مال و ثروة و يراد به المذكور دون او استغنى عن ذكرك - فَاَنْتَ لَهٗ - اى لذلك المستغنى تَصَدّٰى - اى تصغى لكلامه - و المتصدى هو الذى يرفع رأسه و يمد صدره يتصدّى للشئ ينظر اليه و المعنى انّ من كان مستغنيًا عنك و عن تعليمك فانت تقبل اليه بالاهتمام لاستصلاحه و استرشاده - قال القرطبى و هذا كله غلط من المفسرين لان امية و الوليد كانا بمكّة و ابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما و ماتا كافرين احدهما قبل الهجرة و الاخر في بدر - و لم يقصد قط امية المدينة و لا حضر معه مفردا و لا مع احد انتهى - قال ابو حيّان و الغلط من القرطبى كذب ينفى حضور ابن ام مكتوم معهما و هو وهم منه و كانهم من مكة و كان

ابن ام مکتوم بها والسورة کلها مکیة بالاجماع وکیف یقول ابن
ام مکتوم بالمدینة - کان او لا بمکة ثم هاجر الی المدینة وکانوا
جمیعهم بمکة حین نزول هذه الایة وابن ام مکتوم هو عبد الله
ابن سرج بن مالک بن ربیعة الفهری من بنی عامر بن لوی وام مکتوم
ام ابیه عاتکة وهو ابن خال خدیجة رضی الله عنها انتهی هذا هو
الحق وهو قول الجمهور وقرأ الحسن وابو رجاء وقتادة والاعرج
وعیسی والاعمش وجمهور السبعة تصدی بتخفیف الصاد واصله
تتصدی فحذف التاء وابن کثیر ونافع قرأ بتشدید الصاد - و
ابو جعفر بضم التاء وتخفیف الصاد تُصَدّی ای یصدیک حرصک علی
اسلامه وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ای لا شئ علیک فی ان لا یسلم من دعوته
الی الاسلام ولا یهتدی لان قصاری تعلیمک هو اراءة الطریق فلا
یجب علیک ان تحرص فی اسلامه وتکابد فی ارشاده لان الایصال
الی الهدایة انما هو من فعلنا - لا من فعلک وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ
ای وصل الیک یسرع فی ابتغاء الخیر والاشتغال فی طاعة الله
وَهُوَ يَخْشَىٰ ای الله او اذاة الکفار وهو ابن ام مکتوم - فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ای تتشاغل عنه مع کونه ساعیا فی طاعة الله وهو
یخشی وقرأ طلحة بن مصرف تتلهی - وقرأ ابو جعفر تُلَهّی ای یلهیک شأن
الصنادید - وهذا عتاب للنبی صلی الله علیه وسلم ومعناه وهذا
لا ینبغی للنبی ذلک لان شأنه ان یتصدی للفقیر ویتلهی عن الامیر
كَلَّا - ردع له صلی الله علیه وسلم ومعناه لا تعرض عن الفقیر
المسلم ولا تقبل الی الامیر المشرک - إِنَّهَا - ای هذه الایات تَذْكِرَةٌ

اى موعظة - فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ ۝ اى اتعظ به واعتمل بموجبه - فِيْ
صُحُفٍ - اى انّ هذه الآيات منتسخة فى صحف من اللوح المحفوظ
مُكَرَّمَةٍ - عند الله لما فيها من العلم والحكمة - مَّرْفُوْعَةٍ - اى رفيع القدر
عند الله بارتفاع معانيها - وقيل مرفوعة فى السماء السابعة مُّطَهَّرَةٍ ۝
اى منزّهة مكتوبة باذن الله تعالى - بِأَيْدِيْ سَفَرَةٍ ۝ جمع سافر ككتبة
وكاتب قال ابن عباس ومعناه بالنّبطية القرّاء - وقال الفرّاء
السفرة هم الملائكة الّذين يسفرون بالوحى بين الله وبين رسوله
وهو قول ابن عرفة - قال الزجّاج قيل للكاتب سافر والكتاب سِفرٌ
لانّ معناه انه يبين الشئ ويوضحه - وقال الاسفار للكتب الكبار
واحدها سِفرٌ والمعنى انّ هذه الآيات مكتوبة بايدى الملائكة
المكرمين من اللوح المحفوظ فى الصحف المكرّمة - كِرَامٍ - اى مكرمين
فى الملائكة - بَرَرَةٍ ۝ جمع بارّ - اى مطيعين - واعلم انّ الاوصاف
التى ذكرت فى شان الملائكة لا تستدعى ان تكون قوى مجرّدة
عن المادّة كما ذهب اليه الحكماء لانّ استعمال هذه الكلمات فى
معانيها الحقيقة غير متعذّرة عند العقل ولا بمجوّزة عند اهل
اللسان وح لا يجوز ان يترك الحقيقة - فيجوز لنا ان نقول انّ الملائكة
اجسام نورانية عباد الله لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون فمنهم
سفرة الكتب ومنهم حاملوا الوحى ومنهم سفراء بين الله وبين رسله
ومنهم المدبّرات يدبّرون الامور المقدّرة فى علم الله تعالى
ومنهم المقسّمات فانهم يقسّمون حظوظ العباد وارزاقهم ومنهم
موكلة على الماء والهوا - فلا يجوز للمسلم ان يقول انّ الملائكة قوى

مجرّدة لان ذلك خلاف القرآن - والتأويل فيه ومن تاوّل القران بالرّاء فليتبوّأ مقعده من النار - قُتِلَ الْاِنْسَانُ مَآ اَكْفَرَهٗ ؕ اى لعن الانسان اىّ شئ اكفره - اى جعله كافرًا - قال الزجاج - معناه اعجبوا انتم من كفره - مِنْ اَىِّ شَیْءٍ خَلَقَهٗ - والاستفهام للتقرير - مِنْ نُّطْفَةٍ اى من ماءٍ مهين محقّرٍ - خَلَقَهٗ فَقَدَّرَهٗ ۙ اى خلقه من تلك النطفة فقدّره تقلّبا نه من طورٍ الى طورٍ وتحوّلاته من حالٍ الى حالٍ باعتبار اعضائه وقواه او باعتبار ازمنة عمره - ثُمَّ السَّبِيْلَ يَسَّرَهٗ ۙ اى سبيل الخير والشر وقيل الخروج من بطن امّه - قال الامام الرازىّ أن راس المولود فى بطن امّه من فوقٍ ورجليه من تحت فهو فى بطن امّه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله ثُمَّ اَمَاتَهٗ - اذا جاء اجله - فَاَقْبَرَهٗ - اى واراه فى قبره اكرامًا له ولم يجعله ملقىً على الارض حتى تاكله السباع - هذا قول الفرّاء وقال ابو عبيدة جعل له قبرًا وامر ان يقبر فيه - ثُمَّ اِذَا شَآءَ اَنْشَرَهٗ اى احياه بعد موته - واعاده بعد الابتداء - والاعادة تكرار الامثال على الوجود العينى ولا يجوز تكرار العين لانّ الوجود ليس الاثنين - والى ذلك يشير الله تعالى انّه فى لبسٍ من خلقٍ جديد فالامتياز بين النشأة الاولى والاخرى يعود الى التدبير لانّ صورة النشأة الاولى قابلة للفناء والزوال بخلاف صورة النشأة الاخرى فهى لا تقبل الزوال فهى باقية ابدًا فالاعادة عبارة عن الباس الصورة الباقية على اعيانِ الممكنات فهى اعادة حكمًا لا اعادة عينٍ ثم الصفات الخسيسة التى هى تابعة لامزجة صورِ الاجسام الفانية كالبول

و البراز و المني و غيرها اعراض جسمانية قابلة للزوال و الفناء لانها لاحقة بصورة فانية فيجوز فنائها كما يجوز فناء موضوعاتها و ذلك لانه في تلك النشأة لا يوجد مزاج يكون فيه استعداد البول و الغائط و المخاط فلا توجد هذه الاعراض في النشأة الباقية الابدية كَلَّا - كلمة ردع للانسان و بمعنى حقا - لَمَّا يَقْضِ - اى لم يفعل الانسان - مَآ اَمَرَهٗ ؕ اى ما امره ربه من الايمان و الاسلام و الاعمال الصالحة و التخلق بالاخلاق الحسنة و التبرئ عن الرذائل كالكبر و البطر و الحسد و الاشر و التامل في خلقه اول مرة لانه كان في هوان و مذلة و الاعتبار من احتياجه و افتقاره من بدء وجوده الى اخر عمره - فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ اِلٰى طَعَامِهٖٓ ۙ الذي خلقه الله تعالى لبقاء حياته و هيأ له اسباب كسبه كالزروع مثلا و كل ذلك بتدبير الله جل شانه و خلقه و في هذه الاية ايقاظ للانسان الذي لا يتامل في الامور التي خلقها الله و دبرها لمعيشة الانسان و ابقائه الى اجل معين - و ان لا يقدر الانسان على شئ من الاشياء التي تحتاج اليها في تمدنه و معيشته - قال مجاهد و ابن الزبير الى مدخل الطعام و مخرجه - اَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا ۙ اى افرغناه على الارض - قرأ الجمهور انا بكسر الهمزة - على الاستيناف و عاصم ابي النجود و الكسائي و حمزة و ورش عن يعقوب بفتح الهمزة على انه بدل الاشتمال من قوله طعامه - قال الزجاج الكسر على الابتداء و الفتح على معنى البدل من طعامه انتهى و المعنى فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء اى المطر صبا و قرأ الحسين بن علي رضي الله عنه

بالفتح و الامالۃ۔ ثُمَّ شَقَقۡنَا الۡاَرۡضَ شَقًّا ۙ و المراد بشق الارض شقها بظهور النبات و الزروع۔ و اسند اللّٰه تعالیٰ صبّ الماء و شق الارض الی نفسه لانه تعالیٰ موجد الاشیاء کلها فالممکنات کلها مستندۃ الیه تعالیٰ بلا واسطة حقیقةً وهذا هو الحق ومذهب اهل السنة و اما اسنادها الی الاشیاء القریبة التی هی الوسائط کاسناد الماء الی السحاب و کاسناد النبات الی الماء فعلی طریق المجاز۔ ثم ذکر اللّٰه تعالیٰ ثمانية انواع من النبات۔ اوّلها۔ فَاَنۡۢبَتۡنَا فِیۡهَا حَبًّا ۙ ای انبتنا فی الارض حبًّا وهو کل ما یحصد من نحو الحنطة و الشعیر واسناد انبات الحب الی نفسه تعالیٰ یدل علی ان صب الماء علی الارض لیس علة لانبات النبات و الزروع۔ وثانیها وَّ عِنَبًا۔ ای و انبتنا فیها عنبًا۔ و هو غذاء من وجه و فاکهة من وجهٍ وثالثها۔ وَّ قَضۡبًا ۙ قال الخلیل القضب الفصفصة الرطبة فاذا یبست فهی القت وسمّاها اهل مکة بالقضب قال القتیبی و ثعلب و اهل مکة یسمّون العنب القضب قال المبرد و هو العلف لان العلف یقضب ای یقطع و رابعها۔ وَّ زَیۡتُوۡنًا۔ و هو ما یعصر منه الزیت وهی شجرة الزیتون قیل و یقال للشجرة نفسها زیتونة و لثمرتها زیتونة و الجمیع الزیتون و للدهن الذی یستخرج منه زیت و خامسها وَّ نَخۡلًا ۙ و هو جمع نخلةٍ۔ کتمرٍ و تمرةٍ و اهل الحجاز یؤنثون النخل قال اللّٰه تعالیٰ و النَّخۡلَ ذاتَ الاکمام و اهل نجدٍ یذکرون و منه قول امرئ القیس۔

وَحَدَّثْ بِاَنْ زَالَتْ بِلَیْلٍ حُمُوْلُهُمْ ۔۔۔ کَنَخْلٍ مِنَ الْاَعْرَاضِ غَیْرِ مُنَبَّقٖ

وسادسها۔ وَّحَدَآئِقَ غُلْبًا۔ جمع حدیقة وهی کل ارض ذات شجر مثمر ونخل ومنه قول عنترة۔

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

وروی کل قرارة۔ وقیل الحدیقة البستان والحائط وخصّ بعضهم به الجنة من النخل والعنب کقول الشاعر۔

حَدِيقَةٌ غُلْبَاءُ فِي جِدَارِهَا وَفَرَسًا اُنْثٰى وَعَبْدًا فَارِهًا

اراد الشاعر انّه تعالٰی بمهرها علیٰ هی به من الاشیاء فاعطی حدیقةً غلباء وغیرها من الاشیاء۔ وقال الزجاج الحدائق البساتین والشجر الملتفّ والغُلْبُ جمع اغلب وغلباء ویستعمل فی الحیوان وغیره اما فی الحیوان فیقال اَغْلَبُ معناه غلیظ الرقبة۔ یقال عنقٌ اغلبُ کما یقال عنقٌ اجید او قصٌ ومنه قول الشاعر۔

بِيضٌ مَرَازِبَةٌ غُلْبٌ جَحَاجِحَةٌ

والاکثر انهم یصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها۔ والانثی غلباء قال کعب بن زهیر۔

غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ فِي دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامُهَا مِيلُ

ای ناقة غلباء الرّقبة مکتنزة اللحم العلکوم ناقة غلیظة الخلق فی دفّها فی عدوها وقد یستعمل ذلك فی غیر الحیوان یقال هضبةٌ غلباء ای عظیمة مشرفة۔ وعزّة غلباءُ ومنه قول الشاعر۔

وَقَبْلَكَ مَا اَعْلَوْلَبَتْ تَغْلِبُ بِغَلْبَاءَ تَغْلِبُ مُغْلَوْلِبِينَا

وتغلب فی المصرع الاول اسم قبیلةٍ۔ بغلباء ای بعزّة غلباء ویقال قبیلة غلباء۔ قال الاخفش ویقال شجرة غلباء اذا کانت

غليظة و منه حدائق غلبًا قال امرأ القيس -

وَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَحَمَّلُوا ۔ حَدَائِقَ غُلْبًا أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرًا

و سايرها - وَفَاكِهَةً - و المراد بها ما يأكله الناس من ثمار الاشجار هذا اذا كان عطفها على قوله عنبا و على هذا التقدير لا يدخل العنب في الفاكهة للتغاير بين المعطوف و المعطوف عليه - و اما اذا كان عطفها على حدائق فهو من قبيل عطف الخاص على العام - اختلف العلماء في تعريف الفاكهة فقال بعضهم كل شيء قد سمي من الثمار في القرآن نحو العنب و الرمان فإنا لا نسميه فاكهة فعلى هذا لو حلف ان لا يأكل فاكهة فأكل عنبا و رمانا لم يحنث - و قال آخرون كل الثمار فاكهة - و انما كرر في القرآن في قوله تعالى فيهما فاكهة و نخل و رمان لتفضيل النخل و الرمان على سائر الفواكه - و مثله قوله تعالى - وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فكرر هؤلاء للتفضيل على النبيين و لم يخرجوا منهم - قال الازهري و ما علمت احدا من العرب قال ان النخيل و الكرم ثمارها ليست من الفاكهة - و انما شذ قول النعمان بن ثابت في هذه المسئلة عن اقاويل جماعة فقهاء الامصار لقلة علمه بكلام العرب و علم اللغة و تاويل القرآن العربي المبين - و العرب تذكر الاشياء جملة ثم تخص منها شيئا بالتسمية تنبيها على فضل فيه قال الله تعالى من كان عدوا لله و ملائكته و رسله و جبريل و ميكال - فمن قال ان جبريل و ميكال ليسا من الملائكة لافراد الله عز و جل اياهما بالتسمية

بعد ذكر الملائكة جملةً فهو كافر لأنّ الله تعالى نصّ على ذلك وبيّنه

وكذلك من قال انّ ثمر النخل والرّمان ليس فاكهةً لإفراد الله تعالى

ايّاهما بالتسمية بعد ذكر الفاكهة جملةً فهو جاهلٌ وخلاف

المعقول وخلاف لغة العرب اقول الفاكهة هي الثمر الذي لا يأكله

الانسان اشباعًا لبطنه بل يأكله للذة النّفس لأنّه ان اكلها كالغذاء

لم توافق مزاجه ويكون سببًا لانحراف المزاج - كالعنب والرّمان

مثلاً قال الاطباء إنّ قشر العنب باردٌ يابسٌ - وحشوه حارٌّ

رطبٌ وحبته باردٌ يابسٌ جيّد لغذاءٍ واكله على قدر المعتاد

يولّد السّمن ويقوي الحرارة الغريزية وعلى غير المعتاد

يضرّ المثانة واما الرمّان فهو قسمان رمّان الحلو ورمّان الحامض

امّا الاوّل فهو باردٌ رطبٌ في الاولى - وامّا الثاني فهو باردٌ يابسٌ

في الثانية يقمع الصّفراء ويمنع سيلان الفضول الى الاحشاء

ويخشن الصدر والحلق والحلو يقوي الصدر وينفع السّعال ويظهر

بهذا انّ العنب والرمّان فاكهةٌ ودواءٌ والذلك يدخلان في

الفواكه والادوية فلا يكون حكمهما حكم الفواكه من كلّ الوجوه

ومن ثمّ قال الامام ابو حنيفة رضي الله عنه انّ من حلف ان لا

يأكل فاكهة ثم اكل عنبًا او رمّانًا لم يحنث لجواز انّ يأكله للدّواء

لا على طريق التفكّه - ولنعم ما قال صاحب الكشّاف فان قلت لم

عطف النّخل والرمّان على الفاكهة وهما منها - قلت اختصاصًا

لهما وبيانًا بفضلهما كأنّهما لما لهما من المزيّة جنسان اخران

كقوله تعالى وجبريل وميكائيل - او لانّ النّخل ثمره فاكهةٌ وطعامٌ

و الرُّمَّان فاكهة و دواء فلم يخلصا للتفكه و منه قال ابو حَنيفة
رحمه الله اذا حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث
وخالفه صاحباه - قال الازهري لم العرب يعرف هذا السر الدقيق ولم
يدخو امر الفواكه من حيث الطب جهل عن حقيقة الرمان و
العنب فمع جهالته و بلادته اطلق لفظ الجاهل على من كان راس
الائمة المجتهدين و اعظمهم و سيد العلماء الراسخين و اكرمهم
و لعمري ان هذا الجاهل اثبت الجهالة لنفسه بنفسه فمن اثار
الغبار على وجه الشمس املأ عينيه - وَ اَبًّا ۙ اختلف في معناه
الاول هو كل شيء ينبت على وجه الارض وهو قول الضحاك
و الثاني هو الثمار الرطبة وهو قول ابن عباس - و ابي طلحة
الثالث هو النبات الذي ياكله الدواب و لا ياكله الناس وهو
ايضا قول ابن عباس و روي عنه انه الكلأ و المرعى وهو قول الفراء
و الرابع هو التبن وهو ايضا قول ابن عباس و الخامس هو جميع الكلأ
الذي تعتلفه الماشية و عن انس ان عمر قرأ على المنبر فانبتنا فيها
حبا و عنبا الى قوله و ابا قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض
عصا كانت في يده فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك ان لا
تدري ما الاب اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه - وما لم
تعرفوه فكلوه الى ربه - مَّتَاعًا لَّكُمْ - منصوب بانبتنا - وَلِاَنْعَامِكُمْ
جمع نعم وهي الابل و البقر و الغنم - فَاِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ قال
ابن عباس الصاخة من اسماء يوم القيامة - قال ابن الاعرابي
الصاخة - وهي التي تورث الصمم - قال الخليل هي صيحة تصخ الاذان

حتى تصمها الشدة و قعها و الاصل فيه ان الصخ الضرب بالحديد على الحديد و العصا الصلبة على شيء مصمت - قال ابو اسحق الصاخة الصيحة التى تكون فيها القيامة و به فسر ابو عبيدة و هي اما مصدر و اما ان تكون اسم فاعل من صخ يصخ - يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ يوم بدل من قوله تعالى اذا جاءت او منصوب بفعل مقدر اى اعنى - و فى هذه الآية تهويل عظيم واقع فى ذلك اليوم لان الانسان اذا ابتلى يرجع الى اولى القرابة رجاء ان ينصروه و يرفدوه فيزول عنه همه الذى ضاق به صدره اما فى ذلك اليوم فانه يفر منهم و ذلك اما لفرط التوحش او لعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا لما قال الله تعالى يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا - او لمخافة انهم يحتاجوا اليه من شيء و انه لا يقدر على كشف الكروب و الشدائد عن نفسه فكيف يقدر على ازالة كرائبهم و المراد بالفرار عدم المواسات و انما بدأ كلامه بقوله اخيه لان اول من عامل معاملة الفرار و التباعد هابيل فانه كان يفر من قابيل و كذلك كان يفر ابراهيم عليه الصلوة و السلام من ابويه لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ - اى فى يوم القيامة - شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ - من اسفر الصبح اذا اضاء اى وجوه يومئذ مضيئة مشرقة ضَاحِكَةٌ اى مسرورة - مُسْتَبْشِرَةٌ ۝ بما نالته من الثواب من رحمة الله و كرامته على حالهم - فهذه حال السعداء من الصالحين - و اما حال الاشقياء فقال - وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ اى كدورة و ظلمة

بالمعصية - ترهقها - تغشاها - قترة اى كدورة مسودة وانشد
ابو عبيدة للفرزدق

متوّج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا

اولئك هم الكفرة - جمع كافر - الفجرة جمع فاجر دلت هذه
الاية على ان اهل النار هم الكافرون فلا يدخل صاحب الكبيرة
فيها لانه ليس كافرا فهو اما يعذب فى القبر او يغفره الله بفضله
وهذا هو الحق عندنا - تم تفسير هذه السورة بحمد الله رب العلمين
والصلوة على محمد خاتم المرسلين وعلى اله واصحابه اجمعين

سورة التكوير تسع وعشرون اية وهى مكية بلا خلاف

قال ابن عباس رض نزلت بمكة - وكذا روى عن عائشة رضى الله عنها

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لا يقال البصريون ومنهم الزمخشرى فع الشمس
بفعل محذوف وذلك لان اسماء الشرط والجزاء تستدعى الفعل
والكوفيون اجازوا وقوع المبتدأ بعد اذا وهو قول الاخفش
قال الليث الكور لوث العمامة يعنى ادارتها على الراس وقال
النضر كل دارة من العمامة كور ومنه قول ابى ذؤيب

وصرّاد غيم [illegible]

فالاصل فیہ ھو اللفّ و الجمع و معنی کُوِّرَتِ الشمس جُمِع ضوءھا ولُفَّ کما تُلفّ العِمامَۃُ - وھذا قول الاخفش و ابی عبیدۃ و لفّ الشمس کنایۃ عن مسخہا و ذھاب نورھا کما قال قتادۃ وھو قول الفراء و قال عکرمۃ ای نُزِع ضَوءُھا - و قال الربیع بن خُثَیم معناہ رُمِیَ بِھا و قال ابن عباس کُوِّرَتْ غُوِّرَتْ و فی الحدیث یُجَاءُ بالشمس وَالْقَمَرِ ثَوْرَیْنِ یکوّرانِ فی النّار یوم القیامۃ ای یلفّان و یُجمعان و یُلقیان فیہا و ثَوْرَین بالثاء المثلّثۃ کانّھما یُسحَبَانِ - ویقال کَوَّرَہ ای القاہ مجتمعًا و انشد ابو عبیدۃ -

ضَرَبْنَاہُ اُمَّ الرَّاسِ وَالنَّقعُ سَاطِعٌ فَخَرَّ صَرِیعًا للیدینِ مُکَوَّرًا

فیکون المعنی اذا الشمسُ لُفّت و جُمع ضوءُھا - وَاِذَا النُّجُوْمُ انْکَدَرَتْ و الکدر ضدّ الصّفاء و فی الصحاح خلاف الصّفو - و منہ قول ابن مطیر الاسدی -

وَکَائِنْ تَرٰی مِنْ حَالِ دُنیا تَغَیَّرَتْ وَحَالٍ صَفَا بَعْدَ اکْدِرَارٍ غَدِیْرُھَا

و علی ھذا یکون المعنی و اذا النّجوم ذَھَبَ نورھا و صفائھا - و قال الخلیل یقال انکدر علیہم القوم اذا جاؤا ارسالًا حتّی ینصبّوا علیہم و الیہ ذھب ابو عُبَیدۃ - و قال ابن عباس انکدرت تغیّرت وھذا المعنی قریبٌ من الاصل و المعنی الاول ھو الاولی لانّ الحقیقۃ مقدّمۃ علی المجاز فلا یُصار الیہ الا عند تعذّرھا او ھجرھا وَاِذَا الجِبَالُ سُیِّرَتْ ای اُقتلعت عن الارض بنفخ الصور و سیّرت کما تسیر السحاب فی الجوّ - و منہ قولہ تعالٰی - و یوم نُسَیِّرُ الجِبَالَ وَتَرَی الْاَرْضَ بَارِزَۃً - وَاِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ جمع عُشَراءَ

يقال ناقة عشراء اذا مضى لحملها عشرة اشهر - وقيل ثمانية والاول اولى لمكان لفظه - فاذا وضعت لتمام سنة فهي عشراء - ومنه قول الفرزدق

كم عمة لك يا جرير و خالة فدعاء قد حلبت على عشاري

قال الفراء والمعنى ان لقح الابل عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم ولا يعطلها قومها الا في حال القيامة - وَإِذَا الْوُحُوشُ - اى دواب البر والاجام وانعامها - حُشِرَتْ - قرأ الجمهور بالتخفيف وقرأ الحسن بالتشديد قال ابن عباس معناها اى جمعت بالموت لانه لا يقف احد من قف الحشر الا الثقلين وذلك لانها غير مكلفة اجماعا - وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ - قال ابن عباس اى اختلطت ومنه قول زهير ابن ابى سلمى -

لقد نازعتم حسبا قديما وقد سجرت بحارهم بحاري

وقال ثعلب سجرت اى ملئت وهو قول الزجاج - قال ابن سيده ولا وجه له الا ان تكون ملئت نارا او جاء في التفسير ان البحر يسجر فيكون نار جهنم وقال على بن ابيطالب عليه السلام في تفسير قوله تعالى والبحر المسجور اى المسجور بالنار - وقال كعب البحر جهنم يسجر - وقرئ بالتخفيف والتشديد والمعنى ان مياه البحار تصير مسعرة كجمر اهل النار ولعل ذلك التسجير يكون بالحرارة المركزية لان نفخ الصور يقلب طبقات الارض فيصير عاليها سافلها وسافلها عليها فيسخن ماء البحار بهذه الحرارة وقد ثبت ان الحرارة المركزية هي التي تذيب المعادن حتى تدوم سائلة بها فيمكن ان توقد البحار بها وتشتعل مياهها كالنيران - وقيل سجرت اى يبست وذهبت مياهها - حتى لم يبق منها قطرة - وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ اى تقارنت النفوس باجسادها - وذلك بعد النفخ الثانى - وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

وفسلوفم ... واذا الموؤدة سئلت

سُئِلَتْ - و الموؤدة المدفونة حية و كانت العرب دفنوا بناتهم حية
مخافة الاملاق و خشية الاسترقاق او العار - يقال وأد بنته يئدها وأدا
اذا دفنها حية - و كانت هذه عادتهم حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى - وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ اِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَاِيَّاكُمْ
و قال فى موضع اٰخر وَاِذَا بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِالْاُنْثٰى ظَلَّ وَجْهُهٗ مُسْوَدًّا
وَّهُوَ كَظِيْمٌ - يَتَوَارٰى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوْٓءِ مَا بُشِّرَ بِهٖ اَيُمْسِكُهٗ عَلٰى هُوْنٍ
اَمْ يَدُسُّهٗ فِى التُّرَابِ - و انشد الاعرابى -

وَمَا لَقِيَ الْمَوْؤُدُ مِنْ ظُلْمِ اُمِّهٖ ... كَمَا لَقِيَتْ ذُهْلٌ جَمِيْعًا وَعَامِرٌ

اراد من ظلم امه اياه بالوأد - و منهم من كان يئد البنين عند المجاعة
و كانت كندة تئد البنات قال الفرزدق يعنى جده صعصعة بن ناجية

وَجَدِّىَ الَّذِىْ مَنَعَ الْوَائِدَاتِ ... وَاَحْيَا الْوَئِيْدَ فَلَمْ يُوْأَدِ

حكى ان الاعراب اذا ولدت لهم بنت فان اراد قتلها يحفر فى
الصحراء بئرا فيقول لامها طيبيها و زينيها ثم يذهب بها الى ذلك
البئر و يقول لها انظرى فيها فيدفعها و يهيل فيها التراب حتى يملأ البئر
و يستويها - و قيل كانت الحامل اذا قرب وضعها حفرت حفرة
فتمخضت على راسها اى على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها
فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته - قرأ الجمهور سُئِلَتْ مبنيا للمفعول
و هذا السؤال هو توبيخ الوائدين و تبكيت لهم لان سوالها يؤول
الى سؤال الفاعلين للوأد و ذلك لان ظاهر حال الموؤدة يشهد
بانها فى حالة لا يمكن ان يصدر منه الذنب و مع ذلك قتلت فلا يكون
قتلها الا بغير الذنب فيكون هذا السؤال زجرا و تحذيرا لقاتلها

و قرأ الحسن و الاعرج سِئلت بکسر السین و ذلک علی لغۃ من قال
سأل بغیر ھمزۃ - وقرأ عبد اللّٰہ ابن مسعود و علی رضی اللّٰہ عنہما
و ابن عباس و جابر بن زید سألت مبنیًا للفاعل و قتلت بسکون
اللام و ضم التاء حکایۃ لکلامھا حین سئلت - بِاَیِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ
ای الموؤدۃ - وَ اِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ - ای صحائف اعمال العباد
نُشِرَتْ بالتشدید و التخفیف ای کشفت و فتحت فیقف کل انسان
علی صحیفتہ فیقول ما لھذا الکتب لا یغادر صغیرۃ و لا کبیرۃ الا احصٰھا
قرأ نافع و ابن عامر و ابو عمرو نُشِرَتْ و قرأ الباقون بالتشدید
وَ اِذَا السَّمَآءُ کُشِطَتْ - و قرأ ابن مسعود قُشِطَتْ قیل ابدال
الکاف بالقاف کثیر فی کلامھم - قال ابن سیدہ و لیست الکاف
فی ھذا بدلا من القاف لانھما لغتان لاقوام مختلفین - قال یعقوب
تقول قریش کشط و تمیم یقولون قشط و التنزیل جاء بلغۃ قریش
یقال کشطت البعیر کشطًا نزعت جلدہ و لا یقال سلختہ لان العرب
لا تقول فی البعیر الا کشطتہ او جلدتہ و کشط فلان عن فرسہ
الجل و قشطہ و نضاہ بمعنی واحد قال الفراء کشطت ای نزعت
وطویت و قال الزجاج معنی کشطت و قشطت قلعت قال اھل اللغۃ
اذا تقارب الحرفان فی المخرج تعاقبا فی اللغات - و فی حدیث
الاستسقاء فتکشط السحاب ای تقطع و تفرق - وَ اِذَا الْجَحِیْمُ سُعِّرَتْ
ای اوقدت ایقادًا - وَ اِذَا الْجَنَّۃُ اُزْلِفَتْ - ای قربت - یقال
زلف الیہ و ازدلف و تزلف ای دنا منہ - قال الزجاج ای قرب
دخولھم و نظرھم الی الجنۃ - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ اَحْضَرَتْ - من الدنیا

الى الآخرة من الاعمال الصالحة او الطالحة عند المحاسبة وتعلم
انها تستحق بها الجنة او النار ومعنى علمها بها مشاهدتها او معرفة
احوالها فان كانت صالحة يشاهدها ممثلة في احسن صورة وان
كانت طالحة يشاهدها في اقبح هيئة فيقع في التعب والكرب
اذا شاهدها على خلاف ما يتوقع بها - كالكفار مثلاً فانهم كانوا
يعتقدون - ان عبادة الاوثان طاعة وانهم يشفعونهم فيعاينون
على خلاف ما كانوا يعتقدون بها فيحيط بهم الخشية والدهشة -
فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ - الخنس جمع خانس وهو المتأخر
والمراد بها الكواكب الدراري التي تخنس في مجراها ويراد بها زحل
والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد فهذه الكواكب ترجع حتى
تخفى تحت ضوء الشمس يقال لها المتحيرة اي التي ترجع في سيرها
وتستقيم - والكنس جمع كانس وهي النجوم تطلع جارية وكنوسها
ان تغيب في مغاربها التي تغيب فيها - وهذا قول الزجاج - وقال
الفراء في الخنس الكنس هي النجوم الخمسة تخنس وتستتر كما تكنس
الظباء في المغار وهو الكناس - وجمعه كنس وكنس وكنوس
وانشد ابن الاعرابي -

وَالْانعامَا بِهَا خِلْفَةً وَالْاظِبَاءُ كُنُوساً وَذِيبَا

وانشد ثعلب

دار لليلى خلق لبيس لَيْسَ بِهَا مِنْ اَهْلِهَا اَنِيسُ
اِلَّا الْيَعَافِيرُ وَاِلَّا الْعِيسُ وَبَقَرٌ مُلْمَعٌ كُنُوسُ

وهذا قريب مما ذهب اليه المنجمون فانهم قالوا ان الكواكب

المذكورة ترجع في سيرها ثم تستقيم بخلاف النيرين اعني الشمس
والقمر فانهما لا تقبلان الرجعة - وحين ما ترجع تختفي تحت
ضوء الشمس اختفاؤها عند هم احتراقها فلا تظهر انوارها في
المنازل وقيل الخنوس هو تباعدها من المطلع واقرب المطالع
سمت الرأس فاذا مالت المنطقة الى الجنوب او الى الشمال تأخذ
في التباعد فعلى هذا ايراد بالخنوس هو التباعد عن المطلع بالكنوس
الرجوع اليه هذا ملخص ما ذكره المفسرون - والليل اذا عسعس
قيل هو اقبال الليل وادباره قال الفراء اجمع المفسرون على ان
معنى عسعس ادبر قال وكان بعض اصحابنا يزعم ان عسعس
معناه دنا من اوله واظلم وكان ابو البلاد النحوي ينشد

عسعس حتى لو يشاء ادنا كان له من ضوئه مقبس

وقال ادنا اذ دنا - فادغم - قال وكانوا يقولون ان هذا البيت
مصنوع - وقال ابو عبيدة وابو اسحق عسعس معناه ادبر واقبل وانشد ابو عبيدة

مدرعات الليل لما عسعسا اى اقبل

وقال الزبرقان -

وردت بافراس عتاق وفتية فوارط في اعجاز ليل معسعس

ولذلك قال ابو حاتم وقطرب يذهبان الى ان هذا الحرف من الاضداد
وقال ابن الاعرابي العسعسة الظلمة - اقول وفي هذه الآية
ينبغي ان يراد به ادبر - لانه تعالى قال بعد ذلك - والصبح اذا تنفس
اى اسفر والمراد به الصبح الصادق لان الاسفار لا يكون الا فيه -
ولا يطلع في الافق الا اذا بقيت من سير الشمس اثنا عشر درجة

مِنْ دَائرۃ منطقۃ البروج - وقال الفرّاء معناہ اذا ارتفع النهار حتی یصیر النهار بیّنًا فیقال هو تنفس الصبح - وقال الاخفش اذا اضاء وقیل معناہ انشقّ وانفلق - اِنَّهٗ - ای القران المجید - لَقَوْلُ رَسُوْلٍ کَرِیْمٍ - هذا جواب قسم - والرسول الکریم هو سیّدنا جبریل علیه الصلوۃ والسلام - والمعنی ان القران المجید اُلقِیَ اوّلًا فی نفس جبریل علیه الصلوۃ والسلام فانزل جبریل علیه الصلوۃ والسلام واَوحَی القرآن الی رسول الله صلی الله علیه وسلم بقوله - فان قیل ان القران لیس کلام الله بل هو قول جبریل علیه الصّلوۃ والسّلام کما یدل علیه هذه الآیة - وجوابه علی ما ذکرہ المفسرون ان اسناد القران الی قول جبریل علیه الصّلوۃ والسلام لکونه مُلقیًا الی رسول الله صلی الله علیه وسلم وذلک کقولهم السحاب ماطرٌ والسّحاب لیس بماطرٍ حقیقةً بل الله یُنزِلُ المطر من السحاب وانّما اسند الی السحاب فلانّ المطر یقطر من السحاب فلادنی هذہ المناسبة اسند المطر الی السحاب ویسمی هذا الاسناد اسنادًا مجازیًا فکذلک القرآن کلام الله حقیقةً لکنه اذا اُلقی هذا الکلام الی النبی صلی الله علیه وسلم بواسطة جبریل علیه الصلوۃ والسلام اسند الله تعالی الیه علی طریق المجاز المتعارف عند العرب - ذِیْ قُوَّۃٍ - قال الامام الرازی روی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال لجبریل علیه السلام ذکر الله قوتک فما ذا بلغت قال رفعتُ قریاتٍ قوم لوطٍ الاربع علی جناحی حتی اذا سمع اهل السماء نباح الکلاب واصوات الدجاج قلبتُها ولا یُبعد اَنْ یقال انّ الزلازل تحدث باسبابٍ مختلفةٍ فمنها سماویة

في رد من زعم ان جبرئيل عليه السلام افضل من سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم

ومنها ارضية فيجوز ان يكون هذه الزلزلة الشديدة التي بها
هلكت قوم لوط عليه الصلوة والسلام بأسباب سماوية حادثة
بقوة جبريل عليه الصلوة والسلام ولا ما نع فيها - عند ذي
العرش مكين - والمراد بذي العرش هو الله تعالى وبالمكين عند ذي
العرش جبريل عليه السلام - والمراد بالعندية عندية الاكرام والشرف
اي هو مشرف مكرم عند الله من سائر الملائكة مطاع - اي آمر الملائكة
ورئيسهم - ثم - اي عند ذي العرش - امين - اي على وحي الله تعالى
ورسالاته وما صاحبكم - اي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمجنون - كما قال هؤلاء الظالمون قال الامام فخر الدين الرازي رحمه
الله في تفسيره واحتج بهذه الاية من فضل جبريل عليه السلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انك اذا وازنت بين قوله تعالى
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين - وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ظهرت التفاوت العظيم
اقول وهذا القول باطل لانه قد تحقق عند اهل السنة ان انبياء البشر
ورسلهم افضل من رسل الملائكة بالاجماع فالقول بافضلية جبريل
عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرقه - وقد دل قصة آدم
عليه الصلوة والسلام على انه مسجود جميع الملائكة سواء كانت سماوية
او ارضية كما يدل عليه قول الله تعالى تبارك فسجد الملائكة كلهم
اجمعون فالاستغراق بالالف واللام مع التاكيد بقوله كلهم واجمعون
يدل دلالة باهرة على ان الملائكة كلهم كانوا ساجدين لادم عليه
الصلوة والسلام وظاهر ان المسجود افضل من الساجد فادم عليه الصلوة

والسلام افضل من الملائكة كلهم وثبت بالاجماع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل من آدم عليه السلام وجميع ولده فوجب
ان يكون افضل من الملائكة كلهم قطعا - ولان آدم عليه الصلوة
والسلام اعلم من الملائكة كلهم والاعلم افضل من غيره قطعا - اما انه
عليه الصلوة والسلام اعلم من الملائكة فهو امر منصوص عليه كما قال
الله تعالى - وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال
انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين - قالوا سبحانك لا
علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم - قال يا آدم انبئهم
باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون - فثبت
بهذا ان آدم عليه الصلوة والسلام عالم جميع الاسماء سواء كانت اسماء
المخلوقات او اسماء الخالق وان الملائكة عجزوا في هذه المعارضة وقالوا
لا علم لنا الا ما علمتنا - اما بيان ان الاعلم افضل من غيره فلقوله تعالى
يرفع الله الذين اوتوا العلم درجات ولقوله تعالى وانما يخشى الله
من عباده العلماء - فعلة خشية الله تعالى هو العلم وكماله علة لكمال
خشيته فوجب ان يكون العالم افضل من غيره - ولان العلم صفة الله
حقيقة فمن اتصف بهذه الصفة على طريق الكمال لا شك في كونه
افضل من غيره فثبت ان آدم عليه الصلوة والسلام افضل من الملائكة
في صفة العلم - ثم الاجماع من الصحابة رضي الله عنهم منعقد على
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من آدم عليه السلام ومن
جميع الانبياء والمرسلين عليه السلام وجميع الانبياء عليهم السلام

افضل من جبريل عليه السلام فرسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل عليه السلام - اما صفاته المذكورة في هذه الآية فهي تدل على انه عليه السلام افضل الملائكة لانه رسولهم ومطاعهم ولا دلالة لها على انه افضل من رسل البشر ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي ان يستدل بهذه الآية على كونه عليه السلام افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولا يخفى عليك ان المراد بالافضل عند اهل السنة من هو اكثر ثوابا عند الله تعالى والثواب وان كان بدل الاعمال الصالحة لكنه عندنا اثر فضل الله ورحمته وذلك لان من عمل عملا صالحا في جميع عمره بالاخلاص التام وصدق النية فانه لا يساوي بانعام واحد انعمه الله تعالى على عبده بفضله الجزيل فاذا كان كذلك ليس على الله تعالى حق العبد بوجه من الوجوه لكن الله تعالى يعطيه ثواب اعماله بفضله وكرمه ثم الذي يعمل عملا صالحا على قسمين الاول هو الذي لا يصده احد عن طاعة الله تعالى والثاني هو الذي تصده موانع كثيرة ويعوقه عوائق عديدة عن الاشتغال في طاعته فالاول هو الملك فان كل واحد من الملك نور نقي طاهر عن الادناس البشرية مجرد عن الغواشي الهيولانية فلا يمنعه مناع الخير فلا يمتنع من العبادة من الازل الى الابد - والثاني هو البشر فهو المركب من روح لطيف وجوهر علوي وجسم كثيف وعرض سفلي فلا يريد الى الخير الا ويعوقه عائق من قوى جسمانية فيميله الى شر وشقاء ويوجهه الى خيبة وضلالة فمع هذه الدواعي والموانع ان توجه احد منه الى طاعة الله باخلاص

الدنیة کان ثوابه عند الله اوفر من ثواب الملك فیکون افضل عند الله باعتبار هذا المعنی۔ اما الذی لا یستطیع علی مقاومة النفس ویرضی عن الذی وجهت الیه ویحبه یکون خاسرا وشقیا ولنعم ما قال معد یکرب

برانی حب من لا استطیع ومن هو للذی اهوی منوع

واما قوله تعالی وما صاحبکم بمجنون۔ فهو رد علی کفار مکة لانهم کانوا یخاطبونه صلی الله علیه وسلم مرة بالکاهن ومرة بالمجنون لعنهم الله ویقولون ان ما قال محمد صلی الله علیه وسلم لیس کلام الله حقیقة بل هو کلام جعله من عند نفسه وصاغه کما یصوغه العرب العرباء فالله تعالی شانه یردهم ویقول ان القرآن کلام الله حقیقة اوحاه الله بقول رسوله الکریم الذی هو جبریل الی محمد صلی الله علیه وسلم فما یقوله الظالمون باطل۔ ولقد راٰه بالافق المبین وهو الافق الاعلی من المشرق حیث تطلع الشمس روی انه صلی الله علیه وسلم رای جبریل علیه السلام مرتین فی صورته الاصلیة مرة راٰه فی جبال عرفات ومرة عند سدرة المنتهی۔ وقد ذکرنا فی تفسیر سورة النجم مسئلة رویة النبی صلی الله علیه وسلم فلا نردها

وما هو۔ ای النبی صلی الله علیه وسلم۔ علی الغیب۔ علی الوحی الذی القاه جبریل علیه السلام الی قلبه۔ بضنین۔ قری بالظاء قال المبرد الظنین المتهم واصله المظنون وهی من ظننت الذی یتعدی الی مفعول واحد تقول ظننت زیدا ای اتهمت والنشد لعبد الرحمن بن حسان رض

فلا ویمین الله لا عن جنایة هجرت ولاکن الظنین ظنین

ونسب ابن برى هذا البيت الى نهار بن توسعة - وفي الحديث
لا يجوز شهادة ظنين اى متهم - وهذه قراءة قرأها ابن كثير
وابو عمرو والكسائى ومجاهد وابن مسعود رضى الله عنه وعائشة
رضى الله عنها - واختارها ابو عبيد - وقرأ الباقون بالضاد اى
بضنين بمعنى بخيل وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما - يعنى ان النبى
صلى الله عليه وسلم لا يبخل بالوحى ولا يقصر بالتبليغ والقراءة
الاولى مشهورة - قال الفراء وقرأ زيد بن ثابت وعاصم واهل
الحجاز بضنين وهو حسن يقول يأتيه غيب وهو منفوس فيه فلا
يبخل به عليكم ولا يضن به عنكم - ولو كان على مكان عن صلح
او الباء كما تقول ماهو بضنين وقال الزجاج ماهو على الغيب
بخيل اى هو صلى الله عليه وسلم يؤدى عن الله ويعلم كتاب الله
اى ماهو بخيل كتوم لما اوحى اليه - وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰنٍ رَّجِيْمٍ
وهذا تردید لاقاویل الکفار لانهم کانوا یقولون ان الشیطان
يلقى الكلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فنفى الله ذلك عنه - فَاَيْنَ
تَذْهَبُوْنَ - قال الزجاج معناه اى طريق تسلكون ابين من
هذه الطريقة - يقال اين تذهب والى اين تذهب - اِنْ هُوَ
اى ما القران - اِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعٰلَمِيْنَ - الا موعظة للخلق اجمعين
والمراد بالعالمين المكلفون - لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ - بدل من قوله للعالمين
اَنْ يَّسْتَقِيْمَ - اى لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والايمان
والطاعة - وَمَا تَشَآءُوْنَ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ - اى
وما تشاؤن الاستقامة على طريق الحق الا بمشية الله رب العالمين

فظهر لك من ذلك ان الاستقامة على طريق الحق تتوقف على ارادة الاستقامة - وارادة الاستقامة تتوقف على مشية الله فالاستقامة على طريق الحق تتوقف على مشية الله - فبطل مذهب المعتزلة لان المشية الاختيارية المستتبعة للاستقامة شيء حادث وكل حادث فله محدث فيجب ان يتوقف حدوثه على مشية المحدث وح لا يجوز ان يقال ان العبد فاعل المشية وخالق لفعله - والله اعلم بمراده فالحمد لله القدير والصلوة على نبيه البشير والنذير - وعلى اله و اصحابه الذين هداهم للناس كالسراج المنير

سورة الانفطار تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله - اذا السماء انفطرت - اى انشقت - وهذه الاية تدل على ان الفلك يقبل الخرق والانشقاق والفلاسفة ينكرون امكان الخرق على المحدد الاعظم اعني الفلك الاعلى ويقولون ان الفلك قابل للحركة المستديرة فلابد ان يكون فيه ميل مستدير - والخرق يقتضي الحركة المستقيمة فلابد ان يكون فيه ميل مستقيم - فح يجب ان يوجد فيه ميلان متضادان فلا يكون الفلك بسيطا وقد ثبت في موضعه انه بسيط فالقول بالخرق والانفطار بالنسبة الى الفلك باطل - وجوابه على مذهبهم ان كل جسم مركب من الهيولى والصورة

فالفلك ايضاً مركب من الهيولى والصورة وح يكون الاجسام كلها
متماثلة في كونها مركبة من الهيولى والصورة فيجب ان يصح على كل
واحد منهما ما يصح على الاخر فاذا يصح الخرق والانفطار على الاجسام
السافلة يجب ان يصح ذلك على الاجسام العالية لان التماثل بين
الشيئين يوجب اتحاد الحكم فيهما فمتى صح حكم على واحد منهما وجب
ان يصح ذلك على الاخر- وما قالوا ان الفلك لا يقتضى لا الميل
المستدير فهو ايضاً منظور فيه لانه يجوز ان يقال ان طبيعة
الفلك تقتضى الميل المستدير بشرط الحصول في الحيز الطبيعي وتقتضى
الميل المستقيم بشرط الخروج من الحيز كما ان الحكماء يقولون ان
طبيعة كل عنصر يقتضى الحركة بشرط الخروج من الحيز الطبعي
وتقتضى السكون بشرط الحصول في الحيز الطبعي- واذا كان ذلك
كذلك يجوز ان يحدث في الفلك مبدأ ميل يقتضى الميل المستقيم
بمعنى ان صورته النوعية تقتضى ذلك الميل اذا كان جسم الفلك
خارجاً عن حيز الطبعي وذلك لان الحركة على الاستدارة ليست لازمة
له بل الحركة المطلقة ليست من لوازمه لان الجسم الفلكي يقتضى
الحركة والسكون كما ان الجسم المطلق يقتضى ذلك- فيجوز له
ان يتحرك على الاستقامة فتقبل الانفطار والانشقاق على تقدير
خروجه عن الحيز الطبعي ويتحرك على الاستدارة ولا يقبلها على
تقدير حصوله في حيزه- وذلك لان خالقه وهو البارى عز اسمه
فاعل مختار عندنا فيجوز له ان يخرجه من الحيز الطبعي الى غيره فمتى
لم يبطل هذا الاحتمال لم يتم دليلهم- فيجوز ان يكون الفلك كائناً

و فاسداً او منخرقاً و ملتئماً - فالقول بانّ الفلك يقبل الانفطار و الانشقاق حق - وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ - قال الراغب نثر الشيء بمعنى نشر - و هو استعارة لانقضاض الكواكب و انما يكون ذلك لوقوع الفساد في طبيعة الفلك و صورته و ظهور الخروق و الانفطار فيه - فيقع انتثار الكواكب و تساقطها من الفلك الى الارض - وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ - و يمكن تفجيرها بحدوث الزلازل العظيمة في الارض و تصادم الجبال بعضها مع بعض فتتغير البحور من صورتها الاصلية و تتبدل الصورة الارضية و تنسف الجبال بتلك الرواجف و لا يبقى شيئ حاجز بين البحر و الارض حتى يصير سائر البحور بحراً واحداً - قال ابن عباس فجرت بعضها في بعض - قرأ مجاهد مبنياً للفاعل مخففاً من الفجور - نظراً الى قوله بينهما برزخ لا يبغيان فلما زال البرزخ بغيا - و قرأ الثورى مبنياً للمفعول مخففاً - وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ - اى اثيرت و قلب اسفلها اعلاها فيخرج منها الموتى و ذلك لشدة وقوع الزلازل الحادثة بنفخ الصور و هيجان الرياح الهوج - عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ و المعنى انها علمته حين نشر الصحف و اراد بالنفس كل واحدة من النفوس فاللام للاستغراق و المراد بما قدمت الاعمال الصالحة التي لفوزها و فلاحها او القبيحة التي قدمتها لعذابها و عقابها و بما قدمتها اخرت الحسنات التي تاخرت منها في الدنيا كالولد الصالح و احياء السنة مثلاً او السيئات التي تاخرت منها كاحداث البدعة - و قيل المراد بما قدمت تقديم الفرائض و السنن و بما

اخّرت تضييعها - و قال قتادة ما قدّمت من معصية و اخّرت من طاعتها و قيل روى عن حذيفة رض قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من استنّ خيرًا فاستنّ به فله اجره و مثل اجور من اتبعه من غير منتقص من اجورهم - و من استنّ شرًا فاستنّ به فعليه وزره و مثل اوزار من اتبعه من غير منتقص من اوزارهم و تلا حذيفة علمت نفس ما قدّمت و اخّرت اخرجه الحاكم و روى عن ابن مسعود رض قال ما قدّمت من خير و ما اخّرت من سنّة صالحة يعمل بها بعده فانّ له مثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئًا او سنّ سنة سيئة يعمل بها بعده فانّ له مثل اجر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيئًا - و قيل بما قدّمت قبل اشراط الساعة لانّ ظهورها يوجب عدم افادة العمل فيكون الاعمال غير نافعة - او قبل احتضار اذا الموت لانّ بعد احتضارها لا ينفع العمل و بما اخّرت الاعمال التي صدرت منه بعد ظهور اشراط الساعة او بعد الاحتضار - يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ - يراد به الكافر و قيل يعمّ المؤمن و الكافر - مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الغرور الخداع - اى اىّ شيئ خدعك بربك الذى هو يربيك الى اخر حياتك و يحفظك من كل بلاء الى اخر عمرك و وصفه بالكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار لوجود الجاه و الاموال و الاشتغال في تكميل اللذائذ و الشهوات - فاذا كان منعمك موصوفًا بصفة الربوبية و الكرم لا يجوز لك ان تجنح الى غيره و تميل الى اللهو و اللعب لانّه كما هو موصوف بالرحم و الكرم كذلك موصوف

بالقهر والانتقام فكما يرجى برحمته وكرمه كذلك يخشى بقهره ونقمه قال صاحب الكشاف ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة - ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله - وقال عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله - وقال الحسن والله شيطانه الخبيث اى زين له المعاصى وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك اخرا حتى ورطه۔ الَّذِيْ خَلَقَكَ وما كنت شيئا - فَسَوّٰكَ - اى جعلك سويا سالم الاعضاء كامل القوى بحيث تسمع وتبصر وتفعل ما تريد - فَعَدَلَكَ - اى جعل خلقك متناسب الاعضاء متعادل الجوارح ولم يجعل بعضها اقصر من بعض بل خلقك مستوى القامة معتدل الخلقة حسن الصورة جميل السيرة واعطاك قوى ظاهرة وباطنة - قرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف والجمهور بالتشديد واختار الاولى ابو عبيدة وابو حاتم - قال الفراء وابو عبيد يدل عليها قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم - اى جعل اعضاءك متعادلة لا تفاوت فيها ومعتدلة القوى لا اختلاف بينها فِيْٓ اَيِّ صُوْرَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ - اى ركبك فى اى صورة ما شاء والظرف متعلق بقوله ركبك - ونقل ابو حيان انه متعلق بعدلك قيل وهو ضعيف لان قوله اى صورة له صدر الكلام فلا يعمل

فيها ما قبلها - قال مجاهد و معنى قوله في اىّ صورة اى في اى شبه من اب او امّ او خال او عمّ - قيل و ما زائدة - اى فاختار لك من بين هذه الصور صورة عجيبة حسنة كقوله تعالى - وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ - و قيل شرطية و قوله ركّبك جوابها - و لم يعطف الجملة على ما قبلها لانّها بيان لعدلك - والمعنى انّ الله جلّ شانه خلقك في احسن صورة واجمل هيئة و ميّزك من سائر الحيوانات بتعديل القوى و تقويم الجوارح لكنّك لست شاكرا لله تعالى بهذه النّعم الجزيلة ولم تتامّل فيها فاغتررت بمخادعات نفسك و تسويلاتها و ما اطعت ربّك بل افنيت عمرك في عصيانك

كَلَّا - ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى - بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى في اغترارهم بكرمه و هو التكذيب بالدّين و المراد به يوم البعث و الجزاء - و ذلك يوجب كون التخليق عبثا و الامر ليس كذلك لانّ الحكيم لا يفعل عبثا بل يكون في فعله حكم و مصالح فالحكمة في خلقكم هو الجزاء على اعمالكم

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ - هذا ردّ لما يتوقعون من عبث التخليق و تعظيم كتبة الصّحائف والمعنى لا تظنّوا بانّ خلقتم سدًى بل جعلنا عليكم منّا حافظين وهم كتبة اعمالكم فانّهم يكتبون في صحفهم ما فعلتم نقيرا و قطميرا - يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ - من خير و شرّ - و المراد بالفعل هو الذى يصدر من الجوارح فلا يدخل فيه افعال القلوب كالخطرات و الوساوس التى خطرت فيها من جنس الخيرات و السيّئات فهى خارجة من افعال الجوارح فلا تكتب

فيها ـ ولا يعلمها الا الله تعالى ولا يخفى ان الله جل شانه يعلم الكليات والجزئيات سواء كانت مجردة او مادية فهو يعلمها بعلمه المتعالى عن الزمان والمكان فهو يعلم ما فعل عباده من خير وشر على الوجه الجزئى فليس له تعالى احتياج الى هذه الكتبة وهذا هو الذى ذهب اليه المعتزلة وجوابه بان الله تعالى ـ جعل الملائكة حفظة لاعمال العباد لسر لا يعرفه اهل الاعتزال ـ وهو ان الله تعالى جعل معاملة دار الأخرة مثل معاملة دار الدنيا ـ وبيانه ان الله جل شانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان لا يقضى قضاء الا بعد شهادة الشهود او قبول المدعى فكان النبى صلى الله عليه وسلم يطلب الشهادة فيسمع بيانهم ثم يفصل الخصومة ويقضيها ـ فالله تعالى يعامل فى دار الأخرة مثل ما امر نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الدار والا فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماء ولا فى الارض ـ فلا اشكال

ان الابرار لفى نعيم ـ اى فى نعيم الجنة فيتلذذون منها ويجدون فيها كل شئ يشتهونه ـ اعلم ان اللذات اما حسية واما خيالية واما عقلية ـ اما الحسية فامكانها فى ذلك العالم مثل وقوعها فى هذا العالم فهذه اللذات فيها رغبة لبعض الناس من المؤمنين وهى من الاغذية كاللبن والعسل واللحم الطرى ـ ومن الملابس كالحرير والاستبرق فهذه الاشياء تعظم فى اعين بعض المؤمنين ويشتهونها غاية الشهوة كما قال الله تعالى ـ ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون ـ واما الخيالية فهى كما يلتذ الانسان فى المنام وهى لذة مشابهة باللذة الحسية بحيث لا يفرق النائم بينهما الا انها منقطعة

تفسير قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم

في اليقظة - فلا يبقى اثرها في السامعة و الباصرة الا انها مخزونة
في خزانة الخيال - و اما العقلية فهي اعظم اللذات و المتلذذون بها
هم الانبياء عليهم السلام و الاولياء الصديقون فتلذذهم
هذه اللذة غير منقطعة عنهم ابدا فلا يتوجهون الى لذة حسية
مثل الوجوه الحسنة و الخدود المنضرة و القدود الرشيقة و القصور
العالية و الحدائق المثمرة و الانهار المفعمة من اللبن و العسل و غيرها
من اسباب السرور و الانشراح و الى خيالية لانها منقطعة بانقطاع
الخيال عنها فهم لا يتصورون الى سبب السرور بل يريدون نفس
السرور وهو قرب الله و معيته في كل حال - و لهذا القرب مدارج
بعضها فوق بعض و اعلاها لسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما اشار اليه في حديثه القدسي لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ
مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ - و بيانها على وجه الحقيقة وراء طريق العقل
و لتابعه الاتم المبشر بلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الله
يختم به الدين كما بدأ امنا - و هو المهدي الموعود خليفة الله كما ورد
ذلك في رواية ثوبان رض اخرجه ابن ماجة - وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ
و انما عطفت هذه الجملة على ما قبلها للتباين بها باعتبار المفهوم - و المراد
بالفجار هم الكفار و لا يدخل فيهم صاحب الكبيرة لان الله جعل الفجور
صفة لهم كما قال اولئك هم الكفرة الفجرة فصاحب الكبيرة لا يدخل
النار - لانها دار من يكذب بالله و رسوله كما قال الله تعالى على طريق
الحصر لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى - فصاحب الكبيرة
لا يوجد فيه صفة التكذيب و التولي - فلا يدخل النار ابدا - يَصْلَوْنَهَا

اى يدخلون النار - يَوْمَ الدِّيْنِ - اى يوم القيمة - وهو ظرف لقوله يصلونها وهو اما صفة للجحيم - ويجوز ان يكون فى محل نصب على الحال - قرأ الجمهور يصلونها مخففا مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول مشددا من التصلية - وَمَا هُمْ - اى الفجار - عَنْهَا - عن النار بِغَائِبِيْنَ - اى لا يفارقونها ابدا ولا يغيبون عنها بل هم فيها ابدا وَمَا اَدْرٰكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِ ثُمَّ مَا اَدْرٰكَ مَا يَوْمُ الدِّيْنِ فيه تعظيم لشان ذلك اليوم وتفظيع وتهويل للكفار - والمعنى اى شئ اعلمك به وهذا خطاب على وجه الزجر - كما قال الله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة - والتكرير لتعظيم يوم القيامة وفيه ازعاج وتهديد للمخاطب والظاهر انه يدل على ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - الا ان المخاطب فى الحقيقة هو الامة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اعلم بشان ذلك اليوم - يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ - من النفوس وان كانت صالحة - لِنَفْسٍ - اخرى - شَيْئًا - من النفع والضر فلا يشفع احد لاحد فى شئ من الامور والى اشار الله سبحانه من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه - اقول والمراد بالنفس الاخرى نفس الكافر لان الشفاعة ثابتة للرسل والانبياء فى حق اهل الكبائر بالكتاب والسنة اما الكتاب فهو قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين - فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعة فى الجملة والا لما كان لنفى نفعها عن الكافرين معنى - اما السنة ففوله النبى صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر وهو مشهور

بل الاحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى - قرأ ابن كثير
و ابو عمرو برفع يوم على انه بدل من يوم الدين او خبر مبتدأ
محذوف - و قرأ ابو عمرو في رواية عنه يوم بالتنوين والقطع
عن الاضافة - و قرأ الباقون بفتح يوم بتقدير اعني او اذكر
فيكون مفعولا به او على انها فتحة بناء لاضافته الى الجملة على رائ
الكوفيين و هو في محل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على
انه بدل من يوم الدين - قال الزجاج يجوز ان يكون في موضع
رفع الا انه بنى على الفتح - لاضافته الى قوله لا تملك - وما اضيف
الى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح و ان كان في موضع رفع وهذا
الذي ذكره انما يجوز عند الخليل و سيبويه اذا كانت الاضافة
الى الفعل الماضي و اما الى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما و قد
وافق الزجاج على ذلك ابو على الفارسي و الفراء - و اكثر هذا
هو الذي ذكره ابو حيان - وَالْاَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلّٰهِ - و الامر هو
السلطان و الحكم - اى ليس في ذلك اليوم حكم الا لله وحده

و مثله قوله تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّٰهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ - تم تفسير هذه السورة
بعون الله الكريم الغفار و
الصلوة على نبيه المختار و
على اله الاطهار و
صحبه الاخيار

سورة المطففين هي ست وثلاثون آية

هذه السورة مكية وهو قول عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه الضحاك ومقاتل۔ وقال ابن عباس رض وقتادة انها مدنية الا من ان الذين اجرموا۔ الى اخرها مكي وهي ثمان ايات۔ وقال ابن عباس رض نزل امر التطفيف في المدينة لانهم كانوا يفسدون في امر الكيل والوزن فاصلحهم الله تعالى في هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ۔ كلمة عذاب لمن وقع في عذاب وهلكة قالوا والمختار في ويل اذا كان غير مضاف هو الرفع۔ قال ابو اسحق ويل بالرفع ابتداء والخبر للمطففين۔ ولو كانت في غير القران لجاز ويلا على معنى جعل الله لهم ويلا۔ والرفع اجود في القران واصل الويل في اللغة العذاب والهلاك يدعى لمن وقع في عذاب وهلكة يستحقها وهو قول سيبويه ومنه قول الاعشى۔

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا   وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ

ولا يقال ويح في مثل هذا المقام لانه قد يكون فيه معنى الترحم قال الاصمعي الويل قبوح والويح ترحم وهو قول المازني وخالفه ابو زيد وقال الويل هلكة والويح قبوح والويس ترحم ولم يذكر سيبويه في الويس شيئا۔ لِلْمُطَفِّفِيْنَ۔ قال الزجاج المطفف هو الذي

ينقص المكيال و الميزان و هو قول ابى عبيدة و المبرد فيكون المعنى العذاب للذين ينقصون المكيال و الميزان - ذكر صاحب اللسان قال سيبويه في قوله تعالى - ويل للمطففين ويل للمكذبين - قال لا ينبغي ان يقال ويل دعاء ههنا لانه قبيح في اللفظ ولكن العباد كلموا بكلامهم وجاء القران على لغتهم على مقدار فهمهم فكانه قيل لهم ويل للمكذبين اى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم و مثله قاتلهم الله اجرى هذا على كلام العرب وبه نزل القران روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت هذه الاية قال الفراء فاحسنوه و جاء في الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم و ما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر و ما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت و لا طففوا الكيل الا منعوا النبات و اخذوا بالسنين و لا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر - الذين اذا اكتالوا على الناس اى اذا عاملوا الكيل قال الفراء و على الناس بمعنى من الناس و هو قول الزجاج - و قال و هما يعتقبان في هذا الموضع فان قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك و اذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك - يستوفون - الاستيفاء اخذ حق نفسه اى اذا اخذوا الكيل من الناس ياخذون حقوق انفسهم وافية تامة و هذا الاكتيال يضر الناس الا انهم لم يرفضوا هذه الصفة و لا يعتدونها شيئا - و هذه الجملة صفة موضحة لتطفيفهم الذى يستحقون به الذم و الدعاء عليهم بالويل - وَاِذَا كَالُوْهُمْ

اَوْ وَّزَنُوْهُمْ۔ قال الفرّاء والکسائی هذا علی لغة اهل الحجاز فانهم یتکلمون علی عادتهم بحذف اللام والتقدیر اذا کالوا لهم او وزنوا لهم۔ وقال عیسی بن عمر وحمزة انّ الضمیرین فی کالوهم او وّزنوهم للتاکید لما فیهما من ضمیر الجمع المذکر۔ ویجوز ان الوقف علی الواو۔ واعترض علیهما الفرّاء والزجّاج بانّه لو کان کذالک لکان فی المصحف الفٌ قبل قوله هم واجاب صاحب الکشاف انّ خط المصحف لم یُراع فی کثیرٍ منه حدّ المصطلح علیه فی علم الخطّ قال ابو حیّان و یجوز حذف اللام کقولک نصحتُ لکَ و نصحتُکَ و شکرت لک و شکرتُکَ انتهی فان قیل انّ الله سبحانه ذکر اوّلاً اذا اکتالوا ثم ذکر واذا کالوهم او وزنوهم فلِمَ لم یذکر الوزن اوّلاً۔ فجوابه ان الکیل قد یجیئ بمعنی الوزن باعتبار القرائن کما یقال کال الدنانیر ای وزنها کذا روی عن ابن الاعرابی خاصّة وانشد لشاعرٍ الکیل هو الوزن۔

قَارُوْرَةٌ ذَاتُ مِسْكٍ عِنْدَ ذِیْ لَطَفٍ مِنَ الدَّنَانِیْرِ کَالُوْهَا بِمِقْدَادِ

قال فامّا ان یکون هذا وضعًا واما انّ یکون علی النسب لانّ الکیل والوزن سَوَاءٌ فی معرفة المقادیر۔ ویُقال کل هذه الدراهم یریدون زن۔ وقال مرّةً کل مّا وَزِنَ فقد کیل وهما یتکایلان قالت امراةٌ من طیّ۔

فَیَقْتُلُ خَیْرًا بِامْرَئٍ لَمْ یَکُنْ لَهٗ نِوَاءٌ وَلٰکِنْ لَا تَکَایُلَ بِالدَّمِ

فالاکتیال یتناول الکیل والوزن وغیرهما و لذالک قال بعده واذا کالوهم او وّزنوهم۔ یُخْسِرُوْنَ۔ قال الزجّاجُ الخسران

والاخسار سواء وقال المولى رحمه معناه بلغة قريش ينقصون - اَلَا يَظُنُّ اُولٰٓئِكَ - اى المطففون الاخساء - اَنَّهُمْ مَبْعُوْثُوْنَ لِيَوْمٍ عَظِيْمٍ اى يوم القيامة قيل وضع الاشارة موضع الضمير للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم - وهو ضعيف لان الاشارة قد يكون الى اسم ذات كقولك هذا زيد - بل هو لتنبيه هؤلاء البالغين في الخسران كما ذكر اهل المعانى - والمعنى انهم لا يخطرون ببالهم ولا يشعرون بقلبهم انهم مبعوثون يوم القيامة ويحاسبون على مقدار الخردلة والذرة ويجازون على التطفيف ولو بطفيف في كل ما يكل ويوزن واذا تأملت في هذه الآيات قلت انها دالة على ان كل من يوصف بالتطفيف فله الويل سواء كان مؤمنا او كافرا - اما الويل للاول فلان كل من طفف في المكيال والميزان فانه لا يوقن بانه يجازى يوم البعث بالتطفيف فكانه ينكر المحاسبة والمجازاة ولا يبالى بسرقة الشئ الطفيف هو اليسير ولا يستنقن بما افصح الله تعالى بقوله فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَّرَهٗ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهٗ - واما الويل للثانى فلانه مع كونه كافرا يطفف الناس فى المكيال والميزان - يَوْمَ - منصوب بمبعوثون او بدل من محل يوم عظيم - يَّقُوْمُ النَّاسُ - اى يبعث الناس من القبور ويقومون بعد البعث في موقف الحشر لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ اى لامر ربهم ولجزائه ولحسابه الذى يذوب به اكبادهم ويحترق به افئدتهم الا الذين امنهم الله بفضله وكرمه - كَلَّا هى ردع للمطففين الغافلين عن البعث والحشر - او بمعنى حقا

اِنَّ كِتٰبَ الْفُجَّارِ لَفِيْ سِجِّيْنٍ ۝ قال ابو عبيدة والاخفش والمبرد والزجاج لفي حبس وضيق شديد - قال بعض اهل اللغة وهو فعيل من السجن وهو قول ابي عبيدة وقيل هو واد في جهنم وقيل هو الصاب الشديد من كل شيء وقيل في سجين انه حجر تحت الارض السابعة وهو قول مجاهد واختلف في ان نونه اصلية ام لا - فقال الاكثرون انه من السجن فيكون نونه اصلية وهذا قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج ثم اختلفوا في انه هل عربي ام لا - قال الواحدي هو ليس بعربي لان العرب ما كانوا يعرفونه - وقال ائمة النحويين واللغة انه عربي تقول ضربٌ سجين اي شديد قال ابن مقبل -

فَاِنَّ فِيْنَا صَبُوْحًا اِنْ رَاَيْتَ بِهٖ ... رَكْبًا بَهِيًّا وَاٰلَافًا ثَمَانِيْنَا
وَرَجْلَةً يَضْرِبُوْنَ الْهَامَ عَنْ عُرُضٍ ... ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْاَبْطَالُ سِجِّيْنَا

والعرب تقول سجين مكان سلتين - وسلتين ليس بعربي - وهذا قول ابي عمرو - وَمَآ اَدْرٰكَ مَا سِجِّيْنٌ ۝ تهويل لشانه لا يدرك حقيقته الا بعد البيان من قبل الشارع - كِتٰبٌ مَّرْقُوْمٌ ۝ اي مسطور فيه اعمال الكفار من الجن والانس وجنود ابليس - لا يقال ان كتاب الفجار في كتاب مرقوم فيلزم ظرفية الشيء في نفسه لانا نقول ان المراد بكتاب الفجار كتابة اعمال الفجار في كتاب مرقوم فلا اعتراض

وَيْلٌ يَّوْمَئِذٍ - اي يوم القيامة - لِّلْمُكَذِّبِيْنَ الَّذِيْنَ يُكَذِّبُوْنَ بِيَوْمِ الدِّيْنِ ۝ والموصول صفة المكذبين وقيل بدل له - وَمَا يُكَذِّبُ بِهٖٓ اِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ - اي متجاوز عن الحد - اَثِيْمٍ ۝ مبالغ في الاثم منهمك في الاهواء المخدجة هالك في المعاصي المهلكة مع كونه مشاهد الطرق

الهداية - إِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا - اى على ذلك المكذب اياتنا الدالة على يوم البعث والجزاء - قَالَ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ ٥ جمع اُسطورة وهي الاقاويل التى لا نظام فيها المضفة بالكذب والبطلان - ذكره الله سبحانه للمكذبين - بيوم الدين ثلاثة احوال الاولى هى الاعتداء عن منهج الحق الى الباطل - والثانية المبالغة فى الاثم - والثالثة انكار الاثل الناطقة بثبوت البعث والجزاء فالموصوف بهذه الصفات هو المكذب بالدين قيل ان هذه الايات نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى نضر بن الحارث - والصحيح انها تتناول الذين يتصفون بهذه الصفات فلا شك فى انهم المكذبون بيوم الدين واعلم ان الاعتبار بالامور الالهية والامعان فى الاسرار القدسية امر وهبي من الواهب القدوس وهو كحل نورانى يتجلى به عين البصيرة حتى يرى به سبل الهداية ومناهج الحق فيؤمن بالله ورسوله ويوقن بجميع ما جاء به النبي عليه الصلوٰة والسلام من ضروريات الدين وهو نور فوق نور العقل فنوره بالنسبة الى ذلك النور كنور السراج على الشمس فلا يدرك بنور العقل حقيقة ذلك النور فهو موهبة عظيمة من الواهب الرزاق فنور العقل لا يقدر على كشف حقيقة الايمان ولذلك يكفر اكثر العقلاء بالله ورسوله - فالذى يعطيه الله ذلك النور يعرف الله ورسوله فيؤمن بهما فيكون من الفائزين - كَلَّا - وهى كلمة ردع اى ليس الامر كما يعقلون - بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ - الرين الغطاء والغشاء كالصدأ الذى يغشى السيف ومنه قول الشاعر

وَكَمْ رَانَ مِنْ ذَنْبٍ عَلٰى قَلْبِ فَاجِرٍ ... فَتَابَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِىْ رَانَ فَانْجَلٰى

وقال الحسنؒ هو الذنب على الذنب حتى يسودّ القلبُ ومنهُ
قول الترماح

مخافةً ان يرين النوم فيهم بسكر سنا تهم كل الرّيون

وقال الفرّاء ان المعاصي كثرت منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم
فذلك الرين عليها وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبّى صلى الله
عليه وسلم سئل عن قوله تعالى كلاّ بل ران على قلوبهم - قال هو العبد
يذنب الذنب فتنكتُ في قلبه نكتةٌ سوداءُ فان تاب منها صُقِل قلبه
وان عاد نكتت اخرى حتى يسود القلب فذلك الرّين - وقال ابو معاذ
النحوى الرّينُ ان يسودّ القلب من الذنوب والطّبعُ ان يطبعَ على القلب
وهو اشد من الرّين وهو الختم قال ابو عبيد كل ما غلبك وعلاك
فقد ران بك وران عليك - وقال الزّجّاج معناه غُطّى على
قلوبهم والاولى هو الذى قال ابو معاذ النحوى وهو يوافق ما ذكر
في الحديث القرّاء ادغموا اللام في الراء الّا من كان سكت على لام
بل مثل الامام حفصؒ ففى كتاب اللّوامع عن قالونَ من جميع طرقه اظهار
اللام عند الراء نحو قوله بل رفعه الله اليه بل ربّكم - وقرأ نافعٌ بل ران
غير مدغم - وقال سيبويه اللام مع الرّاء نحو اسفل رحمه البيان والادغا
حسنان - وقال سيبويه فاذا كانت يعنى اللّام غير لام التعريف نحو لام
هل وبل فانّ الادغام في بعضها احسن وذلك نحو هل رايت فان لم تدغم
فقلت هل رأيت فهى لغة لاهل الحجاز وهى غريبة جائزة انتهى - مَا كَانُوا
يَكْسِبُوْنَ - من الذنوب والاثام - وهى اسباب الرين غشى القلوب
واعلم انّ العبد اذا مال الى الذّنب وابتدأ فيه سواء كان من الصغائر

او من الكبائر ثم خشى نفسه بعد اصلاحه ولا يلتذ به تمام اللذة لكنه اذا اقترفه ثانيا واشتغل فيه لم يفرق نفسه كما فرقت اول مرة فيجترأ على اقترافه مثل ذلك الذنب لحصول التلذذ فيه في المرتبة الثانية فهذا الالتذاذ يجذبه الى الاشتغال فيه ثالثا - فاذا واظب فيه حصلت له ملكة ظلمانية في نفسه فلا يبالي من احد فيسود قلبه ويحيط به الظلمة من كل جانب ويرخي سدول الضلالة على فواده فلا يعقل الارشاد والهداية بل يبقى متحيرا في ظلمات الضلال - و من ثم يقال الرين كالكل المشكك فالمداومة على الذنب علة لوجود الشدة في افراده وعدمها علة الضعف فيها فلذلك توجد مراتبه مختلفة في الظلمة والسواد - كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ - اى يوم القيامة - لَّمَحْجُوبُونَ - فلا يرون ربهم - احتج بهذه الاية من جوز رؤية الله تعالى - وقال ان المؤمنين يرونه تعالى يوم العرض ويؤيده قوله تعالى - وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ - والمراد بالوجوه الناضرة هم المؤمنون - والاحاديث الصحيحة المرفوعة تدل على ان المؤمنين يوم القيامة يرون ربهم شفاها - ومن انكر الرؤية جعلها تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على السلاطين او قدرمضافا مثل رحمة ربهم او نحوه فكان تحقيرا واستخفافا لهم و فيه نظر لانه لا يلزم منه عدم الرؤية مطلقا لانه يجوز ان يخرج السلطان من بيته في لامانع لاحد ان ينظر اليه - والصحيح ان حجابهم بوجوه الاول ان الرؤية امر متفضل على المؤمنين وهو ليس حظا لهم والثاني ان الكفرة يومئذ يبتلون في الكرب الهائل وقد غشاهم

خوف العذاب واخذهم هول العقاب واحاط بهم ما كسبت ايديهم من كل جهة فلا يقدرون على ان ينظروا الى انفسهم فضلا ان ينظروا الى جلال الله وغضبه بل كان يدهشهم الفزع الاكبر فلا يرون شيئا غير العذاب - ولنعم ما قال الشاعر -

أَنْ تَلْقَنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاظِرَةٍ   تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفْ جَبْهَةَ الْأَسَدِ

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝ اى بعد الحرمان لداخلوا النار - ويقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار - يقال صلى اللحم فصلاه اى احرقه بها كقوله

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ   تَحِيَّةَ مَنْ صَلَّى فُؤَادَكِ بِالْجَمْرِ

اراد انه قتل قومها فاحرق فؤادها بالحزن عليهم - ثُمَّ يُقَالُ - اى للكفرة - هَٰذَا الَّذِي - اى عذاب النار - كُنْتُمْ بِهِ - فى الدنيا تُكَذِّبُونَ - بالبعث والحشر والجزاء - اى لم تكونوا مؤمنين بآياتنا وكنتم تقولون انها من اساطير الاولين واكاذيب الاقدمين فادخلوا عذاب النار وذوقوا ما كنتم به تكذبون - كَلَّا - كلمة الردع والزجر والتكرير للتأكيد - إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ قال الزجاج هو اعلى الامكنة منقول من جمع على من العلو - وقال الفراء والزجاج وهو لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو ثلاثين فاعرب مثل اعراب الجمع والعليون قيل الملائكة او المواضع العلية من كل موضع - وقيل هو اسم لديوان الخير - قال ابن عباس هو الجنة - قال قتادة هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى - والصحيح انه اسم لمقام - وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ مكتوب فيه - يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝ يعنى ان الملائكة

يحضرون ذلك المرقوم- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ
الارائكة هي السرير- اى على الاسرة ينظرون الى عجائب الملكوت
وغرائب مناظر الجنة و الرحمة- ثم الناظر يومئذ على اقسام الاول
هو الذى ينظر الى نعيم الجنة و نضرتها و نيسرُّ بالائها ونعمائها- والثانى
هو الذى ينظر الى اتساع ملك الله و ملكوته وقدرة الله و جبروته
والثالث هو الذى ينظر الى انوار صفات الله و كمالاتها المنعكسة
فى مظاهر الاشياء ومناظر الاكوان فيفرح بغرائب شيونها وسماتها
و بدهنس فى تجلياتها- والرابع هو الذى ينظر الى تجليات الذات
و بوارق احديتها فيتحدق فى كمالاتها و يتحير فيها وهو الذى اعطا
الله العلم السكوتى وهو الانسان الكامل المكمل وعبدالله بل
عبده وليس فى العالم اعلى منه و افضل وهو محمد رسول الله صلى الله
عليه و سلم و تابعه الاتم الاكمل الذى ختمت عليه الولاية المحمدية
الخاصة و هو المعبر بالمهدى عليه الصلاة والسلام وهو خليفة الله
رب العالمين و نائبه فى الامة المحمدية هذا هو الصفة الاولى من صفات
الابرار- وثانيها- تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ والخطاب
للنبى صلى الله عليه وآله وسلم- اى تراه فى وجوههم من النور والبهاء
والحسن والزهرة- قرأ الجمهور تعرف بفتح الفوقية و كسر الراء ونصب
نضرة- وقرئ بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول و رفع نضرة
بالنيابة- وثالثها- يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ- قال ابو عبيدة و الاخفش
و المبرد و الزجاج الرحيق من الخمر ما ليس فيه غش- وقال الخليل
الرحيق اجود الخمر- قال ابن سيده هو من اعتقها وافضلها وقال بعضهم

هو من اجود الخمور - مَّخْتُوْمٍ - اى على انها ختم غير مفكوك
خِتَامُهٗ مِسْكٌ - اختلف في معنى الختام الاوّل الختام اٰخر كل
مشروب فالمعنى اٰخر ما يجدونه رائحة المسك - والثانى قال
علقمة معناه الخلط - اى خلطه مسكٌ - والثالث قال مجاهد
معناه مزاجه مسكٌ - والرابع قال الفرّاء الخاتم والختام متقاربان
الّا انّ الخاتم الاسم والختام المصدر - والخامس قال في الصّحاح
الختام الطين الذى يختم به وهو قول ابن زيد والمعنى الاخير
هو الانسب يعنى ان هذا الرحيق اعتق وقد ختم عليه بالمسك
ومنه قول النابغة

كانّ مشعشعًا من خمر بصرى ۔۔۔ نمته البخت مشدود الختام

وَفِيْ ذٰلِكَ - اى في ذلك الرّحيق - فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُوْنَ التنافس
الرغبة - اى فليترغب الراغبون اليه بطاعة الله وعبادته - وَمِزَاجُهٗ
مِنْ تَسْنِيْمٍ - قد ورد في الحديث انّ التسنيم علم لعين تجرى في
الجنّة - والتسنيم من سنم - قال القتيبى السّنم بالسّين والنون هو الماء
المنقع على وجه الارض ويروى بالشين والباء اى ماء شبم وهو
ماء بارد - ومنه قول المتنبّى -

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهٗ شَبِمٌ ۔۔۔ وَمَنْ بِجِسْمِيْ وَحَالِيْ عِنْدَهٗ سَقَمٌ

وقال الزّجّاج اى مزاجه من ماء متسنّم عينًا تاتيهم من علوٍّ تتسنّم
عليهم من الغرف - وقيل هو ماء في الجنّة سمى بذلك لانّه يجرى فوق
الغرف والقصور - عَيْنًا يَّشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُوْنَ - قال الزّجّاج النصب
على الحال - وانما قال ذالك مع انّ العين جامدة لانها وصفت بقوله

يشرب بها - و قال الاخفش انها منصوبة بيسقون - وهو قول المبرد
و قال الفراء بتسنيم - و قال الازهرى ان تنوى من ماء سنم عينا
كقولك رفع عينا - و قال ان لم يكن التسنيم اسما للماء فالعين
نكرة و ان كان معرفة اسما للماء فخرجت نصبا و هذا قول الفراء
قال ابن عباس اشرف شراب اهل الجنة هو تسنيم لا يشرب بها
الا المقربون و المراد بهم هم الصديقون و الانبياء عليهم الصلوة
و السلام لان القرب حقيقة ليس الا لهذا الصنف المقدس الاطهر
ثم المقرب على اقسام الاول هو المقرب برحمة الله تعالى و الثانى
هو المقرب باخلاق الله و هذان القسمان يسميان بالمؤمنين
الصالحين و الثالث هو المقرب بصفات الله جل شانه و هذا القسم
سمى بالنبى فالانبياء عليهم السلام لا يصعدون الا فوق فلك
الصفات و لا يعلون فوقها - و الرابع هو المقرب بذات الله تعالى
و هو سيد الانام محمد رسول الله صلوات الله عليه و السلام -
كما اشار اليه فى الحديث الصحيح - لى مع الله وقت لا يسعنى فيه
ملك مقرب و لا نبى مرسل - و لا يصل الى هذه المرتبة العظمى
من امته الا تابعه الاتم الذى يشاركه فى دعوة البصيرة كما قال الله تعالى - ادعو
الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى - و المراد به المهدى الموعود عليه
الصلوة و السلام - إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ
و المراد بالمجرمين كفار قريش كابى جهل و الوليد بن المغيرة
و العاصى ابن وائل و اصحابهم من اهل مكة و هؤلاء هم الذين كانوا
يضحكون على الذين امنوا بالله و رسوله - و يستهزءون بهم قائلين

بانهم لم يميزوا الكاهن من النبي وقيل ولـ في حبال كهانته نعوذ بالله من هذا
الكلام - وَإِذَا مَرُّوْا بِهِمْ يَتَغَامَزُوْنَ - الغمز هو الاشارة بالعين والحاجب و
الجفن وقيل باليد - والمعنى ان المجرمين اذا مروا بالمؤمنين يشيرون بالاعين
والحواجب استهزاء ويثلبونهم بانهم يتقون بالقواعد التي سموها شرائع
ويحرمون عن التنعمات التي خلق الانسان لاجلها وذلك لمنقصة عقولهم
وسخافة ارائهم وقيل الاغماز هو الاستضعاف والتصغير من قول الكميت

وَمَنْ يُطِعِ النِّسَآءَ يُلَاقِ مِنْهَا   إِذَا أَغْمَزْنَ فِيْهِ الْأَقْوَرِيْنَا

الاقورين الدواهي يقول من يطع النسآء اذا عبنه وزهدن فيه يلاقي الدواهي فيكون
المعنى اذا مروا بهم يستضعفونهم ويصغرونهم - وَإِذَا انْقَلَبُوْا إِلَى أَهْلِهِمُ
اي هؤلاء الكفار الى مجالسهم - انْقَلَبُوْا فَكِهِيْنَ - الفكه الاشر والعجب - اي
معجبين بانهم استهزءوا بالمؤمنين وتغامزوا بهم - قرأ الجمهور فكهين - بغير الف وقرئ
بها قال الفرآء وهما لغتان - وَإِذَا رَأَوْهُمْ - اي المؤمنين - قَالُوْا إِنَّ هٰؤُلَآءِ - اي
الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم - لَضَآلُّوْنَ - معرضون من طريق ابائهم - ولان
المؤمنين كانوا يتركون التنعم العاجل يختارون الثواب الاجل - فهؤلاء الكفار يقولون لهم
ان الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم - قد تركوا متاع الدنيا وزخرفها ورضوا عن انفسهم ب
المجاعة والاملاق والذلة وما هذا الا ضلال - نعوذ بالله من هذا المقال - وَمَآ
أُرْسِلُوْا - ما نافية اي ولم يرسل الكافرون عَلَيْهِمْ - اي على المؤمنين حٰفِظِيْنَ
اي يحفظون عليهم احوالهم من صلاح وفلاح ويرقبون اعمالهم من حسنات وسيئات
ويشهدون برشدهم وضلالهم - وقيل ان ضمير الجمع في وما ارسلوا يعود على
المؤمنين فالمعنى ان المؤمنين لم يرسلوا على الكفار حافظين - والمعنى
الاول ذهب اليه الشيخ الطبري ومن تبعه وقال ان الكفار لم يجعلوا رقباء

على المؤمنين بحيث يحفظون عليهم بل الله كلفهم الايمان به واصلاح نيته والعمل بطاعته وهذا هو الانسب - والثاني اختاره ابو حيان - وهو بعيد عن سياق الاية - وفي الاية بعض موادعة بين المؤمنين والكافرين - فَالْيَوْمَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُوْنَ عَلَى الْاَرَآئِكِ يَنْظُرُوْنَ - قال كعبؓ ان بين اهل الجنة واهل النار كوى يرون منها حال فظاعة الكفار وشدة عذابهم وانهم يصرخون بشدة احراق النار ولا يرحمون ويستغيثون بالعذاب الهائل ولا يغاثون ويدعون ولا يجابون وليس هذا الا معاوضة تكذيبهم بما اخبرهم الله تعالى بيوم البعث والنشور والثواب والعقاب - هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ - هذا قول بعض اهل الجنة قيل هل استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين اي هل جوزي الكفار والصحيح انها بمعنى قد - كما قال الله تعالى هَلْ اَتٰى عَلَى الْاِنْسَانِ حِيْنٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُوْرًا - وهذا قول ابن عباسؓ والكسائيؒ والفراء والمبرد وبالغ صاحب الكشاف فزعم انها ابدا بمعنى قد وان الاستفهام انما هو مستفاد من همزة مقدرة معها ونقل في المفصل عن سيبويه والتثويب هو الجزاء ومنه قول الشاعر -

سَاَجْزِيْكَ اَوْ يَجْزِيْكَ عَنِّيْ مُثَوِّبٌ وَحَسْبُكَ اَنْ يُّثْنٰى عَلَيْكَ وَتُحْمَدُ

وقرأ الجمهور هل ثوب باظهار لام هل والنحويان وحمزة وابن محيصن بادغامها في الثاء - والمعنى ان الكفار كذلك لا يجزون الا على ما عملوا من تكذيب الله ورسوله والاستكبار من اطاعة الله وعبادته والله اعلم وعلمه اوفى واتم - تم تفسير هذه السورة بكرم الله تعالى فالحمد لله اولا واخرا والصلوة على نبيه الكريم طيبا وطاهرا وعلى اله الذين طهرهم الله تطهيرا واصحابه الذين يذكرون الله ذكرا كثيرا

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ - تدل هذه الآية ان السماء جسم يقبل الانشقاق والالتيام وليس ارتفاقا محضا كما زعم بعض الجهلاء - قال الفلاسفة ان كل جسم كائن و فاسد و هذا القول ينبئ ان فيه مبدأ حركة مستقيمة لكنهم ذهبوا الى ان المحدد يمتنع ان يكون له مبدأ حركة مستقيمة والا يبطل نظام الزمان لانه مقدار حركته فاذا انقطعت حركته انقطع مقداره فلا يبقى هذا النظام الموجود فاتفقوا على ان المحدد ليس فيه مبدأ ميل مستقيم بل فيه مبدأ ميل مستدير واثبتوا لها دلائل اقناعية كما هي مذكورة في العلم الطبعي ولقائل ان يقول ان الجسم المطلق هو الذي يقبل الحركة والسكون فلابد ان يحصلا فيه بشرطين مختلفين فاذا زال شرط الحركة حدث شرط السكون - و بالعكس وانما قلنا ذلك لان الفلك اذا كان قابلا لكل واحد منهما لا يكون احد منهما لازما له فيكون مفارقا والعرض المفارق هو الذي يزول اما بسرعة واما ببطوء - فيجوز ان يقبل السماء الانشقاق والانفطار كما قدمنا - وروى المفسرون عن سيدنا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في الدارين ان السماء تنشق من المجرة - ومثله قوله تعالى - وانشقت السماء فهي يومئذ واهية - ذكر ابو حيان قال ابن خالويه قراء اذا السماء انشقت بكسر التاء - عبيد عن ابي عمرو - وقال ابن عطية

وقرأ ابو عمرو انشقّت يقف على التاء كانّه يشمّها شيئًا من الجر- وكذلك في اخواتها- قال ابو حاتم سمعت اعرابيًّا فصيحًا في بلاد قيس يكسر هذه التاءات وهي لغة انتهى- وذلك ان الفواصل قد تجري مجرى القوافي فكما انّ هذه التاء تكسر في القوافي فكذلك تكسر في الفواصل انتهى وهذا كثير في الاشعار- ومنه قول كثير في عزّة-

وَمَا اَنَا بِالدَّاعِيْ لِعَزَّةَ بِالرَّدَي   وَلَا شَامِتٍ اِنْ نَعْلُ عَزَّةَ زَلَّتِ

وقال معدي كرب

وَلَمَّا رَاَيْتُ الْخَيْلَ زُوْرًا كَاَنَّهَا   جَدَاوِلُ زَرْعٍ اُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَّتِ

فَجَاشَتْ اِلَيَّ النَّفْسُ اَوَّلَ مَرَّةٍ   فَرُدَّتْ عَلٰى مَكْرُوْهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ

واختلف في جواب اذا فقال الفرّاء هو قوله تعالٰى اذنت والواو مزيدة وكذا القت- واليه ذهب الاخفش والكوفيون الا انّه قال السّماء مبتدأ وانشقت خبره كما هو رأى الكوفيين خلافا للبصريين لانهم ذهبوا الى انّ السماء فاعل تقديرا لكلام اذا السماء انشقّت السّماء لان اسماء الشرطية تطلب الفعل وقد ذهب هذا البحث سابقا قال ابن الانبارى الواو لا تكون مزيدة الا مع اذا كقوله تعالٰى- حتّى اذا جَآؤُهَا وَفُتِحَتْ اَبْوَابُهَا- اقول وفيه نظر لانّها قد تزاد بدون اذا قال العلامة المغنى والزيادة ظاهرة في قول الشاعر-

فَمَا بَالُ مَنْ اَسْعٰى لِاَجْبُرَ عَظْمَهٗ   حِفَاظًا وَيَنْوِيْ مِنْ سَفَاهَتِهٖ كَسْرِيْ

وفي قوله

وَلَقَدْ رَمَقْتُكَ فِي الْمَجَالِسِ كُلِّهَا   فَاِذَا وَاَنْتَ تُعِيْنُ مَنْ يَبْغِيْنِيْ

وقال صاحب الكشّاف حذف الجزاء لذهاب الوهم الى كل شئ مخوف

به وجه یزداد التهویل و عندی ان قوله تعالٰی فاما من اوتی کتابه جزاءٌ وما بینهما جملة معترضة - والله اعلم - وَاَذِنَتْ ای سمعت السماء والاذن هو السَّمْعُ و منه قول قعنب -

صُمٌّ اِذَا سَمِعُوا خَیْرًا ذُکِرْتُ بِهٖ وَاِنْ ذُکِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ اَذِنُوْا

ای سمعوا

اِنْ یَاْذَنُوْا رِیْبَةً طَارُوْا بِهَا فَرَحًا وَمَا هُمْ اَذِنُوْا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوْا

ای ان یسمعوا شیئًا فیه ریبة - قال ابن عباسؓ اذنت اطاعت - لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ - ای ثبتت لها الاطاعة والانقیاد لامر ربها والمراد بالامر الامر بانشقاقها - وَاِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ - من مدّ و یمدّ والمراد بالمدّ ازدیاد سعتها یوم القیامة - وذلک لوقوف الخلائق المبعوثة فی الموقف للمحاسبة والمجازاة - وَاَلْقَتْ - الارض - مَا فِیْهَا - ای فی باطنها من المعادن والدفائن والموتی علی ظهرها - وَتَخَلَّتْ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ فلا یبقی فیها شیئ بطن فیها ومثله قوله تعالٰی - وَاَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقَالَهَا - هذا ما ذهب الیه الزجاج - قال ابو حیان وهو ضعیف - وقال وهذا یکون وقت خروج الدجال وانما تلقی یوم القیامة الموتی - اقول وفیه نظر لان القاء الارض جمیع ما فی بطنها یوم القیامة امر ثبت من القران ولیس فی احادیث الدجال شیئ یدل علی ان الارض تخرج یومئذٍ جمیع ما کمن فیها وتدل علی ان الخزائن تخرج من الارض فی مدته والحاصل ان الارض بسطت لانه کانت جبالها فتصیر الارض اذ ذاک قاعًا کما قال الله تعالٰی و تقدس - قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرٰی فِیْهَا عِوَجًا وَلَا اَمْتًا - یٰۤاَیُّهَا الْاِنْسَانُ اِنَّکَ کَادِحٌ اِلٰی رَبِّکَ کَدْحًا - الکدح جهد النفس

في العمل حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومنه قول ابن مقبل

وَمَا الدَّهرُ اِلَّا تَارَتَانِ فَمِنهُمَا اَمُوتُ وَاُخرٰى اَبتَغِي العَيشَ اَكدَحُ

اى تارةً اسعى في طلب العيش واداب وتارة اكدح في حصول النعم واموات - قيل والمراد بالانسان نوعه فانّ كل انسانٍ يكدح في معاشه ويكدّ في حال صلاحه حتى يلاقي ربّه في حالة كان فيها - فيجب له ان ينقلب الى الله تعالى في اصلح حاله وهو طلب مرضاة الله - وقيل انّ المراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني انك يا محمد قد جهدت غاية الجهد في تبليغ احكام الله تعالى وكدّ في سعي هدايتهم فجهدك مقبول عندنا - فَمُلٰقِيهِ - اى جزاء كدحك وتبليغك والضمير في ملاقيه عائد الى الكدح وقيل يعود على قولك ربّك - قال ابو حيان وهذا القول ابعد - انتهى والصحيح عندي ان يراد بالانسان نوعه والمعنى انك يا ايها الانسان تلقى ربّك بعملك - وقيل فملاق كتاب عملك - فَاَمَّا مَن اُوتِيَ كِتٰبَهُ - اى صحيفة عمله بِيَمِينِهٖ - وهم المؤمنون - فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَّسِيرًا - اراد بالحساب - العرض وليس فيه السؤال والجواب والمناقشة والمعارضة - بل الله تعالى ينظر في كتاب العبد ويتجاوز عن سيئاته او يسترها برحمته الواسعة ثم يعطي ثواب حسناته ولو كانت يسيرةً فيغفره - روى عن عائشة رضي الله عنها - قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليس احدٌ يحاسب الا هلك فقلت اليس يقول الله فامّا من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا - قال ليس ذلك الحساب ولكن ذلك العرض - ومن نوقش الحساب هلك - وَيَنقَلِبُ اِلٰى اَهلِهٖ - اى اهل العمل

الصالح و یراد بهم اهل الجنة او الی اهله الذین کانوا له فی الدنیا
من الزوج والاولاد وقد ادخلهم الله فی الجنة قبله - مَسْرُوْراً
فرحًا بما اتاه الله من رحمته وفضله - وَ اَمَّا مَنْ اُوْتِیَ كِتٰبَهٗ وَرَآءَ
ظَهْرِهٖ - و ذلك لاستخفافه و اهانته - و قال قوم من المفسرين يحول
وجهه الی قفاه - و قال الکلبی و ذلك لان یمینه مغلولة و یده الیسری
خلفه - والله اعلم - فَسَوْفَ يَدْعُوْا ثُبُوْرًا - قال الزجاج ای هلاكًا
و جاء بمعنی اللعنة قال ابن الاعرابی المثبور الملعون المطرود المعذب
قال الکمیت هو بمعنی الهلاك - ومنه قوله -

وَرَأَتْ قُضَاعَةُ فِي الْاَيَا مِنِ رَأْيَ مَثْبُوْرٍ وَثَابِرٍ

قیل فیقال لهم لا تدعوا الی الانسان ثبورًا واحدًا و دع ثبورًا كثيرًا
قال الفراء الثبور مصدر یوصف بالواحد والکثیر - و قال ابن عباس
الثبور الویل - وَيَصْلٰى سَعِيْرًا - ای یدخلها و یقاسی حرّ نارها
و شدّتها - قرأ ابو عمرو و حمزة و عاصم یَصْلٰی بفتح الیاء وسکون الصاد
وتخفیف اللام - و قرأ الباقون بضم الیاء و فتح اللام و تشدیدها - وقری
بضم الیاء واسکان الصاد من اصلی یُصْلٰی - اِنَّهٗ كَانَ فِيْٓ اَهْلِهٖ - ای
فی عشیرته فی الدنیا - مَسْرُوْرًا - سکرانًا بخمر الجهالة و الضلالة
اِنَّهٗ ظَنَّ - ای علم - اَنْ لَّنْ يَّحُوْرَ - یقال حار یحور ای رجع یرجع
و منه قول لبید بن ربیعة -

وَمَا الْمَرْءُ اِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهٖ يَحُوْرُ رَمَادًا بَعْدَ اِذْ هُوَ سَاطِعُ

و المعنی انه کان فرحًا متنعمًا بماله بطرًا بثروته فی امثاله وكان لا يخطر
بباله اهوال وباله و لا ینفکر بفوادہ عواقب افعاله و خواتیم اعماله

فلمّا نوقش فی حسابه یری انّ نعمته کانت بلاءً ومحنةً وثروته عذاباً ونقمةً- وتیقّن انّه کان فی الخسران المبین- اِنَّ رَبَّهٗ کَانَ بِهٖ بَصِیْرًا- ای کان بصیرًا بانّه یکفر ویدخل نار جهنّم خالدًا فیها

فَلَآ اُقْسِمُ بِالشَّفَقِ- قال الامام الرازی انّ المتکلّمین زعموا انّ القسم واقع بربّ الشفق- وهو ضعیف لانه یلزم منه انّه تعالی یقسم بربّ الشفق- وهذا القول کما تری- ولا زائدةٌ قال الخلیل الشفق هو الحمرة من غروب الشمس الی وقت العشاء الاخرة قال الفرّاء سمعت بعض العرب یقول علیه ثوبٌ مصبوغ کانّه الشفق وکان احمر والاوّل هو قول جمهور المفسرین- قال صاحب الصحاح الشفق بقیة ضوء الشمس وحمرتها فی اوّل اللیل الی قریب العتمة وهو قول ائمة اللغة- ذکر اصحاب الهیئة والنجوم الشفق هو الحمرة التی تبدو عقیب انحطاط الشمس بعد الغروب وفی توضیحه انّه قد عُلِمَ بالتجربة انّ انحطاط الشمس من الارض عند طلوع الصبح واٰخر غروب الشفق یکون ثمانیة عشر جزأ من اجزاء فلك البروج کما ذکر فی موضعه والحمرة التی توجد فی اول الشفق واخر الصبح انّما هی لتکاثف الابخرة فی الافق وزیادة سمکها بالنسبة الی الباصرة لانّ تلك الزیادة فی غلظ الابخرة بقدر ربع دور الارض وهو من الناظر الی الافق الشرقی فی الصبح ومن الناظر الی الافق الغربی فی الشفق فیکون مجموعهما بقدر نصف دور الارض- وَالَّیْلِ- ای اقسم باللیل- وَمَا وَسَقَ- والوسق ما دخل فیه اللیل وما ضمّ قال الفرّاء وما وسق ای وما جمع وضمّ قال ابو عبیدة وما وسق ای

وَمَا جمعه من الجبال والبحار والاشجار كانّه جمعها بان طلع عليها كلها فاذا اجلل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها قال شمر واهل الغرب يسمّون الوسق الوقر. ومنه قول ضابى ابن الحارث البرجمى.

فَاِنِّیْ وَاِیَّاکُمْ وَشَوْقًا اِلَیْکُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ اَنَامِلُهٗ

والليل اذا كان جامعًا الخير وشر فمجموعها وقر عليه كانّه حمل ذلك الوقر. وَالْقَمَرِ. واقسم بالقمر. اِذَا اتَّسَقَ. اى اجتمع نوره وتمّ وانّما يكون ذلك فى ليلة اربع عشرة وقال ابن عباسؓ اتسق القمر اذا تكامل واستدار وتمّ. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ. قيل الطبق هو الغطاء وقيل الحال. اى غطاء بعد غطاءٍ وحالًا بعد حالٍ وقرئ بفتح الباء على انّه خطابًا للواحد وهو النّبى صلى الله عليه وسلم. قال الشعبى ومجاهد لتركبنّ يا محمّد سماءً بعد سماءٍ وقيل درجةً بعد درجةٍ ليلة المعراج او مرتبةً عاليةً بعد مرتبةٍ اوحالًا بعد حالٍ لانّ حالته امابشريّة واما ملكيّة واما حقيّة كما يدل عليها قوله تعالٰى وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمٰى. وقرئ بضم الباء وعلى هذا يكون المراد بها احوال الانسان من كونه نطفةً ثمّ علقةً ثمّ مضغةً ثمّ حيًّا وميّتًا وغنيًّا اوصعلوكًا. وبالكسر خطابًا للنّفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبق اوحالٌ من ضمير لتركبنّ اى مجاوزًا عن طبق او مجاوزين. فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ. بيوم البعث والجزاء وَاِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْاٰنُ لَا يَسْجُدُوْنَ. اى اذا قرئ عليهم القراٰن يجب لهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانّهم كانوا

اصحاب الفصاحة و البلاغة يعرفون بما له الكلام و جزالته فيميزون
بين المعجز و غيره فلا بد لهم ان يعرفوا اعجازه و اذا عرفوا ذلك عرفوا
صحة نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و وجوب طاعة الله و رسوله
في جميع الاوامر و النواهي فبعيد منهم ان يكونوا بعد ذلك كافرين
و اختلف في معنى السجود فقال ابن عباس و الحسن ان المراد به
الصلوة و ذلك لان الكفار كما هم مكلفون بالاصول كذلك مكلفون
بالفروع و اليه ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رح كما بين في
الاصول - و قال ابو مسلم الاصفهاني المراد بالسجود الاستكانة
و الخشوع و الخضوع - و هذا القول اولى من الاول - و قال اٰخرون
بل المراد هو السجود عند اٰيات مخصوصة - كما روى عن النبي صلى
الله عليه و سلم - قرأ ذات يوم و اسجد و اقترب فسجد هو و من معه
من المومنين و قريش تصفق فوق رؤسهم و تصفر فنزلت هذه
الاٰية - و به احتج الامام ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة
بَلِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُكَذِّبُوْنَ - بالقراٰن لا سيما بما ذكر فيه من
يوم القيامة - و اهوالها و لا يخضعون عند تلاوته و اعلم ان الكفار
و ان كانوا يعرفون الانبياء و الخلفاء بالدلائل الواضحة و البراهين
اللائحة الا انهم يكذبونهم بوجوه اما الاول فلتقليد الاسلاف و اما
الثاني فانهم لو اظهروا الايمان لفاتتهم مناصب الدنيا و زخارفها
و منافعها - اما الثالث فهو قد يكون للعاد و الانفة روى ان ابا طالب
بن عبد المطلب انكر نبوته صلى الله عليه و سلم لهذا الوجه و الله اعلم
بحال قلبه فهو عند الله مومن ام لا - اما الرابع فهو للاستكبار و الغنيا

كانبكار ابي لهب و ابي جهل و اشباههما - وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يُوْعُوْنَ
اى بما يسرون في قلوبهم من الكفر والنفاق والبغي العناد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهذه الآية تدل على
ان الله جل شانه يعلم الجزئيات - يقال اوعيت الشئ اى جعلته
في وعاء كما قال وجمع فاوعى - قرأ ابو رجاء من وعى يعي
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ - والتبشير بالعذاب استهزاءً لهم
وهو استعارة من التهديد والتخويف - اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا
وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ - قال صاحب الكشاف
الاستثناء منقطع و قال بعضهم انه متصل و معناه
الا من تاب منهم وعمل عملا صالحا فله اجر
غير ممنون - و المن القطع - اى غير مقطوع
وقيل معناه غير محسوب وقيل معناه اي
لا يمن الله عليهم فاخرا او معظما كما
يفعل بخلاء المنعمين و الاكثرون يقولون انه بمعنى القطع و
منه قول لبيد بن ربيعة

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا

تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين - والصلوة على نبيه
افضل الانبياء و المرسلين و على اله و
اصحابه الكاملين المكملين

سورة البروج وهي عشرون وثنتان آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ - اختلفوا في تفسير البروج الاول هي البروج الاثنا عشر من دائرة فلك البروج - وهي ثلث مائة وستون درجة فكل برج منها يكون ثلثين درجة على ما ذكروا - والثاني هي منازل القمر وهي ثمانية والعشرون والثالث هي عظام الكواكب وهو قول مجاهد والزجاج وانما سميت بروجا لان البرج معناه الظهور والارتفاع - والقول الاول ذهب اليه اكثر المفسرين - وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت - وسميت بابواب السماء لان الحوادث تخرج منها - وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ - والمراد به يوم القيامة لانه ميعاد فناء العالم واعادته وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ - وفي الشاهد اقوال الاول هو الجمع الذين يحضرون يوم القيامة وهو قول ابن عباس والثاني ان يكون الشاهد هو الله تعالى اذ قال تعالى شانه قُلْ اَيُّ شَيْءٍ اَكْبَرُ شَهَادَةً - قل الله والمشهود هو التوحيد - والثالث الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم - كما قال الله تعالى - فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰؤُلَاءِ شَهِيْدًا - وكما قال تعالى اِنَّا اَرْسَلْنٰكَ شَاهِدًا - والرابع قيل الشاهد الانبياء عليهم السلام بقوله تعالى اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ شَهِيْدًا - والخامس هو الموجودات والمشهود

هو الله تعالىٰ۔ وَالسادس الشاهد هو الملك بقوله تعالى۔ وَجَاءَتْ كل نفسٍ مَّعَهَا سائقٌ و شهيدٌ۔ و المشهود عليه هم المكلفون هذا ما ذكره الامام الرازی و السابع الشاهد هو المومن الصالح و المشهود هو العمل الصالح۔ و الثامن قائل اهل الحقائق المراد بالشاهد من يرى الله تعالى و المشهود هو الله تعالى۔ التاسع المراد بالشاهد يوم العرفة و بالمشهود يوم النحر۔ و العاشر الشاهد هو يوم الجمعة و المشهود يوم العرفة۔ الحادی عشر الشاهد هو الله تعالىٰ و المشهود هو يوم القيامة۔ و الثانی عشر هو عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى۔ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا۔ و الثالث عشر الشاهد هو المهدی الموعود عليه الصلوٰة و السلام كقوله تعالى ويتلوه شاهد۔ و المشهود هو الله تعالى۔ قُتِلَ أَصْحٰبُ الْأُخْدُودِ النَّارِ۔ قيل هو جواب القسم تقديره و الله لقد قتل قال الاخفش و قد تحذف اللام مثل۔ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكّٰهَا۔ اصله لقد افلح قال الكوفيون في قوله تعالى۔ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ تقديره لقد عجبوا وكذا في قول عامر بن الطفيل۔

وَقَتِيلِ مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فَإِنَّهُ فِرْغٌ وَإِنَّ أَخَاكُمُ لَمْ يُثْأَرِ

تقديره لاثأرن۔ و الفرغ الهدر۔ قال الزجاج ان جواب القسم قوله تعالى۔ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ۔ و هو قول المبرد و قال بعض النحويين ان جواب القسم۔ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ۔ و قوله قتل اصحاب الاخدود۔ الخ۔ جملة معترضة۔ و قيل جوابه محذوف و هو لتبعثن۔ قال ابو حيان ان جوابه قتل و انا اختاره و حذفت

قصہ اصحاب الاخدود

اللام اي لُقِتلَ - والقتل هو للّعن - كما قال الله تعالى - قَاتَلَهُمُ اللهُ اَنّٰى يُؤْ فَكُوْنَ - ويكون الجواب دليلا على لعنة الله على من فعل ذٰلِكَ وطرده من رحمة الله تنبيهًا لكفار قريش - اَلّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على انّهم ملعونون بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين - ثم الاُخدود من الخَدّة وهي الحُفرَةُ قال الفرزدق

وَبِهِنّ نَدْفَعُ كَرْبَ كُلِّ مُثَوَّبٍ   وَتَرٰى لَهَا خُدَدًا بِكُلِّ مَجَالِ

المثوّبُ الذي يدعو مستغيثا مرّةً بعد مرّةٍ والاخدود الحفرة الطويلة وجمعه اخاديد ومنه قول الشاعر -

دَكِبْنَ مِنْ فَلْجٍ طَرِيْقًا ذَا اَخَمْ   ضَاحِي الاَخَادِيْدِ اِذَا اللَّيْلُ اَدْلَهَمْ

وقصة اصحاب الاخدود اختلفوا فيها فقال اكثر المفسرين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحرٌ فلمّا كبر ضمّ اليه غلامًا ليعلمه السحر والكهانة وكان في طريق الغلام راهبٌ فسمع منه - فراى في طريقه ذات يوم دابةً قد حبست الناس قيل كانت اَسدًا فاخذ الغلام حجرًا فقال اللهم ان كان الراهبُ احبّ اليك من السّاحر فاقتلها فقتلها فالغلام بعد ذلك يصدر منه خوارق حتى انّه ابصر جليس للملك بعد كونه اعمى فسأله من ابصرك فقال ربي فغضب الملك فعذّبه فدلّ على الغلام فعذّبه فدلّ على الراهب فلم يرجع عن دينه فقدّ بالمنشار - وابى الغُلام ان يرجع فذهب به الى جبل ليطرح منه فدعا على القوم فهلكوا جميعا ونجا فذهب الى قرقور فطاروا اليه واراد وا ان يغرقوه فانكفأت بهم

السفينة فغرقوا ونجا۔ ثم قال للملك لست قاتلي حتى اخذت سهماً من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر منه فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت۔ قال الامام الرازي قال القفال ذكروا في قصة اصحاب الاخدود روايات مختلفة وليس في شئ منها ما يصح الا انها متفقة في انهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم او ملكا كافرا كان حاكما عليهم فالقاهم في اخدود وحفر۔ ثم قال واظن ان تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش فذكر الله ذلك لاصحاب رسوله تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه لقد كان مشركوا قريش يؤذون المؤمنين على ما هو المشهور۔ انتهى۔ والنار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود۔ صفة للنار بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها۔ واللام في الوقود للجنس۔ والوقود الحطب ومعناه التوقد اذا كان مصدرا قال الازهري اعلم ان المصدر احسن من ان يكون الوقود الحطب ؛ وقرأ يعقوب ذات الوقود قال الليث قوة ما ترى من لهبها لانه اسم والوقود بضم الواو مصدر۔ اذ هم عليها۔ اي على حافة النار۔ قعود۔ اي قاعدون۔ جمع قاعد كوقوف جمع واقف وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود۔ اي يشهد بعضهم لبعض بانهم فعلوا ما عهدهم كما امرهم ولم يقصر واقبه اوهم يشهدون

يوم القيامة حيث يشهد عليهم ايديهم وألسنتهم - وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ - قال ابن الاعرابي النَّقْمَةُ والنقمة بالفتح والكسر العقوبة ومنه قول علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه -

مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّيْ ۔ بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيْثٌ سِنِّيْ

وقيل النقمة الكراهة عن الشئ مبالغة ومنه قول ابن قيس الرقيات -

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِيْ أُمَيَّةَ إِلَّا ۔ أَنَّهُمْ يَحْلُمُوْنَ إِنْ غَضِبُوْا

اى وما كرهوا منهم - إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ - قال ابو حيان اى ما عابوا ولا انكروا الايمان كقوله هل تَنْقِمُوْنَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللّٰهِ - كمثل قول الشاعر -

وَلَا عَيْبَ فِيْهَا غَيْرُ شُكْلَةِ عَيْنِهَا ۔ كَذَاكَ عِتَاقُ الطَّيْرِ شُكْلًا عُيُوْنُهَا

انتهى ومثل قول النابغة -

وَلَا عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوْفَهُمْ ۔ بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

قيل وانما الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل - ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا فكانه قال الا ان يدوموا على ايمانهم انتهى ثم العزيز هو الغالب الذي لا يقهره احد - قال الغزالي هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فان لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلثة لم يطلق عليه اسم العزيز - اقول لو وجد مثله قليلا لكان مثل الباري تعالى موجودا وهو باطل لقوله تعالى - ليس كمثله شئ - الحميد هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد بحمده لنفسه ازلا و بحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى صفات الجلال

والعلوّ والكمال منسوبًا الى ذكر الذّاكرين له فانّ الحمد هو ذكر
اوصاف الكمال من حيث هو كمالٌ - الَّذِيْ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَ
الْاَرْضِ - وانّما اخّركونه مالكًا لانّ المالك لايكونُ الامن هومتصفٌ
بصفات كاملة فذكرا ولًا الصفتين الكاملتين الجامعتين لجميع
الصفات الكاملة فبعد ذكرهما ناسب ذكر كونه مالكًا فلذا اخّرها
وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ - يعنى الله تعالى عالم لكل شيء فعلَ تلك
الجبابرةُ القاهرون فى حق المؤمنين الّذين قتلوا بظلمهم فاستشهدوا
فى سبيل الله فيجازيهم بادخالهم النّار - اِنَّ الَّذِيْنَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِيْنَ
وَالْمُؤْمِنٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوْبُوْا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيْقِ
اى ذلك لكفرهم واحراقهم فى النار او هوحكم عام متناول لمن كان
موصوفا بهذه الصفات الذميمة - والحريق فعيل وهو للمبالغة فى الاحراق
فيكون المعنى هو العذاب فى الاحراق وقيل المراد بالّذين فتنوا اصحاب
الاخدود وبعذاب الحريق ماروي انّ النّار انقلبتْ فاحرقتهم كذا
ذكرالبيضاوى - اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ جَنّٰتٌ
تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيْرُ - الفوز هو الظفر بالخير
فالّذى فاز بالخير يصغر فى عينه نعم الدّنيا ورغائبها لانّه يكشف عليه
بعدفوزه انّ متاع الدّنيا وحطامها قليلٌ لايكفى لصاحبها ولايفى
لمقاصده فكانّها فى عينه اوهام وخيالٌ ليس لها وجود فى نفس الامر
اِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ البطش هو الاخذ بالعنف لَشَدِيْدٌ - اى مضاعف عنفه لانّ البطش
اذا يوصف بالشدّة يتضاعف عنفه - اِنَّهٗ هُوَ يُبْدِئُ - بالخلق - وَيُعِيْدُ
كمابدأه اولًا لانّ الاعادة اسهلُ من الابتداء - وَهُوَ الْغَفُوْرُ الْوَدُوْدُ

لمن اطاعه - و اعلم ان الغفر هو الستر و المراد به ستر القبائح و الذنوب فالغافر هو الذی اظهر الجمیل و ستر القبیح لان من العباد من هو نظافة فی ظاهره و قذارة فی باطنه و ذلک بسبب الذنوب و الآثام فالله باعتبار کونه غافراً یستر قذارة باطنه فیتجاوز عن ذنوبه فی الآخرة - و الغفار مبالغة فی الغفران - ای یفعل المغفرة متکررة و الغفور ینبئ عن جودته و کماله و احاطته بالغفران فهو عام من الغفار باعتبار الشمول و التناول - و اذا کان من شانه ان یفعل المغفرة باعتبار جوده و رحمته لا یتوقف غفرانه علی توبة العبد و انابته مطلقاً کما قال الله تعالیٰ - اِنَّ اللّٰهَ لَا یَغْفِرُ اَنْ یُّشْرَكَ بِهٖ وَ یَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ یَّشَآءُ - سواء کان تائباً ام لا - و قالت المعتزلة هو غفور للتائبین و انت تعلم ان عموم الغفران المفهوم من الآیة یرد مذهبهم - وَ الْوَدُوْدُ هو من یحب الخیر لجمیع الخلق فیحسن الیهم و لا یستدعی اضطرار المحسن الیه و احتیاجه الی الاحسان بل یحسن لکمال جوده و لطفه - ذُو الْعَرْشِ - ای مالك العرش و قال بعضهم ذو الملك و السلطنة - و العرش لا یحد حقیقته و لا یعلمه الا الله الْمَجِیْدُ - قرأ الجمهور برفعه علی انه صفة لذو - و الیه ذهب ابو عبید و ابو حاتم - لان المجد هو النهایة فی الکرم فلا یلیق هذه الصفة الا بذاته عز اسمه - و قرئ بالکسر علی انه صفة للعرش - فَعَّالٌ لِّمَا یُرِیْدُ - ای یفعل فی غایة الکثرة - هَلْ اَتٰىكَ حَدِیْثُ الْجُنُوْدِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُوْدَ - و کل واحد منهما بدل من الجنود ای حدیث فرعون و ثمود - و المراد بفرعون قومه و انما قدم فرعون لکونه فی زیادة

الطغیان۔ وانما ذکر فرعون و ثمود لان قصتهما مشهورة فی العرب قال ابوحیان الا ترى الى زهیر ابن ابی سلمى، و قوله۔

اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللهَ اَهْلَكَ تُبَّعًا ۔۔۔ وَاَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِیَا
وَاَهْلَكَ ذَا الْقَرْنَیْنِ مِنْ قَبْلِ مَا نَوَىٰ ۔۔۔ وَفِرْعَوْنَ جَبَّارًا طَغَىٰ وَالنَّجَاشِیَا

اقول قال بعض الشارحین لدیوان زهیر۔ ان القصیدة التی فیها هذان البیتان لیست من زهیر بن ابی سلمى کما ذکر الاعلم النحوی فی شرحه قال الاصمعی هی لیست لزهیر۔ ویقال هی لصرمة الانصاری ولا تشبه کلام زهیر۔ والمعنى قد اتاک حدیث قوم فرعون و ثمود و کان طغاة فی الکفر وعتاة فی الجحود وتمادیهم فی الظلم والضیم۔ فلما هلکوا لم ینفعهم ما لهم و اولادهم۔ فحال الذین کذبوک مثل احوال المکذبین الاولین فلا یلیق بک ان تجزع بتکذیبهم ایاک

بَلِ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا فِیْ تَكْذِیْبٍ ۔ ای انهم یکذبون ۔ وَاللهُ مِنْ وَّرَآئِهِمْ مُّحِیْطٌ ای الله تعالى ۔ قد احاط بهم فهم محصورون لا یستطیعون ان یدفعوا ما ینزل علیهم من القهر والعذاب ۔ بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ مَّجِیْدٌ فِیْ لَوْحٍ مَّحْفُوْظٍ ۔ رد و ابطال لتکذیبهم واثبات لما هو حق عند الله ۔ ای لیس الامر کما زعموا بل هو کتاب مکرم بین الکتب الالهیة و مجید باعجازه فی نظمه و اخباره بالمغیبات وغیر ذلک من محاسنه القدسیة قرأ الجمهور ان قوله قرآن موصوف ومجید صفته و قرأ ابن السمیقع بالاضافة۔ قال ابن خالویه سمعت ابن الانباری یقول معناه بل هو قرآن رب مجید کما قال الشاعر ؛ وَلٰكِنَّ الْغِنَىٰ رَبٌّ غَفُوْرٌ ؛ ای غنى رب غفور۔ هذا ما ذکره ابوحیان والوح شئ لا یدرک حقیقته احد الا الله و قالت الصوفیة هی النفس الکلیة و معنى المحفوظ محفوظ عن التحریف والتصحیف ۔ تم تفسیر هذه السورة بعون الله الملک القدوس العزیز الودود والصلوة على نبیه خاتم الانبیاء صاحب المقام المحمود وعلى آله واصحابه الذین هم ائمة اصحاب الکرم و الجود

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ - وهو من طرق يطرق طروقاً اذا جاء ليلاً ثم استعمل في كل ما بدا في الليل قال الفراء الطارق النجم لانه يطلع بالليل وما اتاك ليلاً فهو طارق - وكذا قال المبرد والزجاج [illegible] اختلف في هل هو نجم معين او جنس النجم - فقيل هو زحل - وقيل الثريا وذكر صاحب الصحاح هو كوكب الصبح - اقول ومنه قول هند بنت عتبة

نحن بنات طارق لا ننثني لوامق
نمشي على النمارق المسك في المفارق
والله في المخانق ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق فراق غير وامق

اى ان ابانا في الشرف والعلو كالنجم المضئ - وَمَآ اَدْرٰىكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ - المضئ كانه يضئ الظلام بضوئه - وهذا قول الفراء وقيل الثاقب زحل وقيل الثاقب هو الذى ارتفع على النجوم واختار بعضهم القول الاول وقال عبر عنه اولاً بوصف عام ثم فسره ثانياً بما يخصه تفخيماً لشانه وهذا ترجيح بلا مرجح - اِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ - قرأ حفص في رواية عن عاصم اِنْ مخففة ولما مشددة وكذا قرأ حمزة والنخعي وقتادة وابن عامر وابو عمرو ونافع في رواية قال ابو علي الفارسي وعلى هذه القراءة لا تكون ان الا نافية [illegible]

فائدة: اختلف القراء والنحويون في ان [illegible] على المصنف [illegible]

ابن هشام في المغني ان لمّا تكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى ان كل نفس الخ - وعلى الماضي لفظا لا معنى نحو انشدك الله لما فعلت اى ما اسألك الا فعلك - قال الشاعر -

قَالَتْ لَهُ يَا ذَا الْبُرْدَيْنِ لَمَّا غَنِثْتَ نَفَسًا اَوِ اثْنَيْنِ

الغنث التنفس وقيل هي كناية عن الجماع - قال الامام الرازي وروى عن الاخفش والكسائي وابى عبيدة انهم قالوا لم نوجد لمّا بمعنى الا في كلام العرب - قال ابن عون قرأت عند ابن سيرين لما بالتشديد فانكره وقال سبحان الله سبحان الله - انتهى وذكر الصحاح انها لا تجئ بمعنى الا - اقول وقد ذكر صاحب اللسان وتكون بمعنى الا في قولك سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وكذا قوله تعالى - وَاِنْ كل نفس لما جميع لدينا محضرون شددها عاصم والمعنى ما كل نفس الا جميع لدينا - وقال الفراء لمّا اذا وضعت في معنى الا فكانها لم ضمت اليها ما فصارا جميعا ان التى تكون جحدا فصارا جميعا حرفا وخرجا من حد الجحد وكذلك لما قال ابو منصور ومما يدلك على ان لمّا تكون بمعنى الا مع ان التى تكون جحدا قول الله عزوجل ان كل لمّا كذب الرسل وهي قراءة قراء الامصار وقال الفراء وقراءة عبدالله ان كلهم كذب الرسل - قال والمعنى واحد - قال الكسائي وتكون في معنى الامكان تقول بالله لما قمت عنا بمعنى الا عنا وهو مذهب الكوفيين وهو لغة هذيل كما قال صاحب اللسان والعتبي وغيره كما اشار اليه ابو حيان وكذا قال الزجاج - انتهى ملخصا قال العلامة المغني وفيه رد لقول الجوهرى ان لمّا بمعنى الا غير معروف في اللغة - وقرأ جمهور

ان مخففة وكل مرفوع ولما خفيفة فهي عند البصريين مخففة من
الثقيلة وكل مبتدأ وما زائدة واللام هي الداخلة للفرق بين ان النافية وان
المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدأ - وعليها متعلق به قال ابو حيان
وحكى هارون انه قرئ ان بالتشديد وكل منصوب فاللام هي الداخلة
في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر ان وجواب القسم هو ما دخلت عليه
ان سواء كانت المخففة او المشددة او النافية لان كلا منها يتلقى
به القسم فتلقيه بالمشددة مشهور وبالمخففة تالله ان كدت لتردين
وبالنافية ولئن زالتا ان امسكهما - والمعنى ما من نفس الا عليها
حافظ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها ورزقها واجلها والمراد
بالحافظ هو الملك المسلط على الانسان وقيل هو الله تعالى حقيقة لان
الملك لا يحفظ الانسان الا بحكمه فهو الحافظ الحقيقي على جميع امور
وهذا هو الاصح - فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ - والمراد به الانسان المنكر الذي
مِمَّ خُلِقَ - اي من اي شيء خلق - خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ - قال الزجاج معناه
ذو اندفاق مثل دارع بمعنى ذو درع ونابل معناه ذو نبل وهذا قول
سيبويه والخليل وقال الفراء دافق بمعنى مدفوق - لان اهل الحجاز
جعلوا الفاعل بمعنى المفعول وهو قول الاخفش - قال الازهري الدفق
في كلام العرب صب الماء وهو متعد يقال دفقت الكوز فاندفق
وهو مدفوق اي مصبوب والمراد بالماء ماء الرجل والمرأة - والانسان
متولد منهما على الاكثر - هذا تنبيه على ان الانسان يجب عليه ان
ينظر في بدء خلقه فان الله تعالى كيف يحفظه من المعاطب والمهالك
فلا يصيبه شيء من الحوادث الا ما قدر الله عليه - قال الاطباء ان

بيان ان الله ... في الحيوانات ... والاعضاء في هذا المسألة

النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وهي تنفصل عن الاعضاء وبذلك يتشابه اعضاء الولد باعضاء الوالدين - قال جالينوس وسائر الاطباء ان لكل واحد من الذكر والانثى منيًّا والدليل عليه انه لو لم يكن كذلك لكان خلقة الخصية والمجارى لها عبثًا - ولما خلقت لها هذه الاعضاء لابد لها ان يفعل فعلًا مناسبًا كما هو حال سائر الاعضاء والقوى وافعالها - فكذلك تفعل اعضائها المذكورة فعلًا يتولد منها المنى الا ان منيها لضعف لانها ادق واشبه بدم الطمث ثم الحكماء والاطباء اتفقوا على ان القوة العاقدة في منى الذكر والمنعقدة في منى الانثى ثم اختلفوا في ان المنعقدة بل توجد في منى الذكر ام لا والعاقدة هل توجد في منى الانثى ام لا فالحكماء انكروا ذلك والاطباء اثبتوه وقالوا ان العاقدة في الذكر اقوى - واشد من عاقدة الانثى وكذا المنعقدة في الانثى اقوى واشد من منعقدة الذكر - قالت الحكماء لو وجدت القوتان في منى كان الشئ الواحد فاعلًا ومنفعلًا - وهو ليس بشئ لان المراد من الشئ الواحد هو البسيط والمنى ليس ببسيط لانه خارج من اعضاء مختلفة ولذلك يكون مبدأ للاشياء الكثيرة كالقوى المتنوعة والاخلاط المختلفة. بهذا الاعتبار يجوز ان يكون فاعلًا ومنفعلًا وذلك بجهتين مختلفتين - فلا استحالة فيه على اصولهم ايضًا - ثم استدل الحكماء على مذهبهم انه لو كان في منى واحد قوتان لزم ان يكون احد المنيين كافيًا في التوليد والتالى باطل فالمقدم مثله - اما بيان بطلان تالى الشرطية بانه لا معنى للقوة الفاعلة الا كونها موجد التغير في اخر من حيث اخر فاذا تلاقت

القوة الفاعلة المنفعلة من شخص واحد وجب أن يوجد فيهما التغير لكنه لم يوجد فيهما فلم يكن المنى الواحد مبدأ للفعل والانفعال وهذا خلف وبطلان التالي يلزم بطلان المقدم۔ اقول وهذا الاستدلال ضعيف لأن احد المنيين كما لا يكفي في التوليد كذلك التقاء القوتين من ذكر وانثى واجتماع منيهما لا يكفي لانعقاد الولد۔ لأن كثيرا ما يرى التقائهما منهما من غير ان ينعقد الولد في الرحم وهذا امر لا امتراء فيه عند من له قوة مفرطة وشهوة شديدة على الجماع بل من كان له ملكة في هذا الامر اذا اراد التقاء المائين فعل ولا استصعاب له فيه اصلا وهذا امر لا يعرفه اكثر الناس۔ ولذلك قال بعض الحكماء ان التقاهما ليست علة تامة له بل هو شرط لانعقاده فيكون المعنى ان الله سبحانه متى اراد تكوين الولد لا يريده الا بعد التقاء المائين۔ اقول وكل ذلك اذا كان الباري تعالى فاعلا موجبا اما اذا كان فاعلا مختارا يجوز له تكوينه بغير هذا الشرط على طريق خرق العادة كما خلق عيسى بن مريم عليهما الصلوة والسلام واذا ثبت ذلك يجوز لنا ان نقول ان في كل منهما قوتين فاعلتين ومنفعلتين والتوالد الذي يكون على طريق العادة يتوقف على التقاء مائين من ذكر وانثى لاكن التوالد الذي لا يكون على طريق العادة يكفي فيه قوتان من احدهما۔ واليه مال جالينوس في بعض اقواله۔ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ۔ جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر قال امرؤ القيس۔

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ   تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

هذا هو الذی ذهب الیه جمهور اهل اللغة - و قیل هی عظام الصدر - وقیل ما بین الثدیین و الترقوتین قال الاغلب العجلی -

أشْرَفَ ثَدْیَاهَا عَلَی التَّرِیْبِ   لَمْ یَعْدُوَا التَّفْلِیْكَ فِی النُّتُوْبِ

التفلیك إدارة الثدی کالفلکة - و النتوب النهود و الارتفاع - وقیل الترائب الیدان و الرجلان و العینان - و قیل الترائب اربع اضلاع من یمنته الصدر و اربع من یسرته - قال سفیان و قتادة معناه من بین صلب الرجل و ترائب المرأة - قال الاطباء ان المنی ینفصل من جمیع الاعضاء فلم خص الله سبحانه من بینها الصلب و الترائب - قال الامام الرازی و جوابه لاشك ان لاعظم الاعضاء معونة فی تولید المنی و هو الدماغ و للدماغ خلیفة و هی النخاع و هو فی الصلب و له شعب کثیرة نازلة الی مقدم البدن و هو التریبة فلهذا السبب خص الله تعالی هذین العضوین بالذکر علی ان کلامکم فی کیفیة تولد المنی و کیفیة تولد الاعضاء من المنی محض الوهم و الظن الضعیف و کلام الله اولی بالقبول - انتهی - و هذه الآیة تدل علی تولد الانسان من النطفة و هو من اعظم الدلائل علی وجود صانع العالم المختار و کمال قدرته و کذلك علی اثبات الحشر و النشر لان اجزاء النطفة قبل ترکیبها کانت بسائط منحلة فلما وقع الترکیب فیها من الصانع المختار تعالی و علیها تقلبات کثیرة حدث بها صورة الانسان فکذلك اذا بلغ عمره الی نقطة النهایة یجوز ان ینحل اجزائه و یتشتت ترکیبه حتی تصیر اجزائه کالهباء المنثور فیجوز ان ینعطف العنایة الازلیة الی هذه الاجزاء المنتشرة فیرید تالیفها و تنظیمها و یخلق بها

انسانًا سویًا کما کان قبل ذلک لان الاعادۃ لیست مستصعبۃ من البدایۃ فھذہ الایۃ مع الایۃ السابقۃ مصححۃٌ لثبوت المعاد والحشر- واللہ اعلم- ولذلک قال اللہ سبحانہ- اِنَّہٗ عَلٰی رَجْعِہٖ لَقَادِرٌ- الرجع من رجعت الشیٔ اذا رددتہ الی الحالۃ الاولی- قال مجاھد والمراد بالرجع ان یرد الماء فی الاحلیل- وقال عکرمۃ والضحاک علی ان یرد الماء فی الصلب وروی عن الضحاک انہ قادر علی رد الانسان ماءً وقال مقاتل قادر علی ان یرد الانسان من الکبر الی الشباب ومن الشباب الی الصبا- اقول وھذہ الاقوال کلھا ظنونٌ واوھام لا طائل تحتھا فالصحیح ان المرد بالرجع ھو الاعادۃ- قال ابو حیان وروی عن ابن عباس وقتادۃ الضمیر یرجع الی الانسان ای علی ردّہ حیًّا بعد موتہ ای من انشأہ اوّلا قادرٌ علی بعثہ یوم القیامۃ انتھی ویدل علی صحۃ ھذا القول قولہ تعالٰی- یَوْمَ تُبْلَی السَّرَآئِرُ- الابتلاءُ الاختبارُ ای تختبر السرائر- والسریرۃ کالسر یقال علی عمل السر من خیرٍ وشرٍ- ومنہ بیت الاحوص-

سَیَبْقٰی لَھَا فِیْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِیْرَۃُ وُدٍّ یَوْمَ تُبْلَی السَّرَائِرُ

والمراد بھا ھٰھنا الاعمال القبیحۃ- ومعنی الاختبار ان الاعمال التی یعتمد علیھا ویعتقد بانھا وسیلۃ لنجاتہ وفلاحہ ویعقل انہ یستحق الثواب بھا فینظر یومئذٍ فی تلک الاعمال لانہ ربما یکون ظاھرھا حسنًا وباطنھا قبیحًا کما یکون اعمال المرائین علی ھذہ الصفۃ فیکشف اللہ علیہ حقائقھا فاذا راھا خلاف ما یتوقع یحزنُ ویاسف علی نفسہ وھذا معنی الابتلاء والاختبار- وقیل معناہ

تکشف لانّ الشیء وقت اختیاره یکشفُ حاله فالاختبار یکون سببًا لکشف احوال الاعمال - فاستعمل السببُ مقام المسبّب علی طریق المجاز - فَمَا لَهٗ مِنْ قُوَّةٍ وَّلَا نَاصِرٍ - ای لیس له قوة فی نفسه علی دفع ما حلّ به من العذاب ولا ناصر ینصره فی الدفع عنه - وهذه الاٰیة من متمسکات منکری الشفاعة - وجوابه اَنّ شفاعة رسول الله صلی الله علیه وسلم عندنا لاهل الکبائر من الامّة المحمدیة فی اسقاط العذاب عنهم کما روی عن النبی صلی الله علیه وسلم شفاعتی لاهل الکبائر من امّتی - وقال الله تعالی وتقدس تعلیمًا لنبیه صلی الله علیه وسلم واستغفر لذنبک وللمؤمنین والمومنات ولانتبهافی جمیع الاوقات

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ - قال ابن عباس الرَّجعُ السَّحَابُ فیه المطر - وقال بعض اهل اللغة الرَّجعُ المطر ومنه قول الهذلی -

اَبْیَضَ کَالرَّجْعِ رُسُوْبٌ اِذَا مَا ثَاخَ فِیْ مُحْتَفَلٍ یَخْتَلِیْ

یصف سیفاهو کماء المطر فی بیاضه وصفائه والرسوب الذی یرسب فی اللحم والمحتفل الاعظم موضع فی الجسد ویختلی یقطع وثاخ غابَ وانّما سُمّیَ به لانّه یرجع مرّة بعد مرّة - وقال ثعلب لانَّ السَّمَاءَ ترجِعُ بالمطر سنة بعد سنة - وکذا قال الجیلانی - وقال الفرّاء تبتدی بالمطر ثم ترجع به کل عام - قال ابو عبیدة الرَّجعُ فی کلام العرب الماءُ وقال ابو الهیثم حاکیا عن الاسدی الرجع الرعدُ - وقیل الملائکة لانّهم رجعون الی السّماء باعمال العباد - وقیل دورانه من الموضع الذی یتحرک منه فترجع الاحوال التی تتعلق بدورانها وتنتظم امور اللیل والنّهار ومسیر الشمس والقمر والکواکب السیّارة من برج الی برج

و ترتیب الفصول و تنظیمہا - و قال ابو حیان و قول الجمہور ان الرجع هو المطر - انتہی و ھذا المعنی انسب لقولہ - وَالْاَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ای ذات الانشقاق ومثلہ قولہ تعالی فشققنا الارض شقًا - قال ثعلب ای تنصدع الارض بالنبات و المعنی اقسم بالسماء التی ھی ذات مطر و جود فتنصدع منہ الارض و تخرج منہا النبات فی الاشجار والخضروات فتنبع منہا العیون و الانہار و تنبت بہ زروع و ارزاق للحیوان و الانسان - اِنَّهٗ - ای القرآن لَقَوْلٌ فَصْلٌ - ای قول مفصل للشرائع و الاحکام او قول یفصل الحق عن الباطل - و الفصل هو الحکم - وَّمَا هُوَ ای القرآن - بِالْهَزْلِ - ای لیس فی باطنہ هزل و لا فی ظاهره لهو - لانہ کلام اللہ کلہ فهو جد مملوٌ بالحکمة و الموعظة یورث لقاریہ عزًا و وقارًا ولسامعہ خشیة و انکسارًا - اِنَّهُمْ - ای کفار مکة - یَكِیْدُوْنَ ای یحتالون - كَیْدًا - احتیالا لا حین احتشد و لفی دار الندوة وتشاوروا فیما بینهم لاضرار رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم - وقال الزجاج یختالون النبی صلی اللہ علیہ وسلم و یظهرون خلاف ما یسرونہ - وقیل معناہ یمکرون بالناس فی دعوتهم الی خلاف القرآن و یصدونهم عن سبیل اللہ - وَّاَكِیْدُ كَیْدًا - قال الزجاج کید اللہ لهم استدراجهم من حیث لا یعلمون - قال ابو بکر و کاد جاء بمعنی اراد ومنہ قول الافوہ

فَاِنْ تَجْمَعْ اَوْتَادٌ وَ اَعْمِدَةٌ وَسَاكِنٌ بَلَغُوا الْاَمْرَ الَّذِیْ كَادُوْا

ای ارادوا - و قال فی معناہ -

كَادَتْ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَیْرُ اِرَادَةٍ لَوْ كَانَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضٰى

قال معناہ ارادت و اردت فیکون المعنی انهم یریدون اضرارہ

وَاِنِّیْٓ اُرِیْدُ اضْرَارَ هُمْ وَهُوَ عَذَابُ الْاٰخِرَةِ - وقیل معناه اجازی جزاء کیدهم فانتقم منهم فی الدنیا بالخزی والخسران وفی الاٰخرة بالنکال والنیران - فَمَهِّلِ الْكٰفِرِیْنَ - ای لا تستعجل فی دعاء تعذیبهم وتنکیلهم - اَمْهِلْهُمْ رُوَیْدًا - ومثله قوله تعالی واملی لهم انّ کیدی متینٌ - قیل وتکبیر رُوَیدَ رودٌ لضم الراء یقال فلان یمشی علی رُودٍ ای علی مهل قال الجموح الظفری -

تَكَادُ لَا تَثْلِمُ الْبَطْحَاءَ وَطْأَتُهَا كَاَنَّهَا ثَمِلٌ تَمْشِیْ عَلٰی رُوْدِ

وقال ابو عبیدة تکبیره رودٌ بفتح الراء ومنه الارواد ومعناه الامهال ولذلك قالوا رویدًا بدل من قولهم ارودوا دًا الذی بمعنی ارود ای امهل فکانّه تصغیر الترخیم بطرح جمیع الزوائد - قال ابن سیده وهذا مذهب سیبویه فی رُوَیدَ وفی هذه الکلمة ثلاثة اقوال - احدها ان تکون اسمًا للفعل وهو قول سیبویه قال وقالوا رویدًا ای امهله ولذلك لم یُثَنّ ولم یجمع ولم یؤنث وثانیها قال سیبویه وقد یکون رُوَیدَ صفةً فیقولون ساروا سیرًا رُویدًا ویحذفون السیر فیقولون ساروا رویدًا یجعلونه حالا له -- قال الازهری ومن ذلك قول العرب ضعه رویدًا ای وضعًا رُوَیدًا وثالثها انّها تجیئ مضافةً الی ما بعدها مثل سائر المصادر مثل ضرب الرقاب ومنه قول الشاعر -

رُوَیْدَ بَنِیْ شَیْبَانَ بَعْضَ وَعِیْدِكُمْ تُلَاقُوْا غَدًا خَیْلِیْ عَلٰی سَفَوَانِ

قال ابن عباس رضی الله عنهما معناه امهلهم امهالًا رویدًا ای قریبًا وقال قتادة قلیلًا وعلی هذا تکون رویدًا صفةً لموصوف محذوف کما ذکر

فی القول الثانی - و قال صاحب الکشاف - ای امهلهم امهالا یسیرا یسیرا - و کرر و بغیر اللفظ الاول للتسکین و التصبیر - و قال ابو حیان الاول مطلق و الثانی مقید - و قرئ و مهّلهم رویدا - والله اعلم و علمه اکمل و اتم - تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله رب العالمین و الصلوة علی محمد رسول الله خاتم النبیین و علی اله الطیبین و اصحابه الطاهرین

سورة الاعلی تسع عشرة اٰیة مکیة

بسم الله الرحمٰن الرحیم

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى - ای نزهه عن النقائص و العیوب قال ابن عباس رضی صلّ باسم ربك العظیم - کما تقول ابدا باسم ربك العظیم - و انما قال ذلك لان التسبیح قد یکون بمعنی الصلوة و الذکر کما روی ان عمر رضی الله عنه جلد رجلین سبّحا بعد العصر ای صلّیا و منه قول الاعشی -

وسبّح علی حین العشیّات والضحی ولا تعبد الشیطان والله فاعبدا

یعنی الصلوة بالصباح و المسا و علیه فسر فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ - ای یامرهم الصلوة فی هذین الوقتین - و المشهور فی التسبیح هو التنزیه امر الله سبحانه لنبیه صلی الله علیه وسلم ان ینزهه تعالی عما لا یلیق بشانه فلا یجوز ان تدعوه الا بالاسماء

الذي وردالتوقيف بها في يجوز ان يقال انه كليم ولا يجوز ان يقال انه ناطق فقس على هذا ثم التنزيه على اقسام الاول تنزيه ذاته تعالى عما لا يليق بها - فهو لا يحصل الا في مرتبة الاحدية لان الذات في هذه المرتبة منزهة عن كل شان واعتبار واسم وصفة فلا يطلق في هذه المرتبة انها باطنة او ظاهرة وسميت هذه المرتبة عند الصوفية مرتبة اللاتعين والثاني التنزيه باعتبار وحدته عن اعتبار الكثرة وهي عبارة عن اتصافها بجميع الاسماء والصفات وهو التعين الاول عند اهل الحقائق - والثالث هو التنزيه باعتبار الوهيته تعالى وفي هذه المرتبة تنزه ذاته تعالى عن الصفات الاضافية كالخلق والتكوين مثلا وسميت هذه المرتبة بالواحدية والرابع هو التنزيه عن الصفات الامكانية كالجوهرية والعرضية والجسمية وعن كون ذاته مكانية وزمانية وغيرها ومعناه ان يعتقد بان صفاته الحقيقية كلها ازلية ليست بحدثة ولا متناهية وللماجمع اجمالي في المرتبة الالوهية والخامس هو التنزيه باعتبار الاسماء اي لا يطلق عليه تعالى اسم لم يرد في الشرع - بل يجب ان يتوقف على اسمائه التي نطق بها الشرع واختلفوا في ان الاسم هل هو عين المسمى والتسمية ام لا - قال بعضهم ان الاسم هو المسمى ولكنه غير التسمية وقال بعضهم هو غيره ولا كنه هو التسمية وقال بعضهم قد يكون عين المسمى كقولنا الله تعالى انه ذات وموجود وقد يكون غير المسمى كقولنا انه خالق ورازق فانهما يدلان على الخلق والرزق وكل واحد منهما غير ذاته وقد يكون لا هو

ولا غیرہ کقولنا انّہ قادرٌ و عالمٌ فانہما ید لان علیٰ قدرۃ و علمٍ و منشأ کل واحدٍ منہما ھو ذاتہ تعالیٰ - فالامر بالتسبیح یتعلق بالاسم فالمسمّی عند من ذھب الی عینیتہما و یتعلق بالمسمّی عند من ذھب الی غیریتہما - و یتعلق بھا من جہتین مختلفتین عند من ذھب انھا لا ھے عنیہ ولا ھے غیرہ و تفصیل ھذہ المسئلۃ قد مضی فی سورۃ البقرۃ واما قولہ الاعلیٰ فمعناہ انّہ الاعلیٰ باعتبار الذات و الصفات من کل شیٍٔ لا باعتبار المکانِ کما ذھبَ الیہ المجسّمۃ امّا کونہ اعلیٰ باعتبار الذاتِ و الصفات فلانّ ما سواہ ممکن الوجود لذاتہ و کل ممکن فطرفاہ اعنی وجودہ و عدمہ متساویان فلا یترجح جانب الوجود الا من مرجحٍ و مرجحہ ان کان ممکنا یلزم الدورُ والتسلسلُ وھما مستحیلان فلا بدّ ان یکونَ واجبًا لیرجح جانب وجودہ علیٰ عدمہ فیکون الممکن محتاجا الیہ باعتبار وجودہ و ذاتِہ ولا ریب فی انّ المحتاج الیہ اعلیٰ من المحتاج - و کذا صفاتہ ایضا واجبۃ قدیمۃ لانہا صفات الواجب تعالیٰ - اذ لو کانتْ حادثۃ کما ذھبت الیہ الکرّامیۃ لکان قیام الحوادثِ بذاتِہ تعالیٰ - فیکون ذاتہ تعالیٰ محلاً للحوادثِ فیکون حادثًا و ھو باطل قطعًا فتحقق انّہ تعالیٰ اعلیٰ ممّن سواہُ - و امّا ما قالتِ المجسّمۃِ انّہ تعالیٰ اعلیٰ باعتبار المکان فھو باطلٌ بوجوہٍ الاوّل لانّہ لو کان اللّٰہ تعالیٰ - اعلیٰ باعتبار المکانِ لزمَ قدمُ المکان وقد برھن فی موضعہ وھو باطلٌ والثانی وھو بانہ اما اَن یکونَ خلاءً محضًا ای بعدًا مجردًا عن المادّۃ او سطحًا باطنًا من الجسم الحاوی المماس للسطح الظاھر من الجسم المحوی و کل واحد منہما باطل اما الاوّل فلانّہ

لو وجد البعد مجرداً عن المادة لکان له غناء من کل وجه فلا یجوز ان یکون محلاً لشئ اذ لو کان محلاً لبطل غناءه وبیانه فی تجرده فبطل ان یکون المکان بعداً مجرداً۔ واما الثانی فهو ظاهر البطلان بالنسبة الیه تعالی۔ لانه یلزم به جسمیته وکونه فی جهة وزمان۔ قال الامام الرازی ان المکان بهذا المعنی اما ان یکون متناهیا واما ان یکون غیر متناه فعلی الاول ان یکون فوقه متعالیاً من الباری تعالی۔ فلا یکون الاعلی من کل شئ من المکان۔ وعلی الثانی فالقول بعدم غیر متناه محال۔ اما الثالث فان معنی قولهم انه تعالی اعلی باعتبار المکان هو ان مکانه اعلی من جمیع الاماکن وهذا القول یستلزم ان یکون له مکان فیلزم کونه مکانیا وهو باطل لانه لو کان مکانیا لکان محتاجا الی المکان لان المتمکن یستحیل ان یوجد بدونه فیلزم ان یکون الباری ممکنا وهو باطل۔ والرابع لو کان مکانیا فهو اما ان یتمکن فی بعض احیاز المکان او یتمکن فی جمیعه وکلاهما باطل اما الاول فلتساوی الاحیاز فی انفسها فلو حصل فی بعضها دون بعض لزم الترجیح بلا مرجح۔ وهو باطل ولو حصل فی جمیع الاحیاز یلزم تداخل المتحیزات لان بعضها مشغول بالاجسام سوی الواجب تعالی وتداخل المتحیزات باطل وایضا یلزم مخالطة الواجب تعالی بالقاذورات تعالی الله عنه فثبت ان الواجب تعالی لیس له مکان روی انه لما نزل فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ۔ قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اجعلوها فی رکوعکم ولما نزل سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى۔ قال اجعلوها فی سجودکم۔ وکانوا یقولون فی الرکوع اللهم لك رکعت وفی

السجود اللّٰهم لك سجدت ثم الاعلى يجوز ان يكون صفة لربك وان
يكون صفة لاسم فيكون منصوبا - الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى - صفة اخرى
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى - اى خلق الموجودات فسوّاها والمراد بالتسوية
ان الله تعالى اوجدها على حسب ما يقتضيه علمه وارادته ولم يترك
شيئا من نظامها واتقانها فسوّاها على شان منتظم ونهج بديع وقدّر
احوالها فهداها اليها - قال الفرّاء اى قدّر فهدى واضلّ - اى قدّر
منافع كل مخلوق ومضارّه ثم هداه الى اكتساب تلك المنافع و
الاجتناب عن تلك المضرات - قرأ الجمهور قدّر مشدّدة والكسائي
مخفّفة - فعلى الاول يكون المعنى انه تعالى قدّر كل شئ على مقدار
معلوم فهداه اليه - وعلى الثاني يكون معنى قَدَرَ مَلَكَ والملك
يلزمه التصرف فيكون المعنى تصرف فيه على ما شاء فهداه الى منافعه
ومصالحه وهذا المعنى يتناول كل مخلوق - وقال الزجّاج خلق
الانسان مستويا اى معتدلا في كل خلق وقوة - كما قال الله تعالى
الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ - فالمراد بالتسوية انه جعل قامته
مستوية معتدلة واعطاه حسنا وجمالا صورة ومعنى فالحسن
الصوري تناسب اعضائه وتناسق اجزائه والحسن المعنوي تزيينه
بالعقل والشعور والقدرة والارادة فبهذه الفضائل الجليلة والاوصاف
الجميلة حصل له الكرامة والفضيلة على كثير من المخلوقات ولذلك
قال كرّمنا بني آدم على كثير من خلقنا واعلم انّ هذه الآية مع
الايجاز تتناول كثيرا من الفوائد - قال الامام الرازي وتفصيل
هذه الآية ممّا لا يفي بشرحه المجلدات - وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ

غُثَآءً اَحْوٰى - قال الفرّاء اذا صار النَّبتُ يَبَسًا فهو غثاءٌ والاصل فيه انّ الغُثَآءَ بالضمّ والمدّ ما يحمله السَّيلُ من القمش وكذلك الغثاءُ وهو ايضا الزَّبَدُ والقذرُ وحدّثه الزَّجاج وقال الغثاءُ الهالك البالى من ورق الشجر الذي اذا خرج السَّيلُ رأيتهُ مخالطًا زبدهٗ - ومنه قول امرء القيس -

كَاَنَّ ذُرٰى رَاسِ الْمُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ

واَحْوٰى من الحُوَّة ومعناها سواد الى الخضرة - وقيل حمرة الى السواد وهذا قول الاصمعی - ومنه قول ذی الرمّة -

لَمْيَاءُ فِىْ شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفِى اللِّثَاتِ وَفِىْ اَنْيَابِهَا شَنَبُ

وقال زهير بن ابی سُلمی -

فَقَالَ شِيَاهٌ رَاتِعَاتٌ بِقَفْرَةٍ بِمُسْتَأْسِدِ الْقُرْيَانِ حُوٌّ مَسَائِلُه

الشياه الحمير - والمُسْتَأْسِدُ ما طال من النَّبات والقُرْيانُ مجارى الماء الى الرّياض - والمعنى انّه تعالى اخرج المرعى فی النضارة والخضرة ثمّ جعله غثاءً - اى يبسًا قد اسودّ من العتق والقِدَم - ثمّ يفنيه ثمّ يخرجه وينبته وكذلك ان يفنى العالم وهذا دليل واضح على اعادة العالم بعد فنائه - قال ابن عباسؓ والمعنى اى اسود لانّ الغثاء اذا قدم واصابته الامطار اسودّ وتعفّن فصار احوى - اى اسود وعلى المعنى الاول يكون احوى حالا من المرعى وعلى الثانى صفة لغثاء والاول هو الاولى - سَنُقْرِئُكَ - قال المفسّرون انّ الامر بالتسبيح بقوله سبّح اسم ربك الاعلى لا يتمّ الا بالقراءة فشرع الله فی بيان القراءة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف

فِي نفسه حين يُنَزَّلُ عليه القرآن من نسيانه وكان يُعَجِّلُ في القراءة كما يلوح لك من قوله تعالى - لا تحرك به لسانك لتعجل به - فانزل الله سبحانه هذه الآية تبشير الرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انك يا محمد لا تعجل بالقراءة فانا سنقرؤك ما نوحي اليك بعد قراءة جبريل عليك او نجعلك قارئا بالهام فلا تنسى قط ولما كان النسيان صفة ردية نفاها الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم وقال - فَلَا تَنسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ - قال الامام الرازي - قال الكلبي انه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه الآية قط - وقال ان هذا الاستثناء غير حاصل وذكر انه قال الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان يجعلك ناسيا لقدر على ذلك كما قال وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثم انا نقطع بانه تعالى ما شاء ذلك - وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك البتة وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضله واحسانه لا من قوته انتهى ويؤيده ما قال الله تعالى - وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ - فاذا كان القرآن موعود احفظه لا يجوز ان ينساه رسول الله صلى الله عليه وسلم واليه ذهب صاحب الكشاف - وقال والغرض منه نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي

انتهى وهذا قول جماعة من النحويين - و قال بعضهم ان لا تنسیٰ للنهی
و الالف فيه للفاصلة - قال ابو حيان وهذا القول ضعيف - اقول
و مثل هذا امر جرى في القرآن - كما قال الله تعالى - فاضلونا السبيلا
وهذه قراءة عاصم وحفص - فما قال ابو حيان باطل - قال البيضاوي
و قيل المراد به القلة و الندرة لما روى انه عليه الصلوة والسلام
اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابی انها نسخت فسأله
فقال نسيتها - انتهى قال الزجاج الا ما شاء الله ان ينسى فانه ينسى
ثم يتذكر بعد ذلك فلا ينسى نسيانا كليا دائما - اِنَّهٗ يَعْلَمُ الْجَهْرَ
وَمَا يَخْفٰی - ای ما ظهر من احوالکم وما بطن - والمراد انه يعلم ما تجهر
بالقراءة مع جبريل من خوف التفلت وما تقرأ في نفسك و يعلم الذي
يعدك اليه مخافة ان ينسى الذي انزله الله اليك - فمن هو موصوف
بهذه الصفة قادر على حفظه في نفسك - و هذه الاية تدل دلالة
باهرة على انه تعالى عالم بالجزئيات سواء كانت منتشئة في الخارج او في
الذهن و ذلك لانها معلولة له تعالى - وان كانت معلوليتها بالواسطة
كما ذهب اليه الفلاسفة - وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرٰى - حكى عن سيبويه
يسره اى وفّق عليه و سهّل والتيسير يكون في الخير والشر فنيسرك
لليسرى - فهو في الخير - و قيل التيسير التوفيق اى وفقه للخير - و قال
الفراء التيسير العود الى العمل الصالح - و قال وان قال قائل كيف
كان نيسّر للعسرى - و هل في العسرى تيسير - اقول هذا كقوله تعالى
وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِعَذَابٍ فالبشارة في الاصل الفرح فاذا اجتمعت
في كلامين احدهما خير و الاخر شر جاز التيسير فيهما و الميسور لليسرى

قال ابن سیدہ ھذا قول اهل اللغة - قال سیبویه الیسرى من المصادر
التی جاءت علی لفظ مفعول و نظیرہ المعسور - و قیل معناہ نوفقك
للطریقة التی هی السیر و اسهل فی حفظ الوحی - و قیل للشریعة الحنیفیة
السهلة - و هو عطف علی قوله - سنقرئك و قوله انه یعلم الجهر فجملة
معترضة - فَذَكِّرْ - بعد ما استتب لك الامر - إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ
هذہ الشرطیة انما جاءت بعد تکریر التذکیر و حصول الیاس عن
البعض لئلا یتعب نفسه و یتلهف علیهم کقوله تعالی - وَمَا أَنْتَ
عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ - ولذا لم یقل للناصحین - و استبعاد تاثیر الذکری فیهم
او للاشعار بان التذکیر انما یجب اذا امکن نفعه و لذلك امر
بالاعراض عمن تولی - و ذلك ان رسول الله صلی الله علیه وسلم
بیان شانه اراءة الطریق و المراد به تبلیغ ما انزل الله علیه فلما
بلغهم الاحکام المنزلة و اهداهم الی الجادة السویة زاد فیهم
العتو و الاستکبار فحینئذ لا ینفعهم هدایتك و لا یفید هم رشادتك
و بعد ذلك ان ترج هدایتك فیهم - فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ وقال
قطرب و هو من تلامیذ سیبویه ان ان بمعنی قد ای فذکر قد نفعت
الذکری اذ به یحصل ایمان کثیر من الخلائق فلا یحزنك ان
تقتصر علی ایمان من امن اذ النبی مامور بالتذکیر مطلقا و علی
هذا الرأی یکون المعنی عظ یا محمد نفعت ذکراك او لم تنفع
سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ - من عذاب الله فی الیوم الاخر فانه یطیعك
بذکراك - وَيَتَجَنَّبُهَا - ای الذکری - الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَىٰ - ای فی الطبقة الهائلة من النار - قال علیه

الصلوة والسلام هذه جزو من سبعين جزأ من نار جهنم - ثم لا يموت فيها - فيستريح - ولا يحيى - حياة تنفعه - قد افلح من تزكى - اي من تطهر من الكفر وتكثر من التقوى - فنال الفوز والفلاح - وقيل المراد بالتزكى صدقة الفطر والزكوة وقيل المراد بالتزكى هو التطهر عن الشرك - وذكر اسم ربه فصلى - قيل اى صلى صلاة عيد الفطر - هذه الاية تدل على وجوب صلوة عيد الفطرة وصلاتها لان الفلاح معلق على اداتهما - والمراد بالذكر تكبيرات صلوة العيد - ويحتمل ان يقال ان الفلاح موقوف على حصول طهارة القلب عن الشرك وذكر الله والصلوة ومتى اجتمع هذه الاشياء حصل الفلاح بل تؤثرون - يا ايها الكفرة - الحيوة الدنيا - على الاخرة مع ان الدنيا فانية - وحبها راس كل خطيئة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - الدنيا جيفة وطالبها كلاب - فالذين يحبونها ويستأثرونها فهم في حكم الكلاب ليس لهم حظ من العقل والشعور فهم محرومون من نعيم الاخرة - ولذلك امر الامام المهدى الموعود عليه الصلوة والسلام برفض الدنيا ومتاعها فمن تركها وودعها وعاش في التعب والترح فقد اجتلب النعمة الابدية وبقى في رضوان الله ورحمته السرمدية - والاخرة خير وابقى - فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل - فلا انقطاع له - ان هذا لفي الصحف الاولى - اى ذكر البعث والنشور وقيل قوله تعا - قد افلح من تزكى الخ - صحف ابراهيم وموسى - بدل من الصحف الاولى - تم تفسير هذه السورة بحمد الله رب العلمين - والصلوة على رسوله سيد المرسلين وعلى اله واصحابه الكاملين

سورة الغاشية ستّ وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى - هَلْ أَتٰىكَ حَدِيْثُ الْغَاشِيَةِ - قال بعضهم الغاشية يوم القيامة لانه يغشى الجن والانس بالاهوال والشدائد - وانما ابتدأ حديثها بالاستفهام - لأنّ القيامة وان اعلمها الله رسوله عليه الصلوة والسلام لكن احوالها التفصيلية واهوالها المخوفة كانت مخفيّة عليه فذكرها في هذه السورة وفي مواضع شتّى من القران لاطلاع رسوله وامّته وقيل هل بمعنى قد وقد ذكر بحثه سابقا - وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ - اي يوم القيامة - خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ شرح في اوصاف الاشقياء بانّ لهم ثلاث صفات الاولى الخشوع والمراد به الذلّة والصّغار - والثانية العمل والمراد به العمل الجسماني كجر السلاسل والاغلال الثقيلة - والخوض معها في النار والصعود في تلالها وعقباتها - والثالثة نصبهم في غاية التعب وقيل معنى الاية انهم يخشعون بهول العذاب ويعملون في النار ما يعذّبهم وقيل انّ المراد بهؤلاء هم العبّاد من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس والمعنى انّها خشعت الله تعالى وعملت الاعمال الصالحة ونصبت فيها الصوم الدائب والتهجد الواصب الا انّهم لم يوحّدوا الله تعالى بل اشركوا فيه ولم يعبدوا الله تعالى بل عبدوا ما وسوست اليه اهوائهم الزائغة فجعلوا له انداداً فلاجرم ان لا تنفعهم تلك

العبادات الشاقة تَصْلٰی نَارًا حَامِيَةً - قرأ ابو عمرو ويعقوب وابوبكر
تُصْلٰی من اصلاه الله - و قرأ بالتشديد مبالغة اى تدخل نارًا
متوقدة متناهية فى الحرّ والاحراق يقال حميت النار حميًا اذا اشتدّ
حرّها - تُسْقٰى مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ - يقال انى الماء اذا سخن وبلغ فى الحرارة
و يقال انى الحميم اى انتهى حرّه فيكون معنى عين آنية متناهية
فى شدّة الحرّ اى يسقون من عين لها فى الحر نهاية - لَيْسَ لَهُمْ
طَعَامٌ اِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ - الضريع نبات اخضر منتن خفيف يرمى به
البحر و له جوف و قيل هو يبيس العرفج و قيل ما دام رطبًا فهو ضريع
فاذا يبس فهو الشبرق و هو مرعى سوء لا تعقد عليه السائمة
و لا تزيد فيها شحمًا و لا لحمًا قال الفرّاء الضريع نبت يقال له الشبرق
و اهل الحجاز يسمّونه الضريع اذا يبس - و قال ابن الاعرابى الضريع
العوسج الرطب فاذا جف فهو عوسج فاذا زاد جفوفًا فهو الخزيز و ذهب
اكثر اهل اللغة الى انه النبت الخبيث قال قيس بن عيزارة الهذلى
[illegible] ابلا و سوء مرعاها -

وَحُبِسْنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيْعِ فَكُلُّهَا حَدْبَاءُ دَامِيَةُ الْيَدَيْنِ حَرُوْدُ

الحرود [illegible] لا تكاد تدر بشدة الهزال - و قال بعض المفسرين الضريع
[illegible] النار و هذا لا يعرفه العرب - لَا يُسْمِنُ - اى لا يولد
ذلك الضريع السمن بل يولد الهزال فى البدن - وَلَا يُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ
اى لا يسد اكله الجوع و قال اهل التفسير ان الكفار قالوا ان الضريع
لتسمن عليه ابلنا فقال الله تعالى لا يسمن و لا يغنى من جوع و قيل
المراد بالجوع اضطرارهم عند اضطرام النار فى اكبادهم و احشائهم

فی یحتاجون بل یضطربون الی شیء یطفی هذه النار والصحیح ان
الحمل علی الحقیقة اولی - واعلم ان الله تعالی شرع بعد احوال الاشرار
احوال الاخیار فقال وُجُوهٌ یَّوْمَئِذٍ - ای یوم تغشی الناس اهوال
القیامة - نَّاعِمَةٌ - ای ذات بهجة وبهاء من نضارة النعیم
کما قال الله سبحانه تعالی - تَعْرِفُ فِیْ وُجُوْهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِیْمِ
لفضل الله تعالی ولطفه - ومنه قول زُهَیْر -

وَوَرَّکْنَ فِی السُّوْبَانِ یَعْلُوْنَ مَتْنَهُ   عَلَیْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِّمِ

لِّسَعْیِهَا - ای لسعیهم فی الدنیا وهو تزکیة انفسهم وتصفیتها بالمجاهدات
النفسانیة والریاضات المتعبة فی الاعمال الصالحة - رَاضِیَةٌ
فی الآخرة لتوفیر ثواب اعمالهم وحسن جزائهم - فِیْ جَنَّةٍ عَالِیَةٍ
باعتبار الشرف او باعتبار المکان لان فی الجنة درجات بعضها فوق بعض
لَا تَسْمَعُ فِیْهَا لَاغِیَةً - قرأ الجمهور بفتح الفوقانیة - ونصب لاغیة
وقرأ نافع لا تُسْمَعُ علی البناء للمفعول ورفع لاغیة واللغو الکلام
الساقط قال الفراء والاخفش لا تسمع فیها کلمة لغو - وقال
مجاهد هو الشتم - وقال الفراء ایضا واراد باللغو الکذب ای
لا تسمع فیها حالفا یحلف بکذب - قال المفسرون ان کلام اهل الجنة
ذکر وثناء علی الله تعالی علی ما رزقهم بالنعیم الابدی - ولا یتکلمون
بکلام لیس فیها حکمة ومصلحة - قال ابن عباس رض لا تسمع فیها اذی
ولا باطلا - فِیْهَا عَیْنٌ جَارِیَةٌ - ای فیها عیون کثیرة لان تنکیر
العین یدل علی الکثرة - واطلاقها للذهاب الوهم الی کل شیء
من المیاه واللبن والشراب - فِیْهَا سُرُرٌ مَّرْفُوْعَةٌ - ای عالیة

مرتفعة السمك حتی یبلغ الجالس بها فی ای مکان یشاء - واکواب
جمع کوب وهو الکوز قال الفراء الکوب الکوز المستدیر الراس
لا اذن له قال عدی بن زید -

متکئا تصفق ابوابه یسعی علیه العبد بالکوب

وقال اٰخر

یصب اکوابا علی اکواب تدفقت من مائها الجوابی

موضوعة - علی ما فات العیون فی غایة النظام لیست کبیرة
ولا صغیرة بل هی متوسطة بینهما - ونمارق - النمرق والنمرقة
والنمرقة بالضم والکسر الوسادة وقیل وسادة صغیرة وربما سموا
الطنفسة التی هی فوق الرحل والجمع نمارق قال محمد بن عبد الله بن نمیر الثقفی

اذا ما بساط اللهو مد وقربت للذاته انماطه ونمارقه

وقال الفراء هی الوسائد واحدها نمرقة بضم النون وکسرها ومنه
قول زهیر

کهولا وشبان حسان وجوههم علی سرر مصفوفة ونمارق

وفی حدیث هند زوج ابی سفیان -

نحن بنات طارق نمشی علی النمارق

مصفوفة - بعضها مع بعض - اینما یرید الجالس یجلس موسدة
ویستند الی الاخری - وزرابی - وهی جمع زربیة ویراد بها کل
ما بسط واتکئ علیه - وقیل هی الطنافس - وقال الزجاج الزرابی
البسط - وقال الفراء هی الطنافس لها خمل رقیق وروی عن المؤرج
ان زرابی النبت اذا اصفر واحمر وفیه خضرة - وقد ازرت فلما

رأوا الالوان في البسط الفرش شبهوها بزرابي النبت وكذلك العبقري من الثياب والفروش مبثوثة - اى مبسوطة كل مرتبة ومكان في غاية الحسن والبهاء - واعلم ان هذه الآيات تمثيل وتشبيه للاشياء التي وجدت في الدنيا وطبائع المخاطبين مرتبة بها لان التحريص لاحد لا يكون الا في شئ يراه يميل اليه ولا يمكن ان يحصله وكذلك المخاطبون كانوا يرون هذه الاشياء في قصور السلاطين والامراء ويتمنونها ولا يحصلونها فبقوا في لواعج اشتياقها مضطربين - وكذلك الاحاديث الصحيحة التي ثبتت بها نعم الجنة ونضرتها من هذا القبيل - والحق ان النعيم الابدى الذي اعده الله للمؤمنين شئ فوق المخائل والخطرات بل لا يعقله العقول - افلا ينظرون الاستفهام للتفريع والتوبيخ والمراد به المنكرون لقدرته التامة في ايجاد المخلوقات التي تنطوي بعجائب الحالات وغرائب الصفات والنظر هو التامل في الشئ لادراك ما فيه من خواصه - من المنافع والمضار فمن تامل في مخلوقه وتفكر في ملكه وملكوته رائي عجائب قدرته وبدائع حكمته على حسب فهمه وادراك عقله - الى الابل كيف خلقت الجملة في محل الجر لانها بدل اشتمال من قوله الى الابل - واختلف في معنى الابل - قال المبرد الابل في هذه الآية هي القطع العظيمة من السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تأتي ارسالا كالابل وتزجى كما تزجي الابل وهي في هيئتها احيانا تشبه الابل وروى عن ابي عمرو وابي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب ورووا ذلك عن قوم من اهل اللغة - قال صاحب الكشاف وانما رأى المبرد السحاب مشبها بالابل

فائدہ: بعض تفسیروں میں ہے کہ اونٹ کے حال کی طرف دیکھو اس کی خلقت کیا ہی عجیب ہے اور اس میں کیا کیا منافع ہیں
وبیان حواص من الابل

لانه کان کثیرًا في اشعارهم فیجوز ان یراد بها السحاب علی طریقة التشبیه والمجاز انتهی - اقول والذي ذهب الیه ابو العباس المبرّد بان المراد بالابل السّحاب مناسب لقوله تعالی الّذي بعده وهو الی السّمآء کیف رفعت - لانّ بینهما ارتباطًا و تناسبًا باعتبار کونهما في جهة العلو ولیس ذلک التناسب اذا ارید بها الجمال - والغرابة الکائنة في تکوّن السحاب وفوائد خلقه ظاهرة لاخفاء فیها اذ لولا خلق الله السحاب لبطل المخلوق الذي له الماء کالغذاء للابل کالرّوح کالنبات والنجم والشجر والزرع والحرث وفي عالم النبات فني عالم الحیوان والانسان - وقال اکثر المفسرین المراد بالابل الحیوان المخصوص الذي یحبّه العرب اناثهم وذکرانهم شبابهم وکهولهم - وفوائده غیر خفیّة - قال الامام الرازيّ الاولی منها ان الابل من الحیوانات التي یوکل لحمها - والثانیة انّ لبنها قابلة للشرب والثالثة انّها طائعة للرکوب في الحروب والاسفار والرّابعة انها موضوعة لحمل الاثقال والاوقار والخامسة انّها تصبر علی العطش علی خلاف اکثر الحیوانات والسادسة انّها تاکل من العلوفات التي لا تاکلها کثیر منها - والسابعة انّها یهدي الضالّین الی الطریق والثامنة انّها منقادة للراکب وان کان اضعف کالصّبي فانّه یقدر علی ان یجرّها بخطامها من حیث یشاء - روي عن بعض الحکماء انّه حدّث عن البعیر وقد نشأ في بلاد لا ابل فیها فتأمّل وقال لابدّ ان تکون طوال الاعناق فهذه الصفات الکثیرة النّافعة لا توجد في کثیر من الحیوانات - ثم الابل امّا ان تکون حلوبة او رکوبة

او نوا ضحر او حمولة - وهذه الخلال الاربع توجد فيها ولا توجد في غيرها فهي انفع الحيوانات بهذه الوجوه وهي اسم جمع لا واحد لها وحكى سيبويه ابلان قال لان ابلا اسم لم يكسر عليه وانما يريدون قطيعين - قال ابو الحسن انما ذهب سيبويه الى الايناس بتثنية الاسماء الدالة على الجمع فهو يوجهها الى لفظ الاحاد ولذلك قال انما يريدون قطيعين - واقل ما يقع عليه اسم الابل الصرمة وهي التي جاوزت الذود الى الثلاثين ثم الهجمة اولها الاربعون الى ما زادت ثم هنيدة وهي مائة من الابل - وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ - اى رفعا بعيدا بلا امساك وعمد وما فيها من عجائب الملك والملكوت التى يتحير بها ناظرها - ولا بد ذلك ما فيها من بدائع صنعه وحكمته ومناظر غرائب خلقه وقدرته سوى ان يعترف بجلال كماله وعظمته وهكذا في كل سماء من السموات من العجائب والفوائد التى لا يحصرها عقول العقلاء كفوائد الشمس مثلا فانها ينبوع الحرارة والضياء ومبدأ حياة النباتات والحيوانات وبها تظهر النهار حين ما تقع اشعتها على نصف كرة العالم - ويرخي الليل استارة حين ما تغيب تلك الاشعة والاضواء عنها - ويحصل من سيرها في المناطق المعتدلة الفصول الاربعة اعني الربيع والصيف والخريف والشتاء وغيرها من الفوائد الشاملة والمنافع العامة التى لا نعلم اكثرها وكذلك كل كوكب من الكواكب له فعل خاص ينتفع به اهل الارض كما بين في الطبعي والنجوم - ولا نريد بهذا البيان ان هذه الاجرام العلوية تفعل افعالا مستقلة بانفسها لان هذا القول شرك محض وكفر

بحث بل نريد بها انها الات تصدر منها صنائع قدرة الله وحكمته على ما يشاء مشيئته وارادته لان جميع الممكنات مستندة اليه باعتبار مدبراته الذين هم الملائكة وهذه الاشياء الاتهم بها تصدر الافعال باعتبار الظاهر - واليه اشار الله سبحانه فالمدبرات امرا - وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ - اى نصبا ثابتا في راسخة لا تميل ولا تزول - ثم الجبال وهى ارتفاعات وهى سطوح الاجزاء الصلبة من الارض المختلفة - ترى عالية من سطوح الارض المنخفضة ولا يوجد الاستواء فيها لوجود التلال والربوات المرتفعة ويوجد في بعضها سهول عظيمة وغابات جبلية - وسطوح هذه السهول ربما تكون محددة باودية كثيرة محدودة بتلال مما بطها تنبت فيها نباتات مختلفة وخمائل متنوعة وهذه التلول تاخذ في الارتفاع تدريجا حتى تقرب لان تكون عقبة عظيمة تخفى في اقطار السحاب من الجو - ثم ان الجبال اما ان تكون على سطح الارض مجتمعة او متسلسلة او منعزلة - فالمجتمعة تظهر على هيئة ارتفاعات عظيمة مطبقة في محل واحد وينبعث من تلك العقبات اطراف حادة مرتفعة جدا ومن قاعدتها سلاسل جبال تمتد الى مسافات مختلفة - والجبال المتسلسلة هى التى لا تنقطع سلاسل عقباتها الواقعة على اراضى بعيدة والمنعزلة هى اطواد متباعدة بعضها من بعض وهى سلاسل متوازية او متقاطعة تقاطعا صليبيا وتفصيل الكلام في هذا الباب لا يليق بهذا المقام وفوائدها جمة منها جرى الانهار المتنوعة بمياه حارة وباردة - على اقسام مختلفة - ومنها حدوث نباتات كثيرة في سطوحها

بيان خلق الجبال

فوائد الارض

واطرافها - ومنها حدوث الاٰجام والبراري ومنها اشجار عظیمة تصلح من اصول افنانها اھویة مفسدة لانها تجذب الی انفسها موادّ فاسدة ومنها حدوث العقاقیر النافعة والنباتات الصالحة التی استعملها الاطباء فی معالجاتھم - ومنها سطوح الثلوج التی تجری فی فصل الصیف کالاودیة - ومنها العیون والینابیع النابعة فی اصولها وفروعها ومنها تکون المعادن تحتها وغیرها من الفوائد التی ذکرها اھل طبقات الاراضی والمعادن - وَاِلَی الْاَرْضِ کَیْفَ سُطِحَتْ - بعد ما دحاھا الله تعالی علی صورة السطح الکری - قال اھل الھیاٰة والنجوم انّ التضاریس الثابتة فی سطوحها لا تخرجها عن کرویتها لعدم اعتدادها بالنسبة الی ھذه الکرة العظیمة - وھی لیست علی طبیعة واحدة بل ھی مرکبة بطبائع کثیرة یوجد اختلافها بعد التجربة والمشاھدة والیه اشار النبی صلی الله علیه وسلم حیث قال انّه تعالی قبض من جمیع الارض سهلها وحزنها فخلق منها فلذلک یاتی بنوه اخیافًا - ای مختلفین فی الھیئات والاشکال والالوان والاحوال ولذلک تری فیھم قوی متباینة مستعدة لادراک انواع المدرکات من المعقولات المحسوسات والمتخیلات والموھومات - وقد وقعت فیها تقلبات کثیرة وتغیرات مرّة بعد اولی وکرّة بعد اخری وربّما تعین تلک التغیرات بکونها غیر مسطحة باعتبار الحقیقة وباحوال الکھوف والمغارات - قال اصحاب الطبقات انّ الارض کلّها فی الابتداء کانت سائلة ثمّ جمدت باسباب خارجیة کتموّج الاھویة مثلاً ذکر الشیخ الرئیس ابن سینا فی الشفاء انّ للارض ثلاث طبقات - منها طبقة تمیل الی محوضة الارض وھی

الارض الاصلیّة - و منها طبقة مختلطة من الارض الاصلیة و من الاجزاء النباتیّة و الحیوانیة و المائیة و تسمّی طبقة طینیّة - و منها طبقة منکشفة عن الماء مجاورة من الهواء و هی ممتزجة اشد امزاجا من الموالید الثلاثة و هی منبت النبات و مقرّ الحیوانات - هذا ملخّص ما ذکره الشیخ و لیس هذا مقام التفصیل - و کل هذه الاشیاء تدل علی انّ صانعها هو العلیم الحکیم القادر علی ابداع مثل هذه المخلوقات فمن تفکّر فیها و تامّل فی عجائبها و حادثت نفسه فی احوال ابداعها اهتدی الی ان یعترف انّ للعالم صانعا حکیما علیما خلق الاشیاء علی ما اراده و کوّنها علی ما شاءه - فَذَكِّرْ - ابداع هذه الاشیاء لانها دلائل علی صنعته - اِنَّمَآ اَنْتَ مُذَكِّرٌ - فانک لست هادیا بل بعثت ناصحا و مذکرا - فذکرهم من المواعظ و الشرائع و احوال المعاد و اهواله لَسْتَ عَلَیْهِمْ - ای علی النّاس بِمُصَیْطِرٍ - و المصیطر بالصاد و المسیطر بالسین المسلّط علی الشیٔ لیشرف علیه و یتعهّد احواله و یکتب عمله و اصله من السّطر - لانّ الکتاب مسطر - و قد تقلب السّین صاد لاجل الطّاء و قال الفرّاء فی قوله تعالی اَمْ عِنْدَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ اَمْ هُمُ الْمُصَیْطِرُوْنَ کتابتها بالصاد و قراءتها بالسین - و قال الزجاج هم الارباب المسلّطون - و قال اللیث هو الرقیب الحافظ علی الشیٔ - و قرأ هشام بالسین علی الاصل - و حمزة بالاشمام - و المعنی لست علیهم بمسلط بان توصلهم الی الهدایة و الارشاد اکراها و قسرا لانک لست منصوبا علی هذا المنصب بل بعثت لاراءة منهاج الهدایة و تبلیغ مَآ اُوْحِیَ اِلَیْكَ من الشرائع و الاحکام و مثله قوله تعالی - اَفَاَنْتَ

تکرہ الناس حتی یکونوا مومنین - قال اکثر المفسرین انها منسوخة بایة القتال وهو لیس بصواب لان القتال لم یشرع للاکراه علی الایمان بل للدفاع عن حوزة الاسلام وقت الضرورة ولنعم ما قال زهیر ابن سلمی فی هذا المعنی

وَمَنْ لَا یَذُدْ عَنْ حَوْضِهٖ بِسِلَاحِهٖ ۞ یُهَدَّمْ وَمَنْ لَا یَظْلِمِ النَّاسَ یُظْلَمِ

اِلَّا مَنْ تَوَلّٰی وَکَفَرَ - الاستثناء منقطع ای لکن من تولی عن الحق وکفر بالله ورسوله - وقیل متصل فان جهاد الکفار وقتلهم تسلط علیهم وکانه اوعدهم بالجهاد فی الدنیا وعذاب النار فی الاخرة - فَیُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذَابَ الْاَکْبَرَ - هو عذاب الاخرة قیل والمراد به هو العذاب فی الدرک الاسفل من النار - وقرئ الا من تولی بحرف التنبیه قیل وهو ابن عباس رضی الله عنه وزید ابن علی - اِنَّ اِلَیْنَآ اِیَابَهُمْ - قدم الجار والمجرور لافادة الحصر - قرأ الجمهور ایابهم بتخفیف الیاء مصدر اٰب یؤوب - وقرأ ابو جعفر بتشدید الیاء مصدر فیعل علی وزن فیعال وهو قول الزجاج واصله ایواب فانقلبت الواو یاء ثم ادغمت الیاء فی الیاء - وقال الفراء هو بتخفیف الیاء والتشدید فیه خطأ - وقال الازهری لا ادری من قرأ ایابهم بالتشدید والقراء علی ایابهم

ثُمَّ اِنَّ عَلَیْنَا حِسَابَهُمْ - ای یوم الحساب - وتقدیم الخبر للتخصیص والمبالغة فی الوعید - وثم للتراخی ولیس تراخیا زمانیا بل هو تراخ فی الرتبة والله اعلم وعلمه اتم - تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله ذی الفضل والاحسان - واصلی واسلم علی النبی الذی هو سید الانس والجان - وعلی اله واصحابه الذین هم ائمة اهل الدین والایمان

سُوْرَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَّاٰيَاتُهَا تِسْعٌ وَّعِشْرُوْنَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

وَالْفَجْرِ - ای اقسم اللّٰه بالصُّبح او انفلاقه - وهو مثل قوله تعالی والصبح اذا تنفّس - اوبصلوة الفجر - والصبحُ قسمان - صادقٌ و کاذبٌ - امّا الصّادقُ فهو یطلعُ فوق الارض اذا بقی من سیر الشمس الی دائرة الافق اثنا عشر درجةً من دائرة منطقة البروج - ونوره یبدو عریضًا فی الافق الشرقی لتزید اثرہ ساعةً فساعةً حتی ینجلی دائرة الغبار - وقال بعضهم اِنَّ المراد به صلاة الفجر - وانّما اقسم بها لانّ وقتها مبارك یجتمعُ فیه ملائکة اللیل وملائکة النّهار والیه اشار اللّٰه سبحانه ان قران الفجر کانَ مشهودًا - وقال بعضهم هو الفجر من یوم النحر وقیل فجر ذی الحجة وقیل فجر المحرّم - وقیل اراد بالفجر فجر العیون - وقیل فجر عرفة وقیل فجر عشر الاواخر من رمضان ذکرَ ابو حیّان قیل والاظهر قول ابن عباس رض للحدیث المتفق علی صحته قالت عائشةُ رضی اللّٰه عنها کان رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیه وسلم اذا دخل فی اواخر رمضان شدّ مئزرهٗ واحیا لیلَهُ - وایقظ اهله - قال التبریزی اتفقوا علی انّه العشر الاواخر من رمضانَ لم یخالف فیه احدٌ فتعظیمه مناسب لتعظیم القسم - وَلَيَالٍ عَشْرٍ - قال صاحب الکشّاف والمرادُ بها عشر ذی الحجة انتهی لانّها اوقات القربات والکرامات وانّما نکّرها لانّها مخصوصةٌ بفضیلةٍ وهی تحصل بالتنکیر - وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ - ذکروا فیها اقوالًا - الاول هو

الّذي روي عن ابي ايوب رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم الشّفع يوم عرفة والاضحى والوتر ليلة النحر والثاني ما روي عن جابر رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم - الشفع صلوٰة الفجر والوتر صلوٰة المغرب والرابع انّ المراد بالشفع هو المخلوق وبالوتر هو الخالق - قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو والباقون بفتحها

وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ - قسم بجنس لليل ويسري معناه يذهب ومثله قوله تعالى وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ - قال الاخفش وابن قتيبة - انّ قوله يسري مثل قولنا ليله نائم ونهاره صائم - قيل ويراد به ليلة القدر قرأ الجمهور بحذف الياء في الوقف والوصل - وقرأ نافع وابو عمرو البصري بحذفها وقفًا واثباتها وصلًا - وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن محيصن باثباتها فيهما - وذهب الخليل الى اسقاطها موافقة لرؤس الآيات - وقال الزجاج اسقاط الياء احبّ اليّ من اثباتها لانّها فاصلة - قال الفرّاء العرب ربّما تحذف الياء اكتفاء بكسر ما قبلها

هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ - الاستفهام لتقرير تعظيم القسم وفيه نهاية تعظيم لمن يقسم بهذه الاشياء - قال الامام الرازيّ والمراد به التاكيد - كمن ذكر حجّة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجّة - والمعنى انّ من كان ذا لبّ علم انّ ما اقسم الله تعالى به من هذه الاشياء ففيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه انتهى - قال مقاتل هل هنا في موضع جواب القسم تقديره انّ في ذلك قسمًا لذي حجر - انتهى قال ابو حيّان وهو قول لم يصدر عن تأمّل لانه على هذا التقدير يبقى قسم بلا مقسم

عليه لان هذا القول المقدر لا يصح ان يكون مقسما عليه انتهى والصحيح هو الذي ذكره الامام الرازي وهو الذي ذهب اليه ابو حيان وهو قول صاحب الكشاف - قال الجمهور الحجر هو العقل وهو قول الفراء ومنه قول الشاعر

فَاَخْفَيْتُ مَا بِي مِنْ صَدِيْقِيْ وَاِنَّهُ لَذُوْنَسَبٍ دَانٍ اِلَيَّ وَذُوْ حِجْرٍ

اي ذو عقل - والحاصل ان من كان ذو لب وخبرة اذا تامل في هذه الايات ومعانيها ازدجر واعتبر بها وعلم ان الاشياء التي قسم بها الله سبحانه وان كانت من تكوناته لاشك فيها فوائد دينية ودنياوية تحضض البصير الحازم الخبير على شكره فيقر بربوبيته ووحدانيته وينجي من حبال فسقه وكفره اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ - الاستفهام للتقرير والروية بمعنى العلم قيل ومنه قول زهير بن ابي سلمى -

اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ اَهْلَكَ تُبَّعًا وَاَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا

قال الاصمعي وليس هذا الشعر من كلام زهير بل هو اصرمة الانصاري وقد تكون بمعنى الروية بالعين - فعلى المعنى الاول تتعدى الى المفعولين وعلى المعنى الثاني تتعدى الى مفعول واحد - والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم - وقيل عام يتناول كل واحد من الناس وهو ضعيف لان دليل الخطاب يابى عن ذلك وهو اضافة الرب الى الكاف بِعَادٍ اِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِيْ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ - وفي ارم اقوال الاول ارم جد عاد الاولى - والثاني قال مجاهد وقتادة ارم قبيلة قبيل عاد ومنهم عاد - والثالث ان ارم اسم ابي عاد والرابع هو اسم مدينة عظيمة لعاد كانت باليمن وهو قول الجمهور ثم اختلف فيها

نبي ارم ذات العماد والمدن في وجودها

فقال محمد بن کعب هی الاسکندریة - و قال سعید بن المسیب هی دمشق - و اختلف القراء فی عاد فقرأ جمهور القراء علی الاضافة و ارم بکسر الهمزة و فتح الراء غیر منصرف لسببین التانیث و العلمیة و ذلک لانه اسم القبیلة - و عاد و ان کان اسم القبیلة الا انهم یجعلونها بمعنی الحی فمن قرأ منصرفا جعله عطف بیان او بدلا و الحسن منع صرفه مضافا الی ارم و علی هذا یکون جد القبیلة او مدینة و قرأ ابن الزبیر بعاد ارم بالاضافة بفتح الهمزة و کسر الراء و هی لغة فی معنی المدینة و قرأ الضحاک منصرفا و غیر منصرف و روی عن عباس رضی الله عنه ان قوله ادم فعلا ماضیا معناه بلی یقال رم العظم و ارم - و حکی عن مجاهد ارم بارم ای هلک یهلک - هذا ما ذکره المفسرون و الصحیح ان ارم اسم قبیلة کما مر و اختلف فی ذات العماد علی اقوال الاول ما روی عن ابن عباس هی کنایة عن طول ابدانهم و منه رفیع العماد - بمعنی ان قدودهم مشبهة بالاعمدة یقال رجل عمد و عمدان ای طویل القامة و علی هذا القول تکون ذات العماد صفة لعاد و هو قول المبرد - و ابی عبیدة و الثانی معناه ذات البناء الرفیع المعمد و منه قول عمرو بن کلثوم

وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ عَلَى الْأَحْفَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا

و الثالث قال الفراء انهم کانوا اهل عمد ینتقلون الی الکلأ حیث کان ثم یرجعون الی منازلهم و الرابع قال ابن زید اعمدة بنیانهم ای ابنیتهم ذوات اعمدة - و اذا کانت صفة للمدینة یراد بها اعمدة الحجارة التی بنیت بها - و ذکر المفسرون انها مدینة بناها

شدّاد بن عاد لمّا سمع ذکر الجنّة و وصفها وکانت مزیّنة غایة التزیّن - والیه اشار الله سبحانه التی لم یُخلق مثلها فی البلاد وکانت عاد فی قوّة و شکیمة لم یخلق مثلهم فی البلاد - والمعنی انّ قوم عاد لم یکن مثلهم فی البلاد فی القوّة و الجلادة واسباب المعیشة وذکروا انّه کان لعاد ابنان شدّاد وشدید فلمّا مات شدید خلص امر الحکومة لشدّاد فعلی امره فی الدنیا واستوی فی حکمه علی ملوکها فطغی واستکبر فخضعت الجبابرة لسطوته و دانت العمالقة کلهم لشوکته وعظمته - فسمع ذکر الجنّة و قال ابنی جنّة فی الدنیا التی لا یوجد فیها مثلها فبنی بستان إرم فی صحراء فسیحة من صحاری عدن وهی مدینة عظیمة قصورها من الذهب والفضّة و عمدها من الزبرجد والیاقوت وحصباءها اللآلی وجواهر وترابها بنادق المسك وغرس فیها اشجارًا مثمرة ثمارها اطیب اجری الانهار التی کان ماءها احلی و اصفی و اعذب فلمّا تم تعمیرها سار الیها باهل ملکه فلما کان علی مسیرة یوم ولیلة بعث الله علیهم صیحة من السماء فهلکوا اجمیعًا هذا هو الذی ذکره اعاظم المفسرین کالطبری وصاحب الکشاف والامام الرازیؒ و من تبعهم وخالفهم اخرون کما ذکر ابن کثیر فی تفسیره انّ هذه المدینة تنتقل فتارة تکون بارض الشّام - وتارة بالیمن وتارة بالعراق وتارةً بغیر ذلك من البلاد - فانّ هذا کله خرافات الاسرائیلین من وضع بعض زنادقتهم لیختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ان صدّقوهم فی جمیع ذلك وقال و ذکر الثعلبی وغیره ان رجلا من الاعراب وهو عبد الله بن قلابة فی زمان

معاوية ذهب في طلب اباعر له شردت فبينما هو يتيه في ابتغائها
اذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وابواب فدخلها فوجد فيها مما ذكرناه
من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وانه رجع فاخبر
الناس فذهبوا معه الى المكان الذي قال فلم يروا شيئا قال وليس
يصح اسناد هذه الرواية ولو صح فيمكن ان لقب ان ذلك الاعرابي
فقد يكون اختلق ذلك او انه اصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد
ان ذلك له حقيقة في الخارج - وذكر ابن خلدون في تاريخه وابعد
من ذلك في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة الفجر في قوله
اِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فيجعلون لفظة ارم اسما للمدينة وصفت بانها
ذات عماد اي اساطين وهكذا وكذا ذكر ذلك الطبري والثعالبي
والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من
الصحابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها الى اخره وهذه المدينة
لم يُسمَع لها خبر من يومئذٍ في شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التي
زعموا انها بُنيت فيها هي في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء
تُقُصّ طرقه - ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها احد من
الاخباريين ولامن الامم - ولو قالوا انها درست فيما درس من الاثار
لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق
بناء على ان عادا ملكوها وقد ينتهى الهذيان ببعضهم الى انها غائبة
وانما يعثر عليها اهل الرياضة والسحر هي مزاعم كلها اشبه بالخرافات -
اقول ان الحديث الذي روي عن ابى قلابة رض موقوف غريب جدا ان
ثبت اسناده اليه فلا يفيد الا الظن بعد كون رواته عدولا ولا ثقة

و مثل هذا الحديث يجب أن لا يكون مخالفا للدراية ان كان من باب المعاملات والاخبار والقصص وكذا لا يكون مخالفا لما ثبت من الدلائل العقلية القاطعة - فاذا كان الخبر الواحد على هذه الصفة يحتج به وإلا فلا - والاعتذار بانتقال هذا البلد من موضع الى موضع يخرجه من الضعف الى الوضع والاختراع - واخفائه لكونه غريبا في الصنعة باطل لان كل شئ زان ذلك البلد وتمته هو الذي خلقه الله تعالى وكل شئ من هذه الاشياء ظاهر غير خفي عن اعين الناس فلا معنى لخفائه بهذا الوجه ثم الذي ظهر لنا من هذه الاية ان المدينة التي سميت بارم كانت ابهى واحسن من جميع مدائن الدنيا ولذلك قال الله تعالى - لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ - ولكن كونها موجودة الى هذا الان لم يثبت بالكتاب والسنة لحوا زخرابها واندارسها بعد مرور من الزمان - والله اعلم - وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ - هم قوم صالح عليه السلام - وكان جدهم ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام - فسموا باسم جدهم - وكانوا يسكنون بين الحجاز وتبوك ويعبدون الاصنام مثل عاد - وكانوا اصحاب القوة عظيمة يستأنسون بالغابات والعقبات والجبال والهضبات - قرأ الجمهور ثمود بمنع الصرف على انه اسم للقبيلة ففيه المعرفة والتانيث - وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على انه اسم لجدهم وَالْجَوْبُ الْقَطْعُ - والخرق - يقال جبت المدينة والارض اي قطعتها ومنه قول الشاعر -

وَلَا رَأَيْتُ قَلُوصًا قَبْلَهَا حَمَلَتْ ... سِتِّيْنَ وَسْقًا وَلَا جَابَتْ بِهَا بَلَدًا

والمعنى خرقوا الصخر والأحجار واتخذوا منها بيوتا كما قال الله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا - وقيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام - وروى أنهم بنوا ألفا وسبع مائة مدينة كلها من الأحجار وهذا القول كما ترى وبالواد متعلق بجابوا أى جابوا الصخر حال كونها بالواد فهو حال بقوله الصخر والمراد بالواد وادى القرى وقد يحذف المضاف اليه كما فى قول الأعشى -

مَنَعَتْ قِيَاسُ الْمَارِسِيَّةِ رَأْسَهُ بِسِهَامِ يَثْرِبَ أَوْ سِهَامِ الْوَادِي

والمراد به وادى القرى - وهو موضع بقرب المدينة والوادى مفرج بين الجبال والتلال والاكام سمى بذلك لسيلانه فيكون مسلكا للسبيل ومنفذا له لأن معنى الودى هو السيلان - قرأ الجمهور بالواو بحذف الياء وصلا ووقفا - وابن كثير بإثباتها فيهما - وقرأ بعضهم بإثباتها فى الوصل دون الوقف - وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ - وهذا هو فرعون موسى عليه السلام الوتد بالكسر والفتح وهو ما رز فى الحائط او الارض من الخشب وغيره والمراد بالأوتاد اوتاد خيام الجنود وقيل اراد بالأوتاد جنوده ويؤيده ما روى عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون امره - وقال كثير من المفسرين وانما سمى بذى الأوتاد لانه كان يعذب الكافرين او من غضب عليهم بين الأوتاد يشد اليها ايديهم وارجلهم ثم يعذبهم او يقتلهم وقيل لانه عذب امرأته وكانت مؤمنة بين الأوتاد للأربع حتى هلكت وماتت وقيل كذا عذب زوجة حزقيل عليه السلام وكانت ممن آمن موسى عليه السلام - قيل وكانت

ماشطة بنت هذا الطاغي ففي ذات يوم كانت ترجّل راسها - اذ سقط
المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله - فقالت بنت فرعون
وهل لك اله غير ابي - قالت الهي والهك واله ابيك واله السموات
والارض هو الله وحده لا شريك له - فنقمت ودخلت على ابيها
باكية - قال فرعون من يبكيك فقالت ماجرى بينها وبين الماشطة
فارسل اليها وسألها - فاجابته كما ذكر - فحثّها وامرها على ان تؤمن به
فقالت معاذ الله فانكرت - فشدّها بين الاوتاد وذبح بنتها الكبيرة
على صدرها ثم قال اقرّي بالوهيتي - فابت وكرهت - فوضع بنتها
الصغيرة على صدرها وكانت ترضعها - وقال توبي وارجعي - فاصرت
على ماكانت عليه - فلمّا اراد ان يذبحها جزعت المرأة فانطق الله
الصغيرة فقالت يا امّاه لا تجزعي لانّ الله تعالى بنى لك قصرًا في الجنة
فاصبري فذبح الصغيرة - فارتعدت المرأة وماتت - الَّذِيْنَ طَغَوْا فِي
الْبِلَادِ - صفة لعاد وثمود وفرعون اطغت هؤلاء كلهم حين
بعث الله تعالى اليهم رسله فتمرّدوا وكفروا - ويجوز ان يكون
الموصول خبرًا لمبتدأ محذوف اي هم الذين او منصوب على الذم
فَاَكْثَرُوْا فِيْهَا - اي في ديارهم الْفَسَادَ - بالكفر والمعاصي - فَصَبَّ
اي فافرغ - عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ - السوط خلط الشيء بعضه
ببعض ومنه قول كعب بن زهير -

لكنّها خُلّةٌ قد سِيطَ من دمها فجعٌ وولعٌ واخلافٌ وتبديلُ

اي كأنّ هذه الاخلاق قد خلطت بدمها - وسمّي السوط سوطًا
لانّه اذا سِيطَ به انسانٌ او دابّةٌ خلط الدّم باللحم - وقولهم ضربت

زيدًا السوطًا اى ضربته ضربةً بسوطٍ - اى صبّ الله عليهم عذابًا
يوجعهم مثل ضرب السوطِ وقد يُرادُ بالسوط الشدّة - فيكون
المعنى اشدّ عذاب - قال الفرّاء هذه الكلمة تقولها العربُ لكل
نوعٍ من العذاب يدخل فيه السّوطُ جرى به الكلام والمثل -
ويُروى انّ السّوط من عذابهم الذى يعذبون فجرى لكل عذابٍ
اذ كان فيه عندهم - غاية العذاب - ويجوز ان يقال انّ السوط
هو العذاب بمعنى ان السّوط كما يضفر من السيور كذلك هذا السّوط
ضفر من اجزاء العذاب فصار السوط هو العذاب ففيه تشبيه
بليغ يدلّ على غاية العذاب - واليه ذهب الزجّاجُ - حيث قال
جعل سوطه الّذي ضربهم به العذاب - إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ -
قال ابو منصورٍ معناه على كل طريق فيكون المعنى اى بالطريق
الّذى ممرّك عليه ومنه قول عدي -

وَإِنَّ الْمَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصَدِ

وقال الزّجّاجُ اى يرصد من كفره وصدّ عنه بالعذاب - وقال
ابن عرفة اى يرصدُ كلّ انسانٍ حتى يجازيه بفعله - قال ابن
الانبارى المرصاد الموضعُ الذى ترصد الناس فيه كالمضمار الذي
تضمّر فيه الخيل من ميدان السّباق - وقال الاعمش في تفسير
هذا القول ان المرصاد ثلاثة جسور خلف الصراط جسرٌ عليه
الامانة - وجسرٌ عليه الرحم وجسرٌ عليه الربّ والحاصل انّ الله
يرصد اعمال العباد خيرًا وشرًّا ثم يجازي على حسبها وهذه الاية
تدل على كونه تعالى عالمًا بالجزئيات سواء كانت مادّيةً اوغيرمادّيةٍ

بحیث لا یفوت منها شیٔ - و اعلم ان اللہ تعالیٰ ذکر فی ھذہ السورۃ
ثلاث قصص الاولیٰ قصۃ عادٍ - و الثانیۃ قصۃ ثمود و الثالثۃ قصۃ
فرعون و ظاھر ان ھؤلاء کانوا فی غایۃ العتو و الطغیان و نھایۃ
الاشراک و الکفران فبعث اللہ علیھم القھر و العذاب فھلکوا
جمیعًا حلّوا فی عذاب اللہ فیا ایّھا المشرکون و یا ایھا الکافرون
اعتبروا بھذہ القصص و ما فیھا من التھدید و الانذار فلا تکونوا
کالذین دمّرھم اللہ و دخلوا فی جھنّم داخرین - فَاَمَّا الْاِنْسَانُ
متصل بقوله تعالیٰ - اِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصَادِ - ای انّہ تعالیٰ یرصد اعمال
النّاس فلا یرید الا سعی الانسان فی العمل الصالح - لٰکنّہ
لا یرومہ - بل یحاول الدنیا و زینتھا - فقال اللہ فامّا الانسانُ
اِذَا مَا ابْتَلٰہُ رَبُّہٗ - ای اختبر بالمال و الثری - فَاَکْرَمَہٗ - عند
الناس باسباب الدنیا و زخارفھا و امتعتھا - وَ نَعَّمَہٗ - بالجاہ
و المرتبۃ العالیۃ - و النعمۃ الدنیاویّۃ - فَیَقُوْلُ رَبِّیْٓ اَکْرَمَنِ
ای فضّلنی بما اعطانی من النّعم الجزیلۃ بین اکفائی و مجدّنی بین
امثالی و قرنائی فھو راضٍ عنّی - و الامر لیس کما یزعمہ لانّ اللہ
تعالیٰ لا یرضی عن کدّھم و جھدھم فی الدنیا الا سعیھم فی الامور
الاخرویۃ و مکابدتھم فی ترک امور الدنیا و زبرجاتھا لانّھا
سبب خسران الانسان و اقتحامہ فی النّیران - و الفاء فی قولہ
فیقول للجواب لانّ امّا تتضمّن معنی الشرط - وَ اَمَّآ اِذَا مَا ابْتَلٰہُ
فَقَدَرَ عَلَیْہِ رِزْقَہٗ - ای ضیّقہ - فَیَقُوْلُ رَبِّیْٓ اَھَانَنِ - قرأ
الجمھور بحذف الیاء فی اکرمنی و اھاننی وصلًا و وقفًا

والاصل هو الاثبات لکونها اسمًا - وقری باثباتها وصلًا وحذفها
وقفًا قرأ الجمهور فقدَرَ بالتخفیف وقری بالتشدید وهما لغتان
وقرأ ربّی بسکون الیاء وقری بفتح الیاء واما معنی اَهَانَنِ
فاذلّنی وتقدیر الرزق قد یکون موجبًا لکرامة الدارین وقد
یکون سببًا للشقاوة فی الکونین فان الانسان اذا استحلّ الدنیا
وکدّ فی تحصیلها وسعی فی الامور العاجلة فقد لا یکون فائزًا
اذا کان مخالفًا لما اراده الله فیصیر فی الخیبة والخسران فیقول
فی نفسه اِنّ ربّی خذلنی وافقرنی - وهذا القول لقصور نظره فی الامور
الاخرویة والحیاة الابدیة ولولا ذلک لا توجّه الی ثروة الدنیا
ونعمها ولم یلتفت الی کثرة الاموال والامتعة واعلم ان العاقل
یعقل انه لا استلزام بین سعة الرزق والکرامة لانّ الاولی قد
توجد بدون الثانیة کالکافر المتمول وکذا الثانیة قد توجد
بدون الاولی کالولی المقتر وقد توجدان معا کالمومن المتمول وکذا
لا استلزام بین ضیق الرزق والهوان - کما بیّنّا فلیس قوله ربّی
اهانن الّا بالنظر الی حبّ الدنیا - کَلَّا - هی کلمة ردع وزجر - قال
الفرّاء ان کلّا فی هذا الموضع - بمعنی انه لم یکن ینبغی للعبد
اَن یکون هکذا - والمعنی انّ توسعة الرزق وتقدیره لیس سببًا للاکرام
والاهانة - قرأ ابن عامر الشامی وعاصم وحمزة والکسائی اکرمن
واهانن بغیر الیاء فی الوصل والوقف وکذا قرأ ابو عمرو وقرأ
نافع فی الوقف مثل الکوفیین - وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشدید
بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ - بالنفقة والمبرة ولا تحسنون الیه

تس رحمًا وشفقة علی حاله - وَلَا تَحَاضُّوْنَ عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِ - ای
لا تحثون اهلهم علی ان یطعموه - والمسکین هو المفتر الذی یخفی
حال فقره - مرضاة الله تعالیٰ وهوا علی ممن لیس علی هذه الصفة
قرأها عاصم والاعمش بالالف وفتح التاء وقرأ نافع وغیره من اهل
المدینة ولا یحضون بالیاء وبغیر الالف وقرأ الحسن ولا تحضون
بالتاء وبغیر الالف وقرأ بعضهم ولا تُحاضون برفع التاء والالف
قال الفراء وکل ذلك صواب - فمن قرأ تحاضون - فمعناه
یحافظون ومن قرأ تحاضون بفتح التاء فمعناه یحض بعضکم بعضًا
ای یحث - ومن قرأ تحضون فمعناه تامرون باطعامه وکذلك
یحضون بالیاء - وَتَأْكُلُوْنَ التُّرَاثَ - ای المیراث والتراث
تاؤه بدل من واو کالتکلة من توکلت والتخمة من توخمت ومنه
قول سعد بن ناشب الحماسی -

فَاِنْ تهدموا بالغدر داری فانها تراث کریم لا یبالی العواقبا

وقال عمرو بن کلثوم

وَرِثنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيفٍ ... (ورثنا) وکلثوما جمیعا بهم نلنا تراث الاکرمینا

والورث للمال والارث للحسب کما قال الشاعر -

فَاِنْ تَكُ ذَا عِزٍّ حَدِيْثٍ فَاِنَّهُمْ لَهُمْ اِرْثُ مَجْدٍ لَمْ تَخُنْهُ زَوَافِرُهْ

قیل کانوا یاکلون ما جمعه المیت وهم عالمون بذلك فیجمعون بین
الحلال والحرام ویسرفون فی الانفاق - وکانوا لا یورثون النساء
والصغار والاولاد فیاکلون نصیبهم ویقولون لا یاخذ المیراث الا
من یقاتل ویحمی الحوزة - اَكْلًا لَّمًّا - قال الفراء اللم الجمع ومعناه

اكلاً شديداً - وقال الزجاج تأكلون تراث اليتامى لمّاً اى بجميعه وفى الصحاح اكلاً لمّاً اى نصيبه ونصيب صاحبه قال ابو عبيدة يقال لممته اى جمعته - حتى اتيت على آخره - وفى الحديث المغيرة تاكل لمًّا وتوسع ذمًّا اى تاكل كثيرا مجتمعًا - قال الفرّاء اصله لمّمًا فلما كثرت فيه الميمات حذفت منها - وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا - قال ابو عبيدة اى كثيرًا و منه قول ابى خراش الهذلى -

إِنْ تَغْفِرِ اللّٰهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ⁂ وَاَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا اَلَمَّا

وحاصل معنى هذه الاية انّ ما زعمه الانسان ان نعيم الدنيا وسعة الرزق اكرام من الله تعالى لعبده واقتاره فيها اهانته وصغاره باطل بل الاكرام لا يحصّل للعبد الّا بفضل الله عليه ويجمعه مع الاقتار او بنعيم الدنيا - كما قدّمنا والمعتبر فى الهوان هوان الاخرة - وكذا القول فى نعيم الدّنيا لانّهما تقبلان الفناء والزوال فلا اعتبار لهما وفى الاية امور الاوّل عدم اكرام اليتيم والثانى الحثّ بالارادة على غصب طعام المسكين والثالث حُبُّ المال - وعلّة حدوث هذه الامور استحباب الدنيا و مؤاثرتها على الدّين فمن اتصف بها لم يفرق الحلال من الحرام ولا يبالى ان يكتسب الحلال التى بيّن الشارع حرمتها بالدلائل القاطعة والبراهين اللامعة فلا مرية فى كفره - قال مقاتل نزلت فى اُميّة ابن خلف فانّه كان لا يدفع حق اليتيم الذى كان فى حجره ويرغب الى طعام المسكين وتاكل ميراث الغير - كَلَّا اِذَا دُكَّتِ الْاَرْضُ دَكًّا دَكًّا - دكّت الارض والجبال زلزلتهما - ومثله قوله تعالى وَحُمِلَتِ الْاَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَّاحِدَةً - والمعنى سوّى

صعودها وهبوطها - وقيل صادت بالزلازل كانها رمل وقيل كانت هَبَاءً مَنثُورًا - والمعنى انّ الارض اذا زلزلت اندكّت فيفسد كل شئ كان على ظهرها بالقلع والقطع والكسر والبتر - وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا - اى وجاء امر ربك والملائكة مصطفون صفًّا صفًّا يحبطون بالجن والانس من كل جانب ويحتمل ان يكون معناه وجاء وعد ربك بالحشر والنشر - وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ - روي عن عبد الله بن مسعودؓ انّه قال تُقاد جهنّم يومئذ بسبعين الف زمامٍ بيد سبعين الف ملكٍ لها زفيرٌ وتغيُّظ تنصب عن يسار العرش فيخاف من يكون من اهل العرض من سطوة اشتعالها وشدّتها - اقول ويمكن ان يقال ان المراد من مجيئها بروزها وانكشافها بحيث يراها من كان من اهل العرض ومثله قوله تعالى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ والله اعلم - يَوْمَئِذٍ - وهو بدل من قوله اذا دكت الارض - اى يوم القيامة - يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ - اى الكافر يتذكّر قبائح معاصيه وخبائث سرائره فيخاف بها ويندم على ما فات منه وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ - اى اين ينفعه الذكرى اى اتّعاظ - واستدلّ به من عدم قبول التوبة وقت مشاهدة العذاب ومن قال مطلقا فقد لغا - قالت المعتزلة انّ قبول التوبة واجبٌ عليه تعالى وهو باطلٌ لانّ قبولها تفضّلٌ منه - وهو ليس بواجب عليه تعالى - يَقُولُ - اي الكافر - يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي - اى اعمالا صالحة في الدنيا - فهذا التمني محال بالنسبة الى المتمني وان كان ممكنا في نفسه فيندم حين لا ينفعه الندم لانّ دار الاخرة دار النتيجة - ودار العمل - انّما هي الدنيا فاذا المريتوجّه فيها الى طاعة الله واسترضائه لا بدّ له

ان یبقی خاسرًا فی دار النتیجة لان الدنیا مزرعة الاخرة استدلت المعتزلة بهذه الاٰیة علی ان العبد قادر علی ایتان افعاله وصدورها معلق بارادته والا لا یستقیم معنی قوله تعالی - یٰلَیْتَنِیْ قَدَّمْتُ لِحَیَاتِیْ واجیب ان قوله تعالی - یلیتنی قدمت لیس قول الله تعالی حقیقة بل هو قول الکافر ینقله الله تعالی عبرة للمؤمنین - فاستدلالهم باطل والعجب من صاحب الکشاف بانه کیف یخفی علیه هذا المعنی مع کونه غواصًا فی بحر المعانی - فَیَوْمَئِذٍ - ای فی یوم المجازاة - لَّا یُعَذِّبُ - قرأ الجمهور مبنیا للفاعل - عَذَابَهٗ - ای عذاب الله تعالی أَحَدٌ - من الملائکة المؤکلین علیه والمراد بهم الزبانیة والمعنی انه لا یملک احد من الزبانیة مثل عذاب الله - وقیل الضمیر فی عذابه یعود علی الکافر ای لا یعذب احد من الزبانیة مثل ما یعذبون الکافر لانه یدخل نار جهنم فعذابه اکبر واعظم من عذاب غیره وهو الذی لا یدخل النار کالمؤمن الفاسق الذی مات بغیر التوبة فانه یمکن ان یعذبه الله فی القبر وفی موقف من مواقف الحشر لان الایمان بالله و رسوله و بما جاء به النبی صلی الله علیه و سلم من ضروریات الدین ینجیه من عذاب النار - فمثل هذا الایمان هو الشیٔ العظیم و الخیر الکثیر فاذا کان الخیر القلیل ینفع صاحبه کما قال الله فَمَنْ یَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْرًا یَّرَهٗ - فکیف لا یکون الخیر الکثیر الذی هو الایمان لا ینجی صاحبه من النار - فلا یدخل المؤمن الفاسق النار - وقد قال الله جل ذکره - لَا یَصْلٰهَآ اِلَّا الْاَشْقَی الَّذِیْ کَذَّبَ وَتَوَلّٰی والاظهر ان المومن الفاسق لیس ممن کذب و تولی - وَّلَا یُوْثِقُ وَثَاقَهٗٓ اَحَدٌ

اى ولا يوثق بالسلاسل والاغلال احد مثل وثاقه - ويجوز فيه
الاحتمالان المذكوران - وقرأ الكسائى ويعقوب وابن سيرين لا يعذب
ولا يوثق مبنيا للمفعول - قرأ ابوجعفر ونافع وثاقه بكسر الواو والجمهور
بفتحها - روي ان هذه الاية نزلت فى ابى ابن خلف وقيل فى امية
ابن خلف والجمهور على ان المعذب هو الكافر فيدخل تحت عمومها
كل كافر وهو الاصح - ولما ذكر الله سبحانه تعالى شيئا من احوال الكافرين
شرع فى احوال المؤمنين فقال - يَآ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ - ويحتمل
ان يكون المنادى هو الملك بامره الله ان يقول للانسان يا ايتها
النفس المطمئنة الخ - والظاهر ان المنادى هو الله تعالى - كما يدل عليه
قوله - فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي - وهذا هو الصحيح - قرأ
الجمهور - ايتها بتاء التانيث وقرأ زيد بن على بدونها يعنى يا ايها النفس
قال ابوحيان ولا اعلم احدا - ذكر انها تذكر وان كان المنادى مؤنثا
الا صاحب البديع وهذه القراءة شاهدة بذلك ولذلك وجه من
القياس - وذلك انه لم يثن ولم يجمع فى نداء المثنى والمجموع فلذلك
لم يؤنث فى نداء المؤنث انتهى - ثم النفس هى جوهر لطيف يتعلق
بالبدن تعلق التدبير والاصلاح وهى ماهية نوعية عند الحكماء
الالهيين خلافا للامام الرازي فانه ذهب الى ان نفس زيد مباينة
لنفس عمرو فى الحقيقة وعندهم حقيقتهما واحدة لكنهما تفترقان
عندهم بالعوارض التى تلحقها بواسطة البدن - اما القرآن فهو
يدل على ان النفس جسم لطيف من عالم القدس يتصف بالصفات
الجسمانية كالدخول فى الجسم بالنفخ - كما قال الله تعالى - ونفخت فيه

بيان تعريف النفس واقسامها

مِنْ رُّوْحِيْ - وكما قال وَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُّوْحِنَا - وخروجها من البدن
بحكم الله الى العالم العلوى ورجوعها الى ربها - كما قال الله تعالى
اِرْجِعِيْ اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً - ودخولها في الجنة - كما قال الله
تعالى - وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ - وارسالها الى البدن وامساكها الى مدة
معينة - كما قال تعالى الله - يَتَوَفَّى الْاَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا وَالَّتِيْ لَمْ
تَمُتْ فِيْ مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِيْ قَضٰى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاُخْرٰى اِلٰى
اَجَلٍ مُّسَمًّى - وغيرها من الايات فالنفس عند اهل الشرع هي التى
يتصف بهذه الصفات لا كما ذهبت اليه الفلاسفة الالهيون
وقد فصلنا هذا البحث في بعض رسائلنا كرسالة علم النفس ورسالة
الشهادة وهي على اقسام الاول هي التى لا تصدر منها الا الشرور
والقبائح وهي تسمى الامارة كما اخبر الله سبحانه بحالها وما ابرئ
نفسي ان النفس لامارة بالسوء - والثاني هي التى يصدر منها
الخير والشر الا انها تندم بعد ارتكاب الشر وتلوم وتسمى النفس
اللوامة - كما قال الله تقدس - لَآ اُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَلَآ اُقْسِمُ
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ - وهي نفس عامة المؤمنين - والثالث هي
المؤمنة الموقنة المصدقة بما قال الله تعالى - الخاضعة لامر الله
وطاعته الخاشعة بوعيده ونقمته - الراضية بقضائه المبتغية
لرضائه فهي النفس المطمئنة التى قال الله في شانها - لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ - والرابع هي التى الهم الله اليها من الامور
الواقعية الثابتة في علم الله لافادة الناس وهدايتهم الى
طريق الفلاح وتزكيتهم بالاعمال الروحانية ترشدهم الى مرضاة

الله وتسمى النفس الملهمة وهى نفس النبىّ ان كانت ماذونة لتزكية نفوس الناس ونفس الصديق والولى ان لم يكن ماذونة بها -
اِرْجِعِىٓ اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً - اى الى موعد ربك او الى مرضاة ربك
مَّرْضِيَّةً - قال المبرّد والاصل مرضوّة لانّه من الرضوان - والمعنى
يا ايّتها النفس المطمئنّة ارجعى الى موعد ربك راضية بما اعطيت من
الثواب ومرضيةً عنها بعملها لانه كان سببًا لرضوان الله تعالى كلمة ارجعى
تشير ان الى النفوس الناطقة مخلوقة قبل الابدان وكانت تجاه الملئكة
عند حظيرة القدس ثم نفخت فى الابدان ولما خرجت منها نادى الله
لكل منها ارجعى الى ربك اى الى محل كنت فيه - روى انّه اذا توفى المؤمن
الصالح الذى اطمأنّ قلبه بذكر الله تعالى - ارسل الله تعالى اليه
ملكين بتحفة من الجنة يهدى اليه الله تعالى - قائلين بانّ
ربّك راض عنك واعمالك مرضيّة عنده فارجعى يا ايّتها النفس
الى ربك راضية مرضيّة - فَادْخُلِىْ فِىْ عِبٰدِىْ - الصالحين
المقرّبين وكونى منهم لانك صالحة زكية - وَادْخُلِىْ جَنَّتِىْ
معهم - قيل يقال لها ارجعى الى ربك راضية
مرضية - اذا خرجت من الدنيا و يقال لها
فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى
يوم القيمة - تم تفسير هذه السورة بعون الله وكرمه
فالحمد لله رب العالمين - والصلوة على سيد المرسلين
واله الطاهرين واصحابه
الكاملين

سُورَةُ الْبَلَدِ عِشْرُونَ آيَةً مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

قال الله عز وجل - لَآ اُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ - لا زائدة وزيادته مطردة في القسم وقد تزيد في غير القسم كقول الشاعر -

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد ضمير القلب لا يتصدع

اى يتصدع - ومن ذلك - قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد اى أن تسجد وقال مجاهد ان لا رد على من انكر البعث ثم ابتدأ وقال أقسم ليس الامر كما زعمتم من انكار البعث وقرئ لأقسم - قال الازهري البلد كل موضع مستحيز من الارض عامرا وغير عامر خاليا ومسكون والطائفة منها بلدة - قال المفسرون والمراد بالبلد مكة وفضائل مكة معروفة - اولها ان الله تعالى جعلها حرما امنا فقال ومن دخله كان امنا - وثانيها انه تعالى جعل ذلك المسجد قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ شَطْرَهٗ - وثالثها انه تعالى شرف مقام ابراهيم كما قال وَاتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرٰهِيْمَ مُصَلًّى ورابعها انه تعالى امر الناس بحج الكعبة وهى فى ذلك البلد كما قال وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ - وقال تعالى فى البيت اِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَاَمْنًا - وخامسها انه تعالى حرم فيها الصيد - هذا ملخص ما ذكره الامام الرازى - وقيل ان السورة مدنية والمراد بالمدينة مدينة الرسول عليه السلام - والاول هو الذي ذهب اليه

اکثر العلماء وھو یذکر ویؤنث وجمعه بلدان وبلاد - ثم ذکر فی مزیة فضلھا وقال - وَاَنْتَ حِلٌّ بِھٰذَا الْبَلَدِ - الحل والحلال والمحل واحد ای انت حال فیه - ذھب الجمھور الی ان المراد بالحل فیه ھو الحل بعد الفتح قال البیضاوی - وقید بحلول الرسول صلی الله علیه وسلم فیه اظھارا لمزید فضله واشعارا بان شرف المکان بشرف اھله انتھی فیکون المعنی ان مکة وان کانت فی غایة الفضیلة ولکن امة الا ان البلدة التی انت فیھا صارت افضل البلاد واشرفھا لحلك فیھا - وقال بعضھم ان المراد بالحل حل القتال ای حلال لك ان تفعل ساعة من النھار ما ترید - قال بعض المفسرین وفیه تھدید المشرکین وذلك لانھم کانوا یکرمون ھذا البلد ویعظمون البیت الحرام ویحرمونه ویحترمونه بالاتفاق ثم انھم یزعمون علی ایذائك ویجمعون علی اضرارك ویحرصون الناس علی ضربك وقتلك لاکنھم لا یقدروا علی ھذا لان الله یحرسك ویصونك عن اعدائك وکیف لھم انھم کانوا یانفون عن قتل الصید ویحرمونه علی انفسھم بل سائق ابی حیان عن عضد الشوك من ارضه ویستحلون قتل النبی صلی الله علیه وسلم - وَوَالِدٍ وَّمَا وَلَدَ - قیل والمراد بالوالد ادم علیه السلام وبما ولد ذریته من الصالحین لان الطالحین لا حرمة لھم - وقیل المراد بالاول ابراھیم علیه الصلوة والسلام وبالولد سیدنا النبی صلی الله علیه وسلم - والتنکیر للتعظیم وانما قال ما ولم یقل من لانشاء التعجب کما فی قوله تعالی - وَاللهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وقال ابو حیان وقال الفراء وصلح ما للناس کقول الله تعالی ما طاب لکم

وَمَا خلق الذکر والانثی - قال الامام الرازی - قال بعض المفسرین اقسم اللّٰہ بھم لانھم اعجب ما خلق اللّٰہ علی وجه الارض لما فیھم من البیان والعقل والتدبیر واستخراج العلوم وفیھم الانبیاء والاولیاء والصالحون والدعاة الی اللّٰہ والانتصار للدینه وکل ما فی الارض مخلوق فهو لاجلهم وامر الملائکة بالسجود لآدم علیه السلام وعلّمه الاسماء کلها فیکون قد اقسم بجمیع الآدمیین صالحهم وطالحهم انتهی - وکذا ذهب ابن جریر الی انّه عامٌ فی کل والد وولده - وخصّ بعضهم الصالحین من ولده ومن کان له نفس لوّامة - لانّه تعالی - قال ولا اقسم بالنفس اللوّامة - والمراد بها مومن فاسق - قد تاب الی اللّٰہ فهو داخل فی عموم مفهوم القسم اما غیرهم من الکافرین فلیس لهم حرمة ولا شرف فلا یدخلون فی عموم مفهوم الولد - ویؤیده ما قال اللّٰہ تعالی - فی قصة نوح علیه الصلوٰة والسلام مخاطبا له فی شان کنعان ولده فانه لیس من اهلک - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْ کَبَدٍ - هذه الجملة جواب القسم والمراد بالانسان نوعه - قال الزجاج والمعنی اقسم بهذه الاشیاء - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِیْ کَبَدٍ یکابد امر الدنیا والآخرة - والکبد الشدّة والمشقّة - قال الفرّاء ومعناه خلقناه منتصبا ومعتدلا ویقال فی کبد ای انه خلق یعالج ویکابد امر الدنیا والآخرة وقیل فی کبد ای خلق فی بطن امّه ورأسه قبل رأسها فاذا ارادت الولادة انقلب الولد الی اسفل واصل هذا التاویل هو الذی قال المنذری سمعت ابا طالب یقول الکبد الاستقامة والاستواء - وجاء فی الحدیث قال بلال رضی اللّٰہ عنه اذنت فی لیلة باردة فلم یأت احدٌ - فقال رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیه وسلم

اكبد هم البرد اى شقّ عليهم وضيّق من الكَبَد بالفتح وهى الشدّة الضيق منه قول لبيد -

يا عَيْنُ هَلّا بكيتِ اَرْبَدَ اِذْ قُمْنَا وَ قَامَ الخُصُومُ فِي كَبَدٍ

اى فى شدّة وعناء والمعنى ان الانسانَ يكابد المحنَ والمشقّات ويتضرّر فى الاحزان والمضرّاتِ ويقاسى اقسام الشدائد ويتحمّل انواع الكرائب والجوادع فاذا كان بالسعاداتِ العاجلة والنعم الهالكة يختال على اخيه ويهينه ولا يشعر انها زائلة بائدة لا يليق لصاحبها الافتخار بها - وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بما كان يكابد من اولى قرابته ومن قريش - أَيَحْسَبُ - والضمير يرجع الى الانسان الشديد المختال والاستفهام للانكار - اَنْ لَّنْ يَّقْدِرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ - اَنْ مخففة من الثقيلة واسمه ضمير وهو محذوف اى انّه لن يقدر عليه احدٌ - اى هو لشدّة شكيمته وجلادته يتخيّل فى نفسه انه قوى عزيز - لا يقاومه احدٌ - ولا ينازع من يده شئ لكونه مستعصمًا بقوته وعدّته قيل ان هذه الاية نزلت فى اسيد بن كلدة فانه كان جلدًا قويًا - كان يبسط له اديم عكاظى فيقوم عليه ويقول من ازالنى فله كذا - فيجذبه عشرة فلا ينزع منه الا قطعة مقطوعة منه ولا يزلّ قدماه - وقيل نزلت رجل من بنى جمح وقيل فى الحارث بن نوفل وقيل فى الوليد بن المغيرة - يَقُوْلُ - على سبيل الافتخار - اَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا - اى مجتمعًا بعضه على بعض - قال الفرّاء اللُّبَدُ الكثير وقال بعضهم واحدته لُبْدَةٌ ولُبَدٌ جمع وقيل هو على زنة قُثَمٍ وحُطَمٍ واحدٌ وعلى الوجهين معناه الكثير - وقرأ ابو جعفر مالًا لُبَّدًا -

بالتشاديد فكانّه اراد مالاً لابداً او مالاًن لابدانّ واموال لُبَّدٌ - والاموال والمال قد يكونان بمعنى واحد - وقرأ زيد بن على لُبَدًا بسكون الباء ومجاهدٌ وابن ابى الزّنا وبضمهما - وكان اهل الجاهلية اذا انفقوا مالاً كثيراً فى عداوة احد او فى ميسر او خير يتباهون بها ويسمّونه مكارم - قيل انّ الحارث بن نوفل اذا اجتنى جناية - اتى النبى صلى الله عليه وسلم - ويقول جنيت فقل لى كفارة فيامره بالكفارة فقال لقد اهلكتُ مالاً لُبَدًا فى الكفارات والتبعات منذ تبعت محمّدًا صلى الله عليه وسلم - هذا ما ذكره ابو حيان ولم يذكره ثقات المفسرين على انّه خلاف دراية - اَيَحْسَبُ - ايظنّ ذلك الانسان اَنْ لَّمْ يَرَهٗٓ اَحَدٌ - اى لم يره الله من اين كسب ذلك المال وفى اىّ موضع انفقه او لم ينفقه اهو صادق فى هذا القول ام كاذبٌ الاستفهام للانكار بلى يرى الله سبحانه انّه انفق ما انفق فى عداوة نبيه ايذاءً له - اَلَمْ نَجْعَلْ لَّهٗ عَيْنَيْنِ - يبصر بهما ما حوله من الاشياء وَلِسَانًا - ينطق به - وَّشَفَتَيْنِ - يستر بهما اسنانه اذا طبقهما على فيه ويستعين على تكلم بعض الحروف وجعلناهما زينةً لوجهه قال الزجاج الم نفعل به ما يدلّ على انّ الله تعالى قادرٌ على اَنْ يبعثه - والشفة محذوفة اللّام واصلها شفهةٌ بدليل شُفَيْهَةٍ والجمع شِفَاهٌ بالهاءِ قال ابو منصور والعربُ تقول هذه شفةٌ فى الوصل وشفهٌ فمن قال شفة قال كانت فى الاصل شفهةٌ فحذفت الهاء الاصلية وبقيت هاء العلامة للتانيث ومن قال شَفَهٌ بالهاء ابقى الهاء الاصلية - وَهَدَيْنٰهُ النَّجْدَيْنِ - النجد الارض المرتفعة ومنه شعر امرئ القيس

غَدَاةَ غَدَوْا فَسَالِكٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ۔ وَاٰخَرُ مِنْهُمْ جَازِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

قال ابن مسعود و ابن عباس رضی اللہ عنھما النجدان الخیر و الشر و کذا روی عن علی و ابن عباس رضی اللہ عنھم و مجاهد و عکرمة ابی وائل و ابی صالح و محمد بن کعب و الضحاك و عطاء الخراسانی قال ابن الجاً لم روی عن ابن عباس رضی اللہ عنھما - ان النجدین هما الثدیان - لانهما کالطریقین لحیاة الولد و رزقه - قال صاحب اللسان قیل النجدین الطریقین الواضحین - ثم النجد اذا ارید به الشئ المرتفع و فسر النجدان بالخیر و الشر یلزم ان یکون الشر مرتفعا و هو غیر ملائم - و اما اذا ارید بهما الثدیان یحصل تناسق المعنی و تناسبه لانه تعالی ذکر قبله عین الانسان و لسانه و شفتیه الا ان الانتفاع بهذه القوی لا یحصل له الا بعد ان یکون مرزوقا من رزق اللہ فقال و هدینا بعد ولادته الی ثدیین یرزق منهما ما رزقه اللہ من فضله فیمنی و یقوی فیشکر اللہ فی عهد الشعور علی ذلک و قال بعضهم ان القول الاول هو الانسب و هو ان یراد بالنجدین الخیر و الشر لان اللہ تعالی - قال مثل ذلک فی سورة الدهر وهو قوله تعالی - اِنَّا هَدَيْنٰهُ السَّبِيْلَ اِمَّا شَاكِرًا وَّ اِمَّا كَفُوْرًا - ویمکن ان یراد بهما الایمان و الکفر - اما عندنا فالقول الذی روی عن ابن عباس رضی اللہ عنه هو الاصح - فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ - الاقتحام هو الدخول فی الشدائد و الاقدام فی المجادع - و القحم الامر الشدید و جمعه قحم ای الشدائد و الامور العظام ذکر فی حدیث علی رضی اللہ عنه و کرم اللہ وجهه - انه و کل عبد اللہ بن جعفر بالخصومة

فلا اقتحم العقبة ولم یفعل الاقتحام العقبة
وما ادراك ما العقبة

و قال إنّ الخصومة قحمًا - و منه قول ساعدة بن جؤية

وَالشَّيْبُ دَاءٌ نَجِيسٌ لَا دَوَاءَ لَهُ لِلْمَرْءِ كَانَ صَحِيحًا صَائِبَ الْقُحَمِ

فيكون معنى الاقتحام هو الدخول في الامور العظام - العقبة واحدة عقبات وهو الجبل الطويل - يعرض للطريق فيأخذ فيه - وهو طويل صعب شديد وإن خزمت بعد ان تسند وتطول في السماء في صعود و هبوط اطول من النقب و اصعب مرتقي - و قيل هو طريق وعر في الجبل - وَمَا أَدْرٰىكَ مَا الْعَقَبَةُ - استفهام لعظم بيان الذي يأتي بعد وهذه الجملة معترضة - فَكُّ رَقَبَةٍ - هذا هو تفسير العقبة و المعنى فلا هو اقتحم العقبة و العرب اذا نفت بلا فعلا كررتها كما قال الله تعالى فلا صدق و لا صلى - و لم يكررها هاهنا لانه اضمرها فعلا دل عليه سياق الكلام كانه قال فلا امن و لا اقتحم العقبة والدليل عليه قوله تعالى - ثم كان من الذين امنوا - هذا ما ذهب اليه الفراء و الزجاج - وقال صاحب الكشاف هي بمعنى لا متكررة في المعنى لان المعنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة و لا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك انتهى و اعترض عليه ابو حيان وقال و لا يتم له هذا الا على قراءة من قرأ فك فعلا ماضيا - و قرأ ابن كثير والنحويان فك فعلا ماضيا و رقبة منصوبة او اطعم فعلا ماضيا و باقي السبعة فك مرفوعا و رقبة مجرورا و اطعام مصدر منون معطوف على فك انتهى فيكون على قراءة ابن كثير و ابي عمرو البصري و الكسائي فك و اطعم بدلا من قوله فلا اقتحم و على قراءة باقي السبعة و هي فك بالرفع و كذا الاطعام يكون بدلا او تفسير

الا اقتحام العقبة والتقدیر وما ادراك ما اقتحام العقبة فک رقبة او اطعام مسکین - فالمعنی الذي ذکره صاحب الکشاف لا یتم علی مراعاة بلاغة السبعة - هذا اذا اعتبر لا بمعناها حقیقة - اما اذا جعلت بمعنی لم کما ذهب الیه المبرد - وابو علی الفارسی لم یحتج الی تکرار النفی لان ذلك من خواص لا وهو قول مجاهد - قال صاحب اللسان ومنه قول الشاعر -

ان تغفر اللهم تغفر جمّا وای عبد لك لا الما

انتهی وهو قول الزجاج ویرجع الی هذا التاویل قول ابی عبیدة وهذا الشعر لابی خراش الهذلی - قاله حین یطوف الکعبة - والمعنی لم یلمم - اقول والقول هو الذی قاله الفراء والیه ذهب ابن هشام فی المغنی - قیل لا دعائیة دعاء علیه ان لا یفعل خیرا وقیل انها للتحضیض والاصل فالا اقتحم - قال ابن هشام وهذا ضعیف - وقال ابو حیان ولا یعرف ان لا وحدها تکون للتحضیض ولیس معها الهمزة واختلف فی تفسیر العقبة قال الحسن هی جهنم لا ینجی منها الا هذه الاعمال - وقال ابن عباسؓ ومجاهد وکعب هی جبل فی جهنم - قال قتادة هی قحمة شدیدة فی جهنم - وقال ابن عباسؓ العقبة النار وایضا روی عن کعب وقتادة هی نار دون الجسرة - وایضا قال الحسن هی مجاهدة نفسه وهواه وعداوة الشیطان - وقال الضحاك الکلبی هی الصراط الذي یضرب علی جهنم کحد السیف والقول الآخر للحسن هو المرضی عندنا الفك تخلیص الشیء من الشیء - ومنه قول الحارث ابن حلزة الیشکري -

وَفَكَّكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ ۞ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ

و فك الاسير فكاكة فصله من الاسر وجاء في الحديث عودوا المريض و فكوا العاني اى اطلقوا الاسير ويجوز ان يريد به العتق فيكون معنى فك رقبة اطلاق ربقة العبودية من الرقبة اى عتقها - أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ - قال ابن عباس مسغبة مجاعة على مفعلة وهو قول الفراء و قال النخعي في يوم ذى مسغبة اى عزيز فيه الطعام - يقال اسغب الرجل اذا دخل في الجوع و قيل لا يكون السغب الا مع التعب و ذى مسغبة صفة يوم اى في يوم ذى مجاعة ويتيما مفعول لاطعام - قال ابن عباس يقال ذو قرابة وذو مقربة واليتيم الفرد و يقال اليتم واليتيم لفقدان الاب قال ابن السكيت اليتم في الناس من قبل الاب و في البهائم من قبل الام و لا يقال لمن فقد الام من الناس يتيم و لكن منقطع قال ابن بري اليتيم الذي يموت ابوه والعجي الذي تموت امه واللطيم هو الذي يموت ابواه - قال الليث الذي مات ابوه فهو يتيم حتى يبلغ فاذا بلغ زال عنه اسم اليتيم و يقال للمرأة يتيمة - قال ابو سعيد يقال للمرأة يتيمة لا يزول عنها اسم اليتم ابدا - و قال ابو طالب بن عبد المطلب في قصيدة انشدها في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم -

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ۞ ثِمَالُ الْيَتَامٰى عِصْمَةٌ لِلْاَرَامِلِ

و قال ابو عبيدة تدعى يتيمة ما لم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم و يؤيد ما ذهب اليه ابو سعيد المفضل -

أَفَاطِمَ إِنِّي هَالِكٌ فَتَثَبَّتِي ۞ وَلَا تَجْزَعِي كُلُّ النِّسَاءِ يَتِيمُ

وقد يقال اليتيم هو الذي مات ابواه كما قال قيس بن الملوح العامري
الى الله اشكو فقد ليلى كما شكا الى الله فقد الوالدين يتيم
اَوْ مِسْكِيْنًا ذَا مَتْرَبَةٍ - يقال طرب ترباً اذا لزق في التراب وهو
المصدر على مفعلة وكذا مقربة - وقيل لصق بالتراب من الفقر -
وفي حديث فاطمة بنت قيس - واما معاوية فرجل ترب لا مال له
اى فقير - وقيل المسكنة والفاقة فيكون المعنى او مسكينا ذا مسكنة
وفاقة لاصق بالتراب - وقال مجاهد هو الذى لا يقيه من التراب لباس
ولا غيره - وقال عكرمة هو المديون - وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
الذى ليس له بيت - ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا - عطف عن المنفى بلا
وجاء ثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام لانه اصل لجميع الطاعات
ولا تصح بدونه - وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ - اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر
على المكاره او على طاعة الله او على مخالفة اهل البغى والعناد - وَتَوَاصَوْا
بِالْمَرْحَمَةِ - اى بالرحمة بين المؤمنين لانهم اخوان في الدين
وهو مصدر على مفعلة - اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْمَيْمَنَةِ - اى الموصوفون بالايمان
والتواصى بالصبر والمرحمة اصحاب اليمين اى يعطى صحايفهم في ايمانهم - او من
اليمن اى هم اصحاب البركة - وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِنَا - من كتاب الله وبدلائل
قاطعة - هُمْ اَصْحٰبُ الْمَشْئَمَةِ - اى اصحاب الشوم وهم الذين يعطى صحائفهم في شمائلهم
والذين لا يقتحمون العقبة داخلون فيهم - عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ - من اوصدت الباب
اذا اغلقته واطبقته - قال ابو عبيدة يقال اصدت واوصدت اذا اطبقت قرأ الجمهور
موصدة بالواو وقرى بالهمزة - قال ابن عباس رض معناها مغلقة الابواب - تم تفسير هذه السورة
فالحمد لله العظيم والصلوة على نبيه الكريم وعلى اله واصحابه الذين رشدوا الناس الى الصراط المستقيم

سورة الشمس هي خمس عشرة اية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحٰهَا- قال ابو حیان قد تقدم القسم ببعض المواضع الشریفة و اقسم ههنا بشیٔ من العالم العلوی والسفلی وبما هو اٰلة التفکر فی ذلك وهو النفس انتهی والمعنی اقسم الله تعالی بالشمس وضحٰها- وهو قول الزجاج قیل تقدیر الکلام- وربّ الشمس وکذا فی البواقی وهو لیس بشیٔ لانّ المعنی علی هذا التقدیر یکون انّ الله تعالی اقسم برب الشمس کذا فی البواقی وهو لغو محض وکفر صریح- والشمس کوکب سیّار مضیٔ علی الفلك الرابع ینفع اشراقه الموجودات التی تکون تحت فلك القمر- وضحٰها ضوءها وقال مجاهد هو ارتفاع الضوء وکماله وقال مقاتل حرّها- وقال قتادة هو النهار- قال ابو حیان وهذا لیس بجیّد لانّه قد اقسم بالنهار وقیل والضحی حین تطلع الشمس فیصفو ضوءها- والضحاء بالفتح والمدّ اذا ارتفع النهار واشتدّ وقع الشمس- اما الضحوة فهو ارتفاع النهار والضحی بالضمّ والقصر فوقه وبه سمّیت صلوٰة الضحی- و یقال ضحی لغة فی الضحی قال الشاعر-

طربت وابکتك الحمام السواجع تمیل بها ضحوًا غصون یوانع

قال الجوهري الضحی مقصورة تؤنث وتذکّر- قال ابو حیان ونقل عن المبرّد من ان الضحی مشتق من الضح وهو نور الشمس والالف مقلوبة

من الحاء الثانية - وكذلك الواو في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية
لعله مختلق عليه لان المبرد اجل من ان يذهب الى هذا وهما تان
مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى - اقول ذكر
صاحب اللسان - قال ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس
قال واصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء - وقالوا الضح قال
ومثله القن اصله قنى من القنية ثم ذكر وقال الازهري والصواب
ان اصله الضحى من ضحيت الشمس - وقال الازهري في كتابه وكذلك
اللمحة اصلها الوضحة فاسقطت الواو وابدلت الحاء مكانها فصارت
لحة بحاءين - انتهى فما اعترض ابو حيان على المبرد وهو امام الادب
والنحو باطل - وهذا الرجل ليس من اهل اللغة والادب ثم اقول و
الظاهر ان النور ليس ضياء كما قال الله تعالى جعلنا الشمس ضياء و
القمر نورا - لان الضياء هو الاشراق الذي فيه احراق وحرارة و
النور ليس فيه احراق وحرارة - فهما شيئان متغائران - والقمر
اذا تلها - وهو كوكب يطلع في فلك الدنيا ونوره ينفع ما كان
تحت فلكه - قال الزجاج يقال تلى القمر اذا استدار وكمل نوره
وقال الفراء تلاها اخذ منها يعنى ان القمر ياخذ من ضوء الشمس
وكان لها تابعا للمنزل والضياء والقدر لانه ليس في الكواكب شئ يتلوا
الشمس في هذا المعنى غير القمر - وقال قتادة انما ذلك البدر تغيب
هي فيطلع هو - والمعنى ان القمر يتلو بعد غروب الشمس فيكون قائما
مقامها في افادة النور والمنافع الاخر - والنهار اذا جلها - قال
الزجاج اي اضاءها لان الشمس عند انبساط النهار تنجلى تمام الانجلاء

فكانّه جلاّها - وعلى هذا التقدير يرجع ضمير المؤنث الى الشمس
وقيل انّه يرجع الى الظّلمة او الى الارض او الى الدنيا وعلى هذا
التقادير الضمير في جلى يعود على النّهار - قال الفرّاء معناه اذا اجلى الظلمة
فجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر في اوّله لانّ معناها معروف
الا ترى انك تقول اصبحت باردةً وامست عريةً وهبّت شمالاً
فكنّى عن مؤنثات لم يجر لهنّ ذكرٌ لانّ معناها معروف - والنّهار
هو مدّة كون المخروط الّذي هو ظل الارض تحت الارض - والتجلّية
هي الاظهار - وَالَّيْلِ اِذَا يَغْشٰهَا - اي يغشى الشمس فيذهب ضوئها
ويظلم الافاق وقيل والضمير عائدٌ على الارض والانسب ان يعاد
جميع الضمائر على الشمس - ويؤيده ما ذكره القفال وقال انّ القسم
بالشمس باعتبار اوصافٍ اربعةٍ - ضوءها عند ارتفاع النّهار - وتلو
القمر لها باخذه الضوء - وتكامل اضوائها في النّهار وغيابها بمجئ الليل
هذا ملخص ما ذكره ابو حيّان - وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنٰهَا - وقال ابو حيان
وما في قوله وما بناها وما طحيها وما سوّاها - بمعنى الّذى قاله الحسن
ومجاهد وابو عبيدة واختاره الطبري - قالوا لانّ ما تقع على اولى
العلم وغيرهم - وقال المبرّد والزّجاج وغيرهما انها مصدرية وقالوا
انها لا تقع على اولى العلم - اقول وتفصيل الكلام في هذا الباب انّه
اختلف في ما في قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها - فقال بعض المفسرين
انّها مصدرية وهو قول القاضى والمبرد والزجّاج وذلك لانّ قوله
وما بناها - لا يجوز ان يكون المراد منه هو الله تعالى لانّ ما لا تستعمل
في خالق السّماء الّا على ضرب من المجاز ولانّه لا يجوز منه تعالى

أنْ يقدمَ قسمَهُ بغيره على قسَمِهِ بنفسِهِ ولأنّه لا يكاد يُذكرُ مَعَ غيره على هذا الوجه فإذن لابدّ من التاويل وهو معَ ما بعدَهُ في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وما بناها - واعترضَ عليه صاحب الكشاف وقال لو كان الامر كذلك لزم من عطف قوله فالهمها عليه فسادُ النظم - قال الامام الرازيُّ هذا الاعتراض حقٌّ - فذهبَ عليه صاحب الكشاف والامام الرازيُّ الى انّها موصولةٌ - وأجابه ابوحيّان وقال ولا يلزم ذلك لانّا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضميرٌ عائد على الله تعالى اى بناها هو الله تعالى اقول انّها اذا كانت مصدرية كان المعنى والسماء وبنائها فلا يكون فيه الضمير العائد على الله تعالى - واما ما قال ابو حيّان انَّ ما ومن ليس فيهما معنَى الوصفية فهو مخالفٌ لِما ذهبَ اليه ائمة النحاة فانّهم ذهبُوا الى انّ الوصفيّة ليسَتْ في مَعْنًى من بخلاف ما فانّه يوجدُ فيها معنى الوصفية والتفصيل في كتب النحو وهو مذهب صاحب الكشاف - وامّا ما يلزم من تقديم القسَمِ بغيره على قسَمِهِ بنفسه تعالى فتوجيهه على ما ذكره الامام الرازيُّ - وهو والذي يخطرُ ببالي في الجواب عنه أنّ اعظم المحسوسات هو الشمس فذكر سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالّة على عِظَمِها ثم ذكر ذاته المقدّسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه للسمآء والارض والمركبات ونبّه على ذلك بذكر اشرفها وهي النفس والغرضُ من هذا الترتيب هو ان يتوافق العقل والحس على عِظَم جرم الشمس ثم يحتج العقل الا أنّ أعظم الشمس ... بل يجمع السمٰوات والارضات والمركبات

علی اثبات مبدئها فی لا یخطی العقل ههنا بادراک جلال الله وعظمته
علی ما یلیق به والحس لا ینازعه فیه فکان ذلک کالطریق الی جذب
العقل من حضیض عالم المحسوسات الی یفاع عالم الربوبیة وبیداء کبریاء
الصمدیة فسبحان من عظمت حکمته وکملت کلمته - والارض وما
طحاها - یقال طحی الشئ یطحیه طحیا ای بسطه - قال الازهری الطحو
کالدحو وهو البسط وفیه لغتان طحا یطحو وطحا یطحی - قال الفراء طحاها
ودحاها واحد - قال شمر ومعناه ومن دحاها فابدل الطاء من الدال
قال ومعناه وسعها - قال ابن سیده واما قراءة الکسائی طحیها بالامالة
وکذا فی قوله تعالی تلاها - وان کانت من ذوات الواو فانما جاء
ذلک لانها جاءت مع ما یجوز ان یمال وهو یغشاها وبناها علی انهم
قد قالوا مظلة مطحیة فلولا ان الکسائی امال تلاها - من قوله والقمر
اذا تلاها - لقلنا انه حمله علی قولهم مظلة مطحیة - ونفس وما سواها
قال صاحب الکشاف فان قلت لم نکرت النفس قلت فیه وجهان احدهما
ان یرید نفسا خاصة من بین النفوس وهی نفس آدم علیه السلام کانها
قال واحدة من النفوس والثانی ان یرید کل نفس وینکر التکثیر
علی الطریقة المذکورة فی قوله علمت نفس اعترض ابو حیان علی التقدیر
الاول وقال وهذا فیه بعد للاوصاف المذکورة بعدها فلا تکون
الا للجنس الا تری الی قوله قد افلح من زکاها - وقد خاب من دساها -
کیف یقتضی التغایر فی المزکی والمدسی - اقول قال الامام الرازی
قدس سره فی توجیه ما قاله صاحب الکشاف وبیانه انه یجوز ان یرید بها
نفسا خاصة من بین النفوس وهی النفس القدسیة النبویة - وذلک

لانّ کل کثرۃ فلابُدَّ فیہ من واحد یکون ھو الرئیس فالمرکبّاتُ جنس تحتہ اَنْوَاعٌ و رئیسھا الحیوانُ والحیوانُ جنسٌ تحتہ انواعٌ ورئیسھا الانسان والانسان اصنافٌ ورئیسھا النبی والانبیاء کانوا کثیرین فلابد ان یکون ھناک واحد یکون ھو الرئیس المطلق فقولہ ونفس ھو اشارۃ الی تلک النفس التی ھی رئیسۃ لعالم المرکبات ریاسۃً بالذات انتہی - واقول ان التنوّع لا یدُلّ الّا علی حقیقۃٍ واحدۃٍ فلا کثرۃ فیہ باعتبار ھذا المعنی فھذہ الحقیقۃ اما اَن تصدق علی فرد واحدٍ کشمسٍ او تصدقَ علی افراد شتی - مثل انسان مثلاً فان لہ افراداً کثیرۃً یقال علی کل واحدٍ منھا انّہ انسان الا انہ لا یصدق علی جمیع الافراد فی حالۃ واحدۃٍ لانّہ لا عموم فیہ فلا یُراد بقولنا جاء انسان جاء کل واحدٍ من الانسان او جاء جماعۃٌ منہ - ولا یتأتی ذلک الا بعد اَن یدخُلَ علیہ اَل او یقدّر قبلہ کلّ فیتحقق بھذا انّ الاصل فیہ ھو الوحدۃ ولذلک قال صاحب الکشاف قلتُ فیہ وجھان احدھما ان یرید بھا نفساً خاصۃً الخ وبھذا اندفع ما قال ابو حیّان فَاَلْھَمَھَا ای الھمھا اللہ - فُجُوْرَھَا وَتَقْوٰىھَا - والمراد بالالھام ھو الافھام باَنّ احد الشیئین حسنٌ والاٰخر قبیحٌ ومنشأ ھذا الافھام - ھو العقل فاللہ تعالی وتقدّس لمّا اعطاھا العقل فقد اعطاھا الافھام فالواجب علی الانسان ان یتفکر فی التقوی والفجور ویختار منھما ما شاء ھذا ما ذھب الیہ المعتزلۃ - ھذا اذا ارید بالالھام الافھام والاعقال کما ذھب الیہ صاحب الکشاف - قال ابو حیّان وفیہ دسیسۃ الاعتزال ولم یقل غیر ھذا فی جوابہ اقول لا نسلّم ان الالھام ھو الافھام لانّ

اللھم فی الاصل ھو الابتلاع - قال صاحب اللسان وھذا قول اللیث ومنہ الالھام وھو ما یلقی اللہ فی النفس امرًا یبعثہا علی الفعل او علی الترک وھو نوع من الوحی وھو غیر مختص بفرد من افراد الانسان بل یکون لکل فرد من افرادہ - وھذا الالقاء من جملۃ قضائہ وقدرہ - فاذا کان ایمان المومن وکفر الکافر من قضائہ وقدرہ کان الھام التقوی - فی نفس المؤمن والھام الفجور فی نفس الکافر ایضًا من قضائہ وقدرہ فیلقی توفیق الایمان فی نفس المؤمن والخذلان فی نفس الکافر - علی ان اللہ تعالی - لما قال خالق کل شیٔ فاعبدوہ والھام التقوی شیٔ من الاشیاء فاذا کان کل شیٔ مخلوقًا للہ تعالی - کان الھام التقوی والفجور مخلوقًا للہ تعالی - ثم الافعال الاختیاریۃ وان کانت موقوفۃ علی اختیارہ - الا ان الاختیار اما ان یکون واجبًا واما ان یکون ممکنًا والاول محال فثبت الثانی وھو کونہ ممکنًا فاذا کان ممکنًا وجب ان یکون محتاجًا فی وجودہ الی اللہ تعالی فیکون الاختیار ایضًا مخلوقًا للہ تعالی - فاندفع ما قال صاحب الکشاف - اما ابو حیان فلعلہ لا یعرف سوی النحو والقراٰت فما وجدنا فی تفسیرہ سوی مقاصد ھذین العلمین - قَدۡ اَفۡلَحَ مَنۡ زَکّٰىہَا - ای قد فاز من زکی نفسہ - واصل الزکوۃ - فی اللغۃ الطھارۃ والنماء والبرکۃ والمدح - والزکوۃ وزنہا فعلۃ کالصدقۃ فلما تحرکت الواو وانفتح ما قبلہا انقلبت الفًا فیکون المعنی علی ھذا التقدیر قد فاز من انماھا وطھرھا من ادناس الذنوب - قال الشیخ الاکبر فی تحفۃ السفرۃ الاٰیۃ تدل علی الوصول الی المقامات ولا تحصل الا بتزکیۃ النفس و

تصفية القلب وتجلية الرّوح والمقصود بالذات هى تجلية الرّوح ولا يحصل تجلية الرّوح الا بتصفية القلب وتصفية القلب لا تحصل الا بتزكية النفس فالتزكية هى الواجب - انتهى فالصفات النفسانية متبعها هو عصيان النفس عن اطاعة الله فمتى ازداد عصيانها عنها ازداد سواد القلب حتى يسودّ بالكليّة فاذا اسودّ كله انسدّ عليه ابواب الفيوض الالهيّة - قال الشيخ الاكبر اما انجلاء سواده فلا يكون الا بنور الايمان - روى عن على رضى الله عنه انّه قال الايمان يبدو لمظة كالنكتة البيضاء فى القلب فمتى ازداد الايمان ازداد اللّمظة - ثم الايمان وان كان هو التصديق الا انّ كماله لا يحصل الا بالعبادات كما هو مذهب اهل التحقيق - وافضلها معرفة قول لا اله الا الله فاذا حصلت معرفته لا يبقى فى الوجود الا الله وهذا هو حق اليقين عند اهل المعرفة فمثل هذا العارف يعرف معنى قوله عليه الصلوة والسّلام من قال لا اله الا الله دخل الجنّة واختلف فى انّ قوله قد افلح من زكّها - هل هو جواب القسم ام لا قال الزجّاج وغيره هذا جواب القسم وحذفت اللّام لطول الكلام والتقدير - لقد افلح وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثنّ - وقال صاحب الكشاف تقديره ليدمدمنّ الله عليهم اى اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما دمدم على ثمود لانهم كذّبوا صالحا عليه السلام امّا قوله تعالى - قد افلح من زكّاها - فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها - على سبيل الاستطراد - وليس من جواب القسم فى شئ انتهى قال ابو حيّان والظاهر ان فاعل زكّى ودسّى ضمير يعود على من قاله

الحَسَنُ وغیرہ ویجوز ان یکون ضمیرا للہ تعالیٰ واعاد الضمیر مؤنثا باعتبار المعنیٰ من مراعاۃ التانیث - وفی الحدیث ما یشهد لهذا التاویل کان علیه السلام اذا قرأ هذہ الآیة - قال اللهم آت نفسی تقواها وزکّها انت خیر من زکّاها انت ولیّها ومولاها - وفی هذا الاستدلال بحث وقال الزمخشری واما قول من زعم ان الضمیر فی زکّی ودسّی للہ تعالیٰ وان الضمیر المؤنث الراجع الی مَنْ لانه فی معنی النَّفْس فمن تعکیس القدریة الذین یورّکون علی اللہ قدرًا هو بریٔ منه ومتعال عنه ویحیون لیالیهم فی تمحّل فاحشة ینسبونها الیه تعالیٰ انتهی - قال ابو حیّان فجری علی عادته فی سبّ اهل السنة وقائل هذا هو بحر العلم عبداللہ بن عباسؓ والرسول صلی اللہ علیه وسلم - وهو قوله وزکّها انت خیر من زکّاها - انتهی قیل وعلی تقدیر کون ضمیر زکّی ودسّی عائدا علی اللہ تعالیٰ یکون تحقیقا لمذهب اهل الجبر وذلك لان العبد لیس فی اختیارہ شیٔ لان کل ما سوی اللہ تعالیٰ - فهو واقع بقضائه وقدرہ وداخل تحت ایجادہ وتکوینه - اقول ان الهام التقوی والفجور فی قلب العبد لا یستلزم ایجادهما منه بل قذفهما فی قلبه لیسلم امتحانًا وتکلیفًا کما قلنا فمن مال الی التقوی یکون مومنًا ومَنْ مال الی الفجور یکون کافرًا فالمیلان هو الذی کان مناط ثوابه وعقابه فلا جبر

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّٰهَا - دَسّٰها اصله دسّسها ابدلت السین بالیاء فصار دَسّٰها والتدسیس لاخفاء - قال ثعلبؒ سألت ابن الاعرابی عن تفسیر هذہ الآیة فقال معناها من دسّ نفسه مع الصالحین ولیس هو منهم قال وقال الفرّاء خابت نفسٌ مَنْ دسّٰها اللہ عزوجلّ

قال الأزهري أراد الله عزّ وجلّ بهذا الموؤودة التي كانوا يدفنونها
وهي حيّة - أقول والقول ما قال الفرّاء - وفيه ردٌّ لما ذهب إليه
صاحب الكشاف وهو الذي ذكرناه آنفا - فإن قلت إن تزكية
النفس إذا أُسندت إلى النفس بلا واسطة ثبت مذهب المعتزلة
لأنهم ذهبوا إلى أن أفعال العباد مخلوقة لهم وكذا القول في تدسيس
قلت إن ميل النفس هو شيء من الأشياء فهو داخل في عموم معنى قوله
تعالى - خالق كل شيء فاعبدوه فيكون ميل نفس العبد مخلوقا لله تعالى
وكذا مشيّته العبد لا تخرج من القوّة إلى الفعل إلا بمشية الله كما
قال الله تعالى - وما تشاؤن إلا أن يشاء الله - في تزكية النفس وتدسيسها
لا تصدر من العبد إلا بمشية الله تعالى - أما نفس الميل إلى الشيء فهو
مسند إلى العبد وبدونه قد يكون من الله وأخرى وهي أيضا مخلوقة
لله تعالى - لكن الميلان هو الأصل في باب الثواب والعقاب وتمام هذا
القول بنقضه وقضيضه ذكرناه في محله - كذبت ثمود بطغويها
قرأ الجمهور بطغواها بفتح الطاء وهو مصدر من الطغيان - وقرأ
الحسن بضم الطاء كالرجعى - قال الزجاج أصل طغواها طغياها لأن
فعلى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم واوا ليفصل بين
الاسم والصفة تقول تقوى وأنها من تقيت والتقوى وهي من
بقيت - وقالوا امرأة خزيا لأنه صفة - أقول وقوله بطغيا - قال
أبو بكر الطغيا البغي والكفر والشد -

وإن ركبوا طغياهم وضلالهم　　فليس عذاب الله عنهم بلابث

فاختير لذلك والمعنى أنّ ثمود كذّبوا بالله ورسوله بطغيانهم في نعم الدنيا ونسوا الله فاهلكهم الله - إذ انبعث أشقٰها - يقال انبعث فلانٌ لشانه اذا ثار ومضى ذاهبًا لقضاء حاجته اي خرج لعقر الناقة - والذاهب لاذ كذّبت - والمراد بالأشقى قدار بن سالف قال ابو حيّان وقد يراد به الجماعة - لان افعل التفضيل اذا اضيفت الى معرفةٍ جاز افراده وان عنى به جمعٌ - انتهى - فقال لهم رسول الله - الضمير في لهم يرجع الى ثمود - وقيل يجوز ان يعود على الأشقى اذا اريد به معنى الجمع - والمراد برسول الله صالح عليه السلام - ناقة الله - قرأ الجمهور ناقة الله بالنصب وهو منصوب على التحذير اي اتقوا ناقة الله - وهو قول الفرّاء - قال الزجّاج ذروا ناقة الله - وسقيٰها معطوف على قوله ناقة الله - اي ذروا اسقيايا ولا تخفروا واعهدكم وهوان لها شرب يوم ولهم شرب يوم - الشقيُ مصدرٌ والسّقيا اسمٌ - فكذّبوه - تحذيره عليه السّلام - فعقروها - اي قتلوها قال الفرّاء عقرها اثنان منهم - اقول وكذا روى احمد بن حنبل في مسنده - فدمدم عليهم ربهم - قرأ الجمهور فدمدم عليهم - وابن الزبير فدهدم بهاءٍ بينهما - يقال دهدم الشئ اذا قلب بعضه على بعض - وهذه قراءة شاذة قال ابن الانباري دمدم اي غضب وقال ابو زيد معناه دمر ومنه قول الاعشى -

ساق شعري لهم اقافية وعليهم صار شعري دمدمه

وقال بعض المفسرين معنى دمدم ارجف الارض بهم - وقال ابو اسحٰق معناه اطبق عليهم العذاب يقال دملمت على الشئ اي اطبقت عليه

وكذالك و مدمت عليه القبر اي سوّيت عليه - قال صاحب الصحاح معناه الزق عليهم يقال دملمت الشئ اى الزقته بالارض - بذنبهم اى بسبب عقر الناقة والاستكبار عن الله و رسوله - فسوّىها الضمير المؤنث يعود على ثمود وعشيرتهم اى فاهلكهم جميعًا وطحطح صغيرهم و كبيرهم و ذكورهم و نساءهم وهذا قول الفراء - قال المفسرون ولم يفلت منهم الا من كان مع صالح عليه السلام - ولا يخاف عقبٰها قيل والضمير في يخاف يرجع الى الاشقى الذي عقر ناقة الله فهو لا يخاف عقبى نفسه لانّه لم يلتفت الى وعيد الله - بل كذّب به - و قيل يعود على الدمدمة - اى لا يخاف عاقبة الدمدمة - او عاقبة هلاك ثمود فيبقى بعض الابقاء - وعلى هذا التقدير يرجع الضمير في قوله لا يخاف الى الله فيكون الخوف بالنسبة الى الله تعالى من الصفات السلبيّة - و قيل الضمير في لا يخاف يعود على صالح عليه السلام يعني انّ صالحًا عليه السلام - لا يخاف عاقبة اهلاك قومه لانّه قد انذرهم قبل و الظاهر انّ في قول الاول والثالث انتشار الضمائر لان فاعل دمدم هو الله تعالى - و فاعل لا يخاف صالح عليه السلام - فالقول الثاني هو الاولى - وهو قول اكثر المفسرين وهذه الجملة حال من فاعل دمدم - قرأ الجمهور بالواو ونافع وابن عامر بالفاء اى فلا يخاف عقبٰها - تمّ تفسير هذه السورة فالحمد لله ربّ العالمين - والصلوة على محمّد سيد المرسلين وعلى اله الكاملين المكملين وعلى اصحابه الفاضلين المتفضلين

سورة الليل مكية وآياتها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ - اقسم الله سبحانه بالليل الذي فيه سكون كل حي ان يتردد في النهار لتحصيل ما يفتقر اليه ومعمول يغشى محذوف وهو النهار او كل ما يواريه بظلامه والليل عبارة عن كون المخروط الذي هو الظل في الارض وبين الشمس يحجبانه الظلمة على وجه الارض فهذه الظلمة تعبر بالليل - وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ بطلوع الشمس او بزوال الظلمة وتجلى النهار اى انكشف. وفي الجمهور تجلى فعلا ماضيا - فاعله ضمير النهار - وقرئ تُجَلّٰى بضم التاء وسكون الجيم اى الشمس - وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ - اختلف في ما فقيل مصدرية وقيل بمعنى الذي - والظاهر عموم الذكر والانثى وقيل يراد بهما بنو آدم - وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي والحسن هما آدم وحواء - والثابت في مصاحف الامصار وهي القراءة المتواترة وما خلق بجر الذكر والانثى كما روي في الصحيحين وهذه القراءة نقلت من احاد قال ابو حيان وذكر ثعلب ان من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر الذكر - قال صاحب الكشاف وعن الكسائي وقرأ مخرجه على البدل من ما على تقدير والذي خلق الله - وقد يخرج على توهم المصدر اى وخلق الذكر والانثى كما قال الشاعر -

تَطُوفُ الْعُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ ... كَمَا طَافَ بِالْبِيعَةِ الرَّاهِبُ

يجرّ الراهب على ثوبه لنطق بالمصدر اى كطواف الراهب بالبيعة
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى - جمع شتيت - من شَتَّ الامر يشتّ شتًّا وشتاتًا
تفرّق - والشتيت المتفرّق - ومنه قول رُوبَة يصف ابلاً -

جَاءَتْ مَعًا وَاطْرَقَتْ شَتِيتًا ۞ وَهِيَ تُثِيرُ السَّاطِعَ السَّخْتِيتَا

وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض وسعيكم مصدر
مضاف فيفيد العموم فهو جمع معنىً اى مساعيكم مختلفة فى اكتساب
جزائكم - اى ان سعى لانقاذ نفسه عن النار فلعلّ الله ينقذه عنها
وان سعى فى اقتحام نفسه فى النار - فيدخله الله فيها كما روى
ابو مالك الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - انه قال
كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها او موبقها - اى مهلكها
والمراد بسعى الانسان فى الشيء ارادته فيه لانّ كل شئ مخلوق
لله تعالى كما قال الله تعالى - خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ - اى خلقكم وخلق
اعمالكم لانّ الخالقية صفة تعالى على التحقيق ولا يتصرف بها غيره تعالى
قطعًا - فَأَمَّا مَنْ أَعْطٰى - اى انفق ماله فى سبيل الله بخلوص النية
اختلف فى شان نزول هذه الاية - فقال بعضهم انها نزلت فى ابى بكر
الصديق رضى الله عنه لانه كان يعتق العبيد الذين اسلموا وكانوا
فى ايدى الكفار وهم يعذبونهم بكونهم مسلمين - وهو قول
عبد الله بن ابى اوفى وقال السدى نزلت فى ابى الدحداح الانصارى
رضى الله - انه كان يعلق بالمسجد صدقةً للفقراء والايتام وروى
انّ النخلة من الجنة كانت اغصانها تشرف على بيتهم فيسقط منها
رطب فيأخذه الايتام فيمنعهم المنافق - فجاء ابو الدحداح وقال

یا رسول اللہ انا اشتری النخلۃ التی فی تلک الجنۃ بھذہ فاشتراہ
واجازالاتیام من اکل رطبھا - وحذف مفعول اعطی لان التنابینی
علی فعل العطاء ولا یحتاج فیہ لبیان المعطی لہ واختلف فی مقدار
العطاء فقیل المراد بہ انفاق جمیع المال کانفاق ابی بکر الصدیق
رضی اللہ عنہ - وقیل المراد بہ بعضہ کانفاق غیرہ من الصحابۃ
رضی اللہ عنہم - وَاتَّقٰى - محارم اللہ - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنٰى - ای ایقن
بالحسنی قال المجاھد والمراد بالحسنی الجنۃ - وقال ابن عباس رضی اللہ
عنہما - والضحاک ھی کلمۃ لا الہ الا اللہ - فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْيُسْرٰى - قال
الفراء ای سنھیہ قال العرب قد یسرت الغنم اذا ولدت او تھیات
للولادۃ للخصلۃ التی ھی حسنی والمراد بہا طاعۃ اللہ ومرضاتہ
قال القسطلانی والسین فی کلا المو ضعین للتلطیف - وَاَمَّا مَنْ
بَخِلَ - ولم ینفق مالہ فی سبیل اللہ - وَاسْتَغْنٰى - عن الاخرۃ ورضی
عن شھوات الدنیا - وَكَذَّبَ بِالْحُسْنٰى - ای بالجنۃ او بکلمۃ
لا الہ الا اللہ - فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْعُسْرٰى - فسنھیئہ للخطۃ العسری
والمراد بہا الشر الذی یوصل عاملہ الی عذاب اللہ - قال الفراء
لقائل ان یقول کیف قال ذالک وھل فی العسری تیسیرا - قیل فی جوابہ
انہ اذا کان معنی التیسیر التھیۃ وذلک یکون فی الیسری والعسری
ویؤیدہ ما قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم اعملوا فکل میتسر
لما خلق لہ - فالایمان میسر للمؤمن والکفر للکافر - وَمَا يُغْنِيْ عَنْهُ
شیئا - مَالُهٗ - الذی کان یبخل بہ - اِذَا تَرَدّٰى - یقال ردی فی
البئر تردی اذا سقط - وقیل معناہ مات وقال بعضہم اذا تردی

ای اذا سقط فی النار و هو قول قتادة و ابو صالح - و قال قوم معناه تردّی فی اکفانه - من الردی - و منه قول مالک بن الریب
وَ خَطَّا بِاَطْرَافِ الْاَسِنَّةِ مَضْجَعِيْ ۔ وَ رُدَّا عَلٰى عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا
اِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدٰى - و المراد بالهدایة هٰهنا الایصال الی البغیة - ای انا نرشدکم الی الهدی - قالت المعتزلة اِنّ کلمة علی للوجوب فدلّ علی انّها واجبة علی الله تعالٰی - اقول ان الوجوب بالمعنی المتعارف و هو الذی یستحق تارکه الذم و الذی یستحق تارکه العذاب فلیس شیئ علی الله تعالٰی - واجب بهذین المعنیین لانّ الباری عزّ اسمه عندنا فاعل مختار فلا یجب علیه شیئ من الاشیاء فالوجوب بمعنی اصلاح العبد ایضا لا یجب علیه قال الزجاج علینا ان نبیّن طریق الهدی من طریق الضلال - قال الفراء من سلک الهدی فعلی الله سبیله لقوله و علی الله قصد السبیل - و قال الفراء ایضا اِنّ عَلَیْنَا الْهُدٰی و الاضلال فحذف الاضلال - کقوله سرابیل تقیکم الحرّ ای الحرّ و البرد
وَ اِنَّ لَنَا لَلْاٰخِرَةَ وَ الْاُوْلٰى - ای نحن مالک الدین و الدنیا فنتصرف فیهما کیف نشاء - فالهدایة الی الدین و المیل الی الدنیا لیس لا بقدرتنا و ارادتنا و العبد لیس فی قدرته الا اکتساب ما قدرناله فان اراد الخیر و الهدی ذلک قدرتنا فاهتدی و اختار الصراط المستقیم الذی یوصله الی الجنة و نعیمها و ان مال الی الضلال و العمی ادرکه قدرتنا فغوی - و اتی السبیل الذی یودیه الی نار الجحیم - فَاَنْذَرْتُكُمْ ای فخوفتکم بالانذار - نَارًا تَلَظّٰى - الانذار التخویف بشیئ یوجد فی
[illegible]

على الاصل اللَّظَى النار وقيل اللهب الخالص قال الافوه -
فِي مَوْقِفٍ ذَرِبَ الشَّبَا وَكَأَنَّمَا فِيهِ الرِّجَالُ عَلَى الأَطَائِمِ وَاللَّظَى
وتلظى النار تلهبها - ونارٌ تلظى اي تتلهب وتتوقد - لا يصليها - صلى يصلى اي دخل يدخل - إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى قال الفراء معناه إلا من كان شقيا في علم الله انتهى - ويدل هذه الآية ان النار لا يصلاها احد من الناس إلا من يوجد فيه هاتان الصفتان احداهما التكذيب وثانيتهما التولى فمن كان فيه هاتان الصفتان فانه هو الاشقى - فليس مكانه الا النار - ومن وجد فيه احداهما فهو ايضا في النار لان كل واحدة منهما توجب دخول النار - ومن لم توجدا فيه لم يدخل النار لانتفاء علة موجبة له
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى - قال اكثر المفسرين ان المراد به ابوبكر الصديق رضى الله عنه واليه ذهب الواحدي في تفسيره - وقالت الشيعة انها نزلت في شان على بن ابى طالب رضى الله عنه - والدليل عليه قوله تعالى - ويؤتون الزكوة وهم راكعون - فقوله الاتقى الذى يؤتي مَالَهُ يَتَزَكَّى اشارة الى ما في تلك الآية من قوله يؤتون الزكوة وهم راكعون - قال الامام الرازي في جوابه ان المراد من هذا الاتقى افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم - فالاكرم هو الافضل والامة مجتمعة على ان افضل الخلق بعد رسول الله ابوبكر الصديق رضى الله عنه فيكون هو الاتقى انتهى - اقول والحق ان كل واحد من هذين القولين باطل - لانه لو كان كذلك لما جنب النار الا على رضى الله عنه

اما الباقون من الصحابة رض و اهل بیته صلی الله علیه وسلم فانهم لا یجتنبون النار - بل یدخلونها هذا على تقدیر ان یراد بالاتقی ابو بکر الصدیق رضی الله عنه لوجب ان لا یجتنب النار الا هو - و اما ما عداه من الصحابة واهل البیت فانهم لا یجتنبون النار - والعجب من الامام الرازی رض کیف قال مثل هذا القول مع تبحره - و اما ما قال الامام الرازی رض ان افضل الخلق بعد النبی هو ابو بکر الصدیق رض فهو ایضا باطل لانه قد تقرر ان عیسى علیه السلام - ینزل فی هذه الامة قرب قیام الساعة ولا مریة فی کونه رسولا وخلیفة الله على الامة المحمدیة وان کان لا یبعث بکونه رسولا بل یبعث بکونه تابعا للنبی صلی الله علیه وسلم - الا انه اکرم الامة واشرفها بکونه خلیفة الله وظاهر انه بکونه خلیفة الله معصوما عن الخطاء فلابد ان یکون علیه السلام - افضل من ابی بکر الصدیق رضی الله عنه - لکونه خلیفة رسول الله وعدم عصمته - قال الامام الرازی رض والدلیل على کونه افضل الخلق قوله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ - اقول ان المخاطبین اما ان یکونوا صحابة رسول الله صلی الله علیه وسلم - فیلزم ان یکون الدلیل اخص من الدعوى وهو باطل و اما ان یکونوا هم المؤمنون الى یوم القیامة فیلزم ان یکون الاکرم وهو ابو بکر رضی الله عنه افضل من عیسى علیه السلام - و المهدی علیه السلام - لانهما یبعثان فی هذه الامة وهما بکونهما خلیفتین لله تعالى افضل الخلق بعد رسول الله صلی الله علیه وسلم - فلا یجوز ان یکون ابو بکر رض افضل الخلق والحق ان الانبیاء علیهم السلام اکرمون ولیسوا افضل من رسول الله صلی الله علیه وسلم - لا [illegible] افضل

الخلق بالاجماع هو نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فبطل أن يكون هذا الاتقى افضل الخلق - فما ذهب اليه الامام الرازيؒ وغيره باطل قطعا - والصحيح ان الاتقى عام يتناول كل من يؤتى الزكاة ويتزكى ماله والله اعلم - الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ - اي يعطي ماله في وجوه الخير والانسب أن يقال يعطي ماله يتزكى و يتزكى في محل الحال - قرأ الجمهور يتزكى من تزكى يتزكى - وقرأ علي ابن الحسين رضي الله عنهما - بادغام التاء في الزاء - وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ - اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها أن تُجْزَىٰ - اي تجازي - إِلَّا ابْتِغَاءَ - اي طلب - وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ استثناء منقطع اي لايجزى الا من أتى ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى بخلوص النية وصدق الارادة لا على قصد الاجر والثواب

قرأ الجمهور ابتغاء بالنصب والمد وقرئ بالقصر - وقال الفراء ويجوز الرفع في ابتغاء على انه بدل من محل قوله من نعمة - وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ بما نعطيه من الاجر الجزيل واللام هي الموطئة للقسم اي بالله لسوف يرضى

تم تفسير هذه السورة فالحمد لله الودود - والصلوة على من هو محمد ومحمود - مشفع المذنبين في يوم الموعود وعلى اله واصحابه الذين كانوا حوله في المقام المحمود

ﻧ

سُوْرَةُ الضُّحٰی هِیَ اِحْدٰی عَشَرَةَ اٰیَةً وَهِیَ مَکِّیَّةٌ بِلَا خِلَافٍ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَالضُّحٰی - ای اقسم بالضحی وھو وقت ارتفاع الشمس وصدر النہار وقیل ان الضحی من طلوع الشمس الی ان یرتفع النہار وتبیض الشمس جدًا ثم بعد ذلک الضحاءُ الی قریب من نصف النہار - قال الفراءُ وضحاھا نہارھا وکذلک قولہ تعالی والضحی واللیل اذا سجی ھو نہارہ کلّہ - قال الجوھری الضحی مقصورۃ تؤنث وتذکر فمن انث ذھب الی انہا جمع ضحوۃ ومن ذکر ذھب الی انہ اسم علی فُعَل مثل صُرَدٍ ونُغَر وھو ظرف غیر متمکن - وبہ سمیت صلٰوۃ الضحی - قال عمر بن الخطاب رضی اللّٰہ عنہ اضحوا بصلٰوۃ الضحی ای صلّوھا لوقتہا ولا تؤخروھا الی ارتفاع الشمس - وَاللَّیْلِ اِذَا سَجٰی - قال الفراءُ معناہ اذا اظلم ورکد فی طولہ کما یقال بحر ساج ولیل ساج ای اذا اظلم ورکد ومعنی رکد سکن وھو قول ابن الاعرابی ومنہ قول الاعشی

فَمَا ذَنْبُنَا اِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّکُمْ وَبَحْرُکَ سَاجٍ لَا یُوَارِی الدَّعَامِصَا

ومنہ حدیث علی المرتضی رضی اللّٰہ وکرّم وجہہ لا لیل داج ولا بحر ساج ای ساکن - قال الزجاج سجا سکن - وانشد للحارثی

یَا حَبَّذَا الْقَمْرَاءُ وَاللَّیْلُ السَّاجْ وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ النَّسَّاجْ

قال الاصمعی سجوّ اللیل تغطیۃ للنہار - مثل ما یسجّی الرجل بالثوب ویقال لیلۃ ساجیۃ اذا کانت ساکنۃ البرد والریح وامراءۃ

ساجیۃٌ و عین ساجیۃٌ و سجواء ای فاترۃ الطرف ساکنۃٌ - وجاء فی الحدیث لمّا مات النبیّ علیہ الصّلاۃ والسّلام - سُجّی ببردحبرۃ ای غُطّی

ای اقسم باللیل الذی اذا اظلم وسکن - مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلٰی قال المفسّرون ان الیھود سألت رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیہ وسلم عن الروح وذی القرنین واصحاب الکھف فقال ساُخبرکم غدًا ولم یقل ان شاء اللّٰہ فاحتبس عنہ الوحی قیل اثنا عشر یومًا وقیل خمسۃ وعشرون یومًا فاشھر ابطاء الوحی بین الکفّار فقالوا قد قلاہ اللّٰہ وودّعہ فانزل اللّٰہ تعالیٰ ھذہ الاٰیۃ - وروی عن ابن عباس رضی اللّٰہ عنھما - ابطاء الوحی مرّۃ علی الرّسول علیہ الصلاۃ والسّلام وھو بمکّۃ حتی شقّ ذلک علیہ - فقالت امّ جمیل امرأۃ ابی لھب یا محمّد ما اریٰ شیطانک الّا ترکک فنزلت وقال زید بن اسلم انّما احتبس عنہ جبریل علیہ السلام لجرو کلب کان فی بیتہ - قرأ الجمھور ما ودّعک بتشدید الدّال ای ما ترکک والوَدْعُ الترک والتودیع مبالغۃ فیہ - ومنہ قول الشاعر

وَکَانَ مَا قَدَّمُوْا لِاَنْفُسِھِمْ اَکْثَرَ نَفْعًا مِنَ الَّذِیْ وَدَعُوْا

وما قال ابو حیّان فی تفسیرہ وَاسْتَغْنَتِ العَرَبُ فی فصیح کلامھا بتَرَکَ وَدَعَ وَوَذَرَ وعن اسم فاعلھما بتارک وعن اسم مفعولھما بمتروک وعن مصدرھما بالترک وھو منظور فیہ اقول قال صاحب اللسان وفی حدیث ابن عباس رضی اللّٰہ عنھما - ان النّبی صلی اللّٰہ علیہ وسلم قال لینتھینّ اقوامٌ عن ودعھم الجمعۃ لیختمنّ علی قلوبھم عن ترکھم ایاھا - وقد جاء فی بیت انشدہ ابو علی الفارسی فی البصریات

فَأَيُّهُمَا مَا أَتْبَعَنَّ فَإِنَّنِي حَزِينٌ عَلَى تَرْكِ الَّذِي أَنَا وَادِعُ

وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

وَسَرَتِ الْمَطِيَّةُ مَوْدُوعَةً تُضْحِي رُوَيْدًا وَتُمْسِي رُوَيْدًا

وهذه الشواهد تدل على ان الودع ومشتقاته من الفاعل والمفعول كانت مستعملة وكان استعمالهم صحيحا في القياس والوجه ان اكثر كلامهم قد ضاع في الحروب والاغارات والارتحال من مربع الى مربع فبقي منه اقل قليل - ولهذا قال ابن الاثير ان المصدر ومشتقاته تستعمل قليلا - فما زعم ابو حيان وبعض النحاة ان الودع وبعض مشتقاته اماتها العرب ضعيف ومن يكون افصح العرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال عن ودعهم الجمعة - ولذلك قرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وودعك بالتخفيف والقلى البغض يقال قلاه يقليه قلى - وحكى سيبويه قلى يقلى قال صاحب اللسان وهو نادر واحكى ابن جنى قلاه وقليه قال دأري يقلي انما هو على قلى بكسر اللام - انتهى ويقال في المصدر قلاء بالمد ومنه قول نصيب -

عَلَيْكِ السَّلَامُ لَا مُلِلْتِ قَرِيبَةً وَمَا لَكِ عِنْدِي إِنْ نَأَيْتِ قَلَاءُ

قال الفراء وقوله ما قلى التابع الذي يكون معه ولذلك قال المشركون قد ودع محمدا ربه وقلاه - فانزل الله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اراد وما قلاك فالقى الكاف قد اعطيتك واحسنت والمعنى واحسنت اليك فيكتفى بالكاف الاولى من اعادة الاخرى قال الزجاج ومعناه لم يقطع الوحي عنك ولا ابغضك - وللاخرة

خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْاُوْلٰى - ای من الدنیا - وذلک لان الآخرة باقیة خالصة عن الشوائب والمکارہ والدنیا مملوة بالاکدار والمضار قال صاحب الکشاف فان قلت کیف اتصل قوله وللآخرة خیر لک من الاولی بما قبله قلت لما کان فی ضمن التودیع والقلی ان الله مواصلک بالوحی الیک وانت حبیب الله ولا ترى کرامة اعظم من ذلک ولا نعمة اجل منه اخبرہ ان حاله فی الآخرة اعظم من ذلک واجل وهو السبق والتقدم علی جمیع انبیاء الله ورسله وشهادة امته علی سائر الامم - ورفع درجات المؤمنین واعلاء مراتبهم بشفاعته - وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى - قال ابو حیان واللام فی قوله للآخرة ولسوف لام ابتداء اکدت مضمون الجملة ای ولانت سوف یعطیک وهو مبتدأ - انتهى - وجمعها مع سوف للدلالة علی ان العطاء کائن لامحالة وان تاخر والمراد بالعطاء عطاء الدارین - اما العطاء فی الدنیا فهو ظهور امرہ واعلاء دین الاسلام - وفتح مکة وفتوح البلدان والامصار بعد وفاته مثل روم وفارس وغیرهما - واما فی الدین فهو اجابة شفاعته فی حق اهل الکبائر من امته وتقدمه علی سائر الانبیاء والمرسلین علیهم الصلاة والسلام - وارتقائه من مقام الحامدیة الی المقام المحمود ولیس فوقه مقام عند اهل الحق والمحققین - ثم ذکر الله سبحانه ما افاض علیه من نعمه السابغة - اَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا فَاٰوٰى - الوجود بمعنی العلم ای الم یعلمک یتیما فاوی فی فضله ورحمته او بمعنی المصادفة ای الم یصادفک یتیما وعلی هذا

يكون يتيما حاله - والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات
وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان
سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته
هذا ما ذكره صاحب الكشاف - قرأ الجمهور فاوى يقال اوى
يؤدى ايواء وابو الاشهب اوى ثلاثيا بمعنى رحم - قال الشاعر

أَرَانِيْ وَلَا كُفْرَانَ لِلّٰهِ آيَةً ۔ لِنَفْسِيْ لَقَدْ طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيْلِ

اراد اويت لنفسي اية اى رحمتها ورققت لها وهو اعتراض
غير منيل اى مقلق من الفزع - وقال ذو الرمة

عَلٰى اَمْرِ مَنْ لَمْ يُشْوِنِيْ ضُرُّ اَمْرِهٖ ۔ وَلَوْ اَنَّنِيْ اَسْتَاوِيْهُ مَا اَوٰى لِيَا

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدٰى - قال الزجاج معنى ضالا لم تكن تدرى
القران ولا الشرائع فهداك لذلك وليس الانحراف به عن الحق
فهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان - قال
الفراء معناه وجدك في قوم ضلال فهداهم الله بك وهو يقول
الكلبي والسدي - وقيل ضلاله من حليمة مرضعته - قال ابو حيان
معناه على حذف المضاف اى وجد قومك ضالا - نحو قوله تعالى
واسئل القرية - قال الامام الرازي وروي مرفوعا انه عليه
الصلاة والسلام قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي ضائع
كاد الجوع يقتلني فهداني الله ذكره الضحاك وذكر تعلقه باستار
الكعبة وقوله -

يَا رَبِّ رُدَّ وَلَدِيْ مُحَمَّدًا ۔ اُرْدُدْهُ رَبِّيْ وَاصْطَنِعْ عِنْدِيْ يَدًا

فما زال يردده عند البيت حتى اتاه ابو جهل على ناقته

بيان قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى

و محمد بَیْنَ یدَیْه و هو یقول ما ذا ترٰی من ابنك فقال عبد المطلب
و لِمَ قال انّی انخت الناقة و ارکبته من خلفی فابت الناقة ان تقوم
فلمّا ارکبته امامی قامت الناقة - قال ابن عباسؓ ردّه الله الی جدّه
بید عدوّه کما فعل بموسٰی حین حفظه علی ید عدوّه اقول والضلال
هو النسیان کما قال الله تعالٰی مِمّن ترضون من الشهداء ان تضل
احداهما فتذکر احداهما الاُخرٰی معناه ان تنسی و هذا قول الزجّاج
و الاٰیة تدل علی انّ سبحانه تعالٰی تعاهد اصلاح محمد صلی الله علیه
و سلم - و تربیته علی نفسه فلذلك قال اَلَمْ یجدك یتیماً فاٰوٰی
ای جعل له ماوی عنده قربّاه باحسن تربیة واصلحه اصلح تهذیب
ثم قال وَوَجدكَ ضالاً ای ناسیاً کُنهَ نفسه لانّه صلی الله علیه وسلم
لم یکن عارفاً انّ نفسه ازکی و ابهی و اصفی من نفوس جمیع الانبیاء
و الرسل علیهم السّلام - حتی انّها کانت مرأۃً لتجلیات صفاته
بل لذاته فهداه رب العالمین الی معرفة نفسه حتی توصله الی
معرفة ذاته تعالٰی - و الیه اشار النبی صلی الله علیه وسلم من عرف
نفسه فقد عرف ربّه - وَ وَجدكَ عَائِلاً فَاَغْنٰی - و العائل
هو الفقیر - و منه قول جریر -

اَللّٰهُ نَزَّلَ فِی الْکِتَابِ فَرِیْضَةً لِابْنِ السَّبِیْلِ وَلِلْفَقِیْرِ الْعَائِلِ

وَجاءَ فی الحدیث انّ الله یُبغِضُ العَائِلَ المختال - من عَالَ یعیلُ
عَیلَةً - ای افتقر یفتقر افتقاداً و منه قوله تعالٰی - وَاِنْ خِفْتُمْ
عَیْلَةً - قال اُحَیحَة -

وَمَا یَدْرِیْ الْفَقِیْرُ مَتٰی غِنَاهُ وَمَا یَدْرِی الْغَنِیُّ مَتٰی یَعِیْلُ

ای یفتقر - قال مقاتل فاغنیٰ رضاك بما اعطاك من الرزق وقیل اغناك بالقناعة والصبر - وقیل بالکفاف - اقول ووجدك عائلاً ای محتاجاً و ذلك لانّ کل ممکن محتاج الی من هو جاعله ومربیه فاغناك ای اوصلك من مقام العیلة والفقر الی مقام الغنی حتی جعلك غنیاً فهذه الایة تدلّ علی انّ الرسول صلی الله علیه وسلم عروجاً من الامکان الی مقام الغنی والصمدیة وهذا منتهی سیر الممکن وعروجه والله اعلم بالصواب - فاما الیتیم فلا تقهر قال مجاهد لا تحتقر الیتیم فقد کنت یتیماً - قال الفرّاء والزجّاج لا تقهره علی ماله فتذهب بحقه لضعفه - قال الاخفش لا تسلط علیه بالظلم ادفع علیه حقّه واذکر یتمك - قرأ الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود رضی الله عنه بالکاف ای فلا تکهر - قال ابو حیّان وهی بمعنی قرأة الجمهور - وزعم یعقوب انّ کافه بدل من قاف تقهر - ولکهر هو الانتهار جاء فی حدیث معاویة بن الحکم السّلمی انّه قال فما رأیت معلّماً احسن تعلیماً من النبی صلی الله علیه وسلم - فبابی هو وامّی ما کهرنی ولا شتمنی ولا ضربنی - قال ابن الاثیر هکذا یروی فی کتب الغریب - ومنه شعر زید بن الخیل -

وَلَسْتُ بِذِیْ کَهْرُوْرَةٍ غَیْرَ اَنَّنِیْ اِذَا طَلَعَتْ اُوْلَی الْمُغِیْرَةِ اَعْبَسُ

واما السائل فلا تنهر - النّهر هو الزجر والمخاطب فی هاتین الایتین وان کان الرسول صلی الله علیه وسلم - الا انّ هذا الحکم عام یتناول الامّة - واما بنعمة ربك فحدّث قال الاکثر انّ المراد بالنعمة القراٰن والیه ذهب الفرّاء

وقال الزجاج هي النبوة وعلى الاول يكون اقرء القرآن على الناس اهد هم اليه - وعلى الثاني حدث الناس بانك نبي وبلغهم ما انزل الله اليك من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد - والزواجر والمواعظ - قال صاحب الكشاف - المراد بالتحديث بالنعم شكرها - واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك انتهى - اقول والآية تدل على ان التحديث بنعمة الله لولا الرياء والسمعة فيه امر مشروع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم - اعطيت جوامع الكلم واوتيت علم الاولين والاخرين - وقال انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال انا اكرم الاولين والاخرين وغيرها - فلا اعتراض على الصالحين الذين حدثوا بما اعطاهم الله من المراتب العالية

تم تفسير هذه السورة بعون الله الذي
هو الظاهر والباطن والصلوة
على النبي الذي بعث الى الانس والجن وعلى اله و
اصحابه الذين هم سادة لكل
مسلم ومومن

سورة الم نشرح هي ثمان آيات مكية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ - الهمزة للانكار - فاذا انتفى يكون المعنى قد شرحنا لك صدرك - يقال شرح الشئ يشرحه شرحا - اى فتحه وبيّنه وكشفه - قال الراغب واصل الشرح بسط اللحم يقال شرحت اللحم ومنه شرح الصدر وهو بسطه بنور الهي وكشف قدسي - ومنه قوله تعالى - فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام - اى يبسطه ويلقي فيه نورا يهدى به الى الاسلام - ولذلك قال الشيخ الاكبر نور العقل لا يهدى العاقل الى تصديق وحدانية تعالى والايمان بانبيائه ورسله عليهم السلام - بل يهتدى اليه بنور يلقيه الله تعالى بفضله في نفس عبده فيؤمن بالله ورسوله كما قال الله تعالى - افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه - وقيل شرح الله صدره اى اعده الله لقبول الخير - وفيه اشارة الى شق جبريل عليه السلام صدره في صباه او في ليلة المعراج وغسله بماء زمزم واذالته ما فيه من الميل الى الصفات الحيوانية والقائه منها وملاءه علما وايمانا - وانما قال صدرك ولم يقل قلبك لان محل الوسوسة الصدر ومنه قوله تعالى - يوسوس في صدور الناس - فلذلك ناسب ان يقال صدرك - قال الامام الرازي

يقصده الشيطان ويجئ الصدد الذي هو حصن القلب فاذا وجد فيه مسلكًا اغار فيه ونزل جنده فيه وبث فيه الهموم والحرص فيضيق القلب ح ولا يجد للطاعة لذّة ولا للاسلام حلاوة واعلم انّ الله تعالى على محمّد صلى الله عليه وسلم لطفًا منه يدًا او فضلًا واسعًا لانّه تعالى شرح صدره وملأه نورًا وحكمة وهذا فضل خُصّ به بين الانبياء عليهم السّلام - لانّ موسى عليه السّلام مع كونه نبيًا جليلًا مرسلًا لم يعطه الله هذا الكرامة حتى دعا ربّه وقال رب اشرح لي صدري ويسّر لي امري - قرأ الجمهور الم نشرح بجزم الحاء - وقرأ ابو جعفر بفتحها وخرّجه ابن عطية في كتابه على انّه الم نشرحن فابدل من النون الفًا ثم حذفها تخفيفًا - كما قال الشاعر

اَضْرِبَ عَنْكَ الْهُمُوْمَ طَارِقُهَا ضَرْبَكَ بِالسَّيْفِ قَوْنَسَ الْفَرَسِ

وقال صاحب الكشاف لعلّه ابا جعفر اشبع الحاء في مخرجها فظنّ السامع انّه فتحها - انتهى قال ابو حيّان ولهذه القراءة تخريج حسن من هذا كلّه وهو انّه لغة لبعض العرب حكاها - اللحياني في نوادره وهي الجزم بلن والنصب بلم - وانشد قول عائشة بنت الاعجم تمدح المختار بن ابي عبيد - وهو القائم بثار الحسين ابن على رضى الله عنهما -

قَدْ كَانَ سَمْكُ الْهُدٰى يَنْهَدُّ قَائِمُهُ حَتّٰى اُتِيْحَ لَهُ الْمُخْتَارُ فَانْعَمَدَا
فِيْ كُلِّ مَا هَمَّ اَمْضٰى رَأْيَهُ قُدُمًا وَلَمْ يُشَاوِرَ فِيْ اِقْدَامِهِ اَحَدًا

نصب لشاور - اقول واما قال صاحب الكشاف اوحه وتخريج

القراءة على لغة نادرة غیر مستحسن - والمعنى قد شرحنا لك صدرك - وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ - الوزر بكسر الواو الثقل والذنب وكذا الوزد بفتح الواو يقال وزر وزرا اذا حمل ما يثقل الظهر من الاشياء المثقلة ومنه قوله تعالى - ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الاخفش اى نفس آثمة ذنب نفس اخرى - والوضع الحط - اى حططنا عنك ثقلك ما سلف منك قبل النبوة من الزلات ومثله قوله تعالى - لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ - الَّذِيْ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ - قال ابو حيان قال اهل اللغة يقال انقض الحمل ظهر الناقة اذا اسمعت له صريرا من شدة الحمل - ومنه قول عباس مرداس

وَأَنْقَضَ ظَهْرِيْ مَا تَطَوَّيْتُ مِنْهُمُ ... وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ مُشْفِقًا مُتَحَنِّنًا

فيكون المعنى اى جعله يسمع له نقيض من ثقله - قال مجاهد والاصل فيه ان اذا اثقله الحمل سمع له نقيض يقال قد انقض ظهر فلان اذا سمع له نقيض وكل صوت لمفصل واصبع ورحل نقيض ومنه قول الشاعر

وَحَرْنٌ تُنْقِضُ الْاَضْلَاعُ مِنْهُ ... مُقِيْمٌ فِي الْجَوَانِحِ لَنْ يَزُوْلَا

وقال ذو الرمة

كَاَنَّ اَصْوَاتَ مِنْ اِيْغَالِهِنَّ بِنَا ... اَوَاخِرِ الْمَيْسِ اِنْقَاضُ الْفَرَارِيْجِ

اراد كان اصوات اواخر الميس انقاض الفراريج - اذا اسرعت الركاب بنا والايغال الاسراع - واعلم ان الذنب هل يقع من الانبياء ام لا - قال العلماء اجمع اهل الملل والشرائع كلهم على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب اذ لو جاز عليهم التقول

لادّی الی ابطال دعوتهم فلا فائدۃ فی بعثتہم۔ واختلف فی صدورہ سھوًا ونسیانًا فقال یجوز وقال بعضہم لا یجوز والیہ ذھب الاستاذ ابو اسحٰق وغیرہ من الائمۃ۔ وھو الصحیح واما ما سوی فھو اما ان یکون کفرًا او یکون غیرہ۔ امّا الکفر فاجمعت الامۃ علی عصمۃ الانبیاء منہ والشیعۃ یجوّزون اظھارہ تقیۃ عند خوف الھلاک وھو باطل لانّہ یفضی الی ترک تبلیغ الرسالۃ فانقلب الموضوع امّا غیر الکفر فھو اما کبائر واما صغائر وکل منہما اما ان تکون عمدًا او امّا ان تکون سھوًا۔ امّا الکبائر فلا تصدر منہم عند الجمھور من اھل السنّۃ وعند المعتزلۃ لا عمدًا ولا سھوًا او امّا الصغائر ففیہ اختلاف قیل یجوز صدورھا وقیل لا یجوز والصحیح ان الصغائر لا یجوز ان تصدر منہم عمدًا امّا صدورھا سھوًا فھو جائز اتفاقا لاکنہم لا یستقرون علیھم بالالقاء والالھام۔ والصغائر الخسیسۃ کسرقۃ حبّۃ او لقمۃ فلا ینبغی صدورھا منہم لا سھوًا ولا عمدًا ھذا بعد ان یبعثہم اللہ واما قبل البعث فلا یمتنع ان یصدر منہم الکبیرۃ عقلاً وسمعًا ھذا مذھب اھل السنّۃ۔ وَرَفَعْنَا لَکَ ذِکْرَکَ فی الدنیا والاخرۃ اما فی الدنیا ففی الاذان والاقامۃ التشھد والصلوۃ والخطب وفی القران وتسمیتہ برسول اللہ ونبی اللہ وفی کتب الانبیاء الاولین وباشاعۃ دین الاسلام شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً وبانّہ تعالی وتقدس جعل اسمہ منضمًا باسمہ فی کلمۃ الشھادۃ۔ ولنعم ما قال حسان بن ثابت

رضي الله عنه في قصيدته -

اغرّ عليه للنبوّة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضمّ الاله اسم النبي مع اسمه ... اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمّد

اما في الاخرة فلكونه مبعوثًا في المقام المحمود - كما قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربّك مقامًا محمودًا - فَاِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا - قال الفرّاء والزّجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فينصرف الى الحقيقة فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئًا واحدًا - واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما غير الاخر - وزيّف الجرجاني هذا - اي قال اذا قال الرجل انّ مع الفارس سيفًا يلزم ان يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان - ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية - وجاء في الحديث لن يغلب عسر يسرين - فَاِذَا فَرَغْتَ - من تبليغ احكام القران فَانْصَبْ الى عبادة الله واجتهد فيها او اذا فرغت من فرضك فانصب الى النفل او اذا فرغت من المكتوبات فانصب الى التهجد وَاِلٰى رَبِّكَ فَارْغَبْ - الى ذكره وراقب - او فارغب الى فضله وكرمه - قرأ الجمهور فرغت بفتح الراء وابو السمال بكسرها وهي لغة قال صاحب الكشاف - ليست بفصيحة - وقرأ فانصب بسكون الباء - وقرأ اخرون من الامامية فانصِب بكسر الصاد بمعنى اذا فرغت من الرسالة فانصب خليفة - قال ابو حيّان

قال ابن عطية وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن علماء انتهى - وقرأ زيد بن علي فارغب امر من رغّب بتشديد الغين ومعناه فرغب الناس الى الله - وقال الزجاج معنى قوله فارغب اجعل رغبتك خصوصا الى الله وحده - اقول وهذه الاية تدل على التوكل وتفويض الامور الى الله جل شانه

فامر نبيه صلى الله عليه وسلم - والى ربك فارغب
ولا ترغب الى ما سواه - وقدم قوله والى
ربك لافادة الحصر كما في قوله
تعالى - اِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَاِيَّاكَ
نستعين - والله اعلم بالصواب - تم تفسير هذه السورة
بحمد الله وكرمه فالحمد لله رب العالمين والصلوة
على نبيه سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين

سورة التین ثمان آیات وهی مکیة عند الجمهور وهی مدنیة وقیل والاول هو الصحیح

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحیم

وَالتِّیْنِ - وفیه اقوال الاوّل هو التین الذی یاکله الناس غذاءً ودواءً وهو اطیب الفواکه واحلاها والذها اسرعها هضمًا الینها طبعًا یقوی الکبد وینقّی الکلیة وقیل یطوّل الشعر یاء من اکله من بلاء الفالج والاسترخاء - والثانی هو دمشق والزیتون فلسطین والثالث هو الجبل الذی یقرب من دمشق - والرابع هو بلاد الشام والخامس هو مسجد نوح علیه السلام الذی بناه علی الجودی -

وَالزَّیْتُوْنِ - روی عن قتادة انّهما جبلان بالشام علی احدهما دمشق وعلی الاخر بیت المقدس - قال ابو حیّان وفی شعر النابغة ذکر التین وشرح بانّه جبل مستطیل قال النابغة -

صُهْبُ الظِّلَالِ اَتَیْنَ التِّیْنَ عَنْ عُرُضٍ ۔ یُزْجِیْنَ غَیْمًا قَلِیْلًا مَاؤُهُ شَبِمَا

انتهی یصف السحائب التی لا ماء فیها - وقال ابن عباس رض هو تینکم وزیتونکم - وقیل جبلان وقیل مسجدان - قال الفرّاء سمعت رجلًا من اهل الشام وکان صاحب تفسیر قال التّین جبال ما بین حلوان الی همدان والزیتون جبال الشام - والاقوال فی تفسیرهما مضطربة لا فائدة فی ذکرها - وهو من الزیت والنون فیه زائدة وهو مثل قیعون من القاع کذلک الزیتون شجر الزیت وهو الدهن

والالكة فعلونة من الزيت - والواحد زيلونة - قال ابن جني
هو مثال قائت - قال صاحب اللسان ومن العجب ان يفوت
الكتاب وهو في القرآن العزيز وعلى افواه الناس - يقال لشجرتها
زيلونة ولثمرتها زيتونة - وَطُوْرِ سِيْنِيْنَ - سينا وسينين
اسمان للمكان الذي حصل فيه الجَبَلُ قال صاحب اللسان
والسنينة رمال مرتفعة تستطيل على وجه الارض وجمعها
سنائن قال الطرماح - . وَاَرْطَاةِ حِقْفٍ بَيْنَ كِسْرَى سَنَائِنَ
وقيل اسم موضع فيه الطور - قال قتادة سنين بلغة الحبشة
المبارك الحسن قال مجاهد هو المبارك بالسريانية وقال الكلبي
سينين كل جبل فيه شجر مثمر - قال الاخفش طور جبل وسنين
شجر واحدته سنينة - قال ابو على الفارسي هو على فعليل كررت فيه
اللام اى النون وهو اسم غير منصرف قال كعب الاحبار هو
الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام - قرأ الجمهور
سينين بكسر السين وابن اسحق وابو رجاء بفتح السين قيل هي
لغة تميم قال صاحب الكشاف سينون وبيرون في جواز الاعراب
بالواو والياء والاقرار على الياء تحريك النون بحركات الاعراب
انتهى - وقرأ عمر رضي الله عنه وعبد الله وطلحة سيناء بكسر
السين والمد وزيد ابن على بفتحها والمد - وانما اقسم الله تعالى
بهذا الشر فهاوكر امتها ذكر ابو حيان فمنبت التين والزيتون
مهاجر ابراهيم عليه الصلوة والسلام ومولد عيسى عليه السلام
والطور هو المكان الذى نودي عليه موسى عليه الصلوة والسلام

ومكة مولد رسول الله صلى الله ومبعثه ومكان البيت
الذى هو هدى للعالمين انتهى وكذا ذكر ابن كثير في تفسيره
وقال وذكرهن الاماكن الثلاثة في اخر التوراة جاء الله من طور
سيناء يعني الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام واشرق
من ساعير يعني جبل بيت المقدس الذي بعثه الله منه عيسى
عليه السلام واستعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي
رسل الله منها محمدا صلى الله عليه وسلم فذكرهم مخبرا بهذا
الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا اقسم
بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما - انتهى - اقول
وما ذكر من كون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف من
موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام فهو صحيح معتقد به
واما كون عيسى عليه السلام اشرف من موسى عليه السلام
فلا دليل عليه من كتاب وسنة - ولا اجمع الامة عليه الترتيب
في الذكر لا يدل على كرامة المتأخر وشرفه الا ترى ان قولك
جاءني زيد فعمر ولا يدل على ان عمر اشرف من زيد واكرم
منه - وما قال الشيخ الاكبر في الفتوحات في جواب السؤال
الخامس والاربعين ومائة وليس في الرسل اكثر اتباعا من
موسى عليه السلام - كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الصحيح حين راى سوادا اعظم فسأل فقيل له هذا موسى عليه السلام
وامته وقد قال صلى الله عليه وسلم انه سيد الناس يوم القيامة
فاقول ان هذا الحديث خبر واحد ويخالف الامر البديهي وهو كون

النبي صلى الله عليه وسلم - اكثر اتباعًا منه عليه السلام - لكونه مبعوثًا على كافة الناس فلا يحتج به - واما كونه عليه السلام سيد الناس يوم القيامة فمعناه انه سيد بني اسرائيل يوم القيامة والا فالنبي صلى الله عليه وسلم مقدم جماعة الرسل والانبياء عليهم السلام - في ذلك اليوم وهو امر مجمع عليه - وَهٰذَا الْبَلَدِ الْاَمِيْنِ - وهو مكة وهي التي قال الله تعالى في شانه المبارك مَنْ دَخَلَهٗ كَانَ اٰمِنًا وهو قول ابن عباس ومجاهد وابراهيم النخعي وابن زيد وكعب الاحبار - وقال الفراء الامين بمعنى الآمن او فعيل بمعنى المفعول اي مامون من الغوائل - لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِيْۤ اَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ - هذا جواب القسم - قال ابراهيم النخعي ومجاهد وقتادة احسن صورته وحواسه وقيل انتصاب قامته - ذكر الواحدي في مرح البيان ان الله خلق كل ذي روح مكبًّا على وجهه الا الانسان خلقه مديد القامة - انتهى - اقول ان قوله كل ذي روح يتناول الملك والجن وانهما لم يخلقا مكبين على وجههما - كما هو مذكور في الروايات الكثيرة - قيل والمراد بالتقويم التعديل في الاعضاء والتناسب في القوى - قال ابو حيان واحسن صفته لمحذوف اي في تقويم احسن انتهى - اقول والانسان اذ اخلقه الله تعالى وتقدس ونفخ فيه من روحه واستخلفه في الارض يجب ان يكون حاملا لاعباء خلافته ولا يمكن له ان يتحمل ذلك الا بعد كون قواه مرايا لظلال صفات الله تعالى واسمائه

فلا بد ان تكون اعضاءه في احسن تقويم - وقواه في اعدل مزاج - والله اعلم - ثُمَّ رَدَدْنٰهُ اَسْفَلَ سٰفِلِيْنَ - قال عكرمة والضحاك والنخعي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيئا - قال صاحب الكشاف في تفسير هذه الاية فقال في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية اذ رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار واسفل من سفل من اهل الدركات - او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء فيه فمشيه دلف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف انتهى - اِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَلَهُمْ اَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُوْنٍ - قيل والاستثناء منقطع والمعنى لكن الصالحين منهم الذين امنوا وعملوا الصلحت فلهم اجر غير مقطوع وروى في الحديث ان المؤمن اذا بلغ مائة ولم يعمل كتب له مثل ما كان يعمل في صحته ولم تكتب عليه سيئة وفيه ايضا ان المؤمن اذا رد الى اخر العمر كتب له ما كان يعمل في قوته اقول ان الهرمى ان كانوا من اهل الشعور ولم يخرجوا من حكم المكلفين فعليهم ان يواظبوا على الطاعات قياما

او قعودًا او استلقاءً وان لم یکونوا شاعرین فلیسوا مکلّفین فهم حکم المجانین والمعتوهین - وقیل هو استثناء متصل اذا استثنی من اهل النار والمعنی علی هذا التقدیر غیر خفی والمنّ قال بعض المفسرین معناه الحساب ای غیر محسوب وقال الجوهری هو القطع وقیل النقص ومنه قول لبید بن ربیعة -

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ۔ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا

ای لا یُقطع طعامها - فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ - قال الجمهور ای ما الذی یکذّبك ای یجعلك مکذبا بالدین ای البعث والجزاء والنشر بعد اقامة الدلائل الدالة علیه ان لا یکون مبعوثا والاستفهام للتهدید والتخویف فیکون المعنی اما عرفت یا ایها الانسان انا خلقناك من نطفة وقلّبنا علیها تقلّبات کثیرة حتی قوّمناك بشرًا سویًّا وحوّلناك من حال الی حال الی الکمال ثم غیّرناك من طور الی طور فی النقصان اما فهمت انّ لك خالقا قادرًا مریدًا خلقك اذا لم تکن شیئا فهو قادر علی ان یبعثك اذا کنتَ میتًا فبعد هذه الدلائل البینة ای شیء یضطرّك الی هذا الکذب قال الفرّاء والمخاطب هو رسول الله صلی الله علیه وسلم - فالمعنی فمَن یکذبك یا ایها الرّسول بعد ابانة هذه الدلائل البینة والحجج الساطعة بالدّین الحق والیه ذهب الاخفش وقتادة وهو قول محمد بن جریر الطبری - اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَحْكَمِ الْحٰكِمِيْنَ - وعید للکفار واخبار بعدله تعالی - ومعناه احکم الحاکمین صنعًا

وقد بيّن او من كان كذلك فهو قادر على الاعادة والجزاء - قيل انّ هذه الاية يُثبت الحاكمين سوى الله تعالى - اقول هذا ليس بشئ - لان الكلام سيق على اسلوب محاورة العرب لانهم يقولون في عرفهم هذا ابلغ البلغاء لمن كان انتهى الى حد البلاغة ونهايتها ومعناه ان البلغاء الذين سواه ما انتهوا الى ما بلغ فكانهم ليسوا بلغاء - وعرضهم بهذا القول انه وحيد في البلاغة فريد في البراعة ليس له مثيل ولا عديل - فيكون معنى الاية انّ الحاكم هو الله وحده وليس لمن سواه حكم ولا امر - والامراء والسلاطين انما ينفذون احكام الله وشرائعه على ما هي منزّلة على انبيائهم عليهم السلام فليس الحكم الا لله عز شانه وجل برهانه

تم تفسير هذه السورة فالحمد
لله الذي اعطانا العلم
والبيان والصلوة
على نبيه
المبعوث
لهداية كافة الانس والجان وعلى اله
واصحابه الذين شيدوا قواعد الدين والايمان

سورة اقرأ ويقال لها سورة القلم مكية وهي تسع عشرة آية وقيل عشرون

وهي اول ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وعائشة رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق - قال الامام احمد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم - قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي اخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك

الله ابدًا انّك لتصل الرّحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقري الضّيف وتعين على نوائب الحقّ ثمّ انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد ابن عبد العزّى بن قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرأ تنصّر في الجاهليّة وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرًا قد عمي فقالت خديجة اى ابن عمّ اسمع من ابن اخيك فقال ورقة ما ترى فاخبره رسول الله بما راى - فقال ورقة هذا النّاموس انزل على عيسى عليه السّلام ليتني فيها جذعًا ليتني اكون حيًّا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوَ مخرجيّ هم - فقال ورقة نعم - لم يأت رجل قطّ بما جئت به الّا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرًا مؤزرًا - ثم لم ينشب ورقة ان توفي - وفتر الوحي فترةً حتى حزن رسول الله - هذا هو الذي رواه احمد بن حنبل في مسنده ورواه البخاري ومسلم في الصحيحين - وفي رواية احمد انه غدا مرارًا كي تردّى من رؤوس شواهق الجبال فكلّما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل عليه السلام - فقال يا محمّد انّك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقرّ نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدّى له جبريل عليه السّلام - فقال له مثل ذلك - قال ابن كثير وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا

الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في اول شرحنا
للبخاري مستقصى فمن اراده فهو هناك محرر - انتهى قرأ الجمهور
اقرأ بهمزة ساكنة والاعشى عن ابي بكر عن عاصم بحذفها
وهو على قول يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا يقرا
مثل سعى يسعى فالامر منه اقر بحذف الالف مثل اسع واخش
والمفعول له محذوف اي اقرأ ما يوحى الله اليك - وقال بعضهم
مفعوله باسم ربك كما يقال اقرأ الحمد لله والباء في باسم ربك
متعلق باقرأ - وقال الاخفش الباء بمعنى على اي اقرأ على اسم الله
كما في قوله تعالى - اركبوا فيها باسم الله اي على اسم الله
وقيل متعلق بمحذوف وهو مبتدئًا اي اقرأ مبتديا باسم الله
او مفتتحا باسمه هذا هو الذي ذهب اليه صاحب الكشاف
وعلى هذا يكون باسم ربك في محل النصب على الحال - وقال
ابو عبيدة الباء صلة اي زائدة والمعنى اذكر ربك وقال وكذا
كلمة اسم صلة والمعنى اقرأ بتوفيق ربك وعونه - هذا ملخص
ما ذكر ابو حيان - وانما قال ربك ولم يقل باسم الله لان المقام
مقام التعليم والتربية والخطاب في قوله باسم ربك للاستيناس
ويجوز ان يكون للاختصاص والمعنى انه ربك لانه لم يرب
احدا كما ربّاك بكمال فضله وتمام كرمه وانما ذكر صفة
الخلق دون غيرها لان هذه الصفة اعلى من جميع الصفات الفعلية
لانها تدل على ان هذا العالم البديع ليس له وجود بنفسه بل له
خالق حكيم صانع لا شريك له في فعله وارادته وصنعته خلقه بارادته

واصنعته ففيه ردٌ بليغ للاصنام والالهة خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ
وهو الدم الجامد والمراد به ذرّية آدم عليه السلام وانّما
ذكر الانسان لكونه اشرف المخلوقات واكرمها وقال صاحب
الكشاف اشرف ما على الارض - انتهى وانّما قال ذلك لانّ
المعتزلة ذهبوا الى انّ الملك اشرف من الانسان - اقول ان اريد
بالشرف الشرف باعتبار صفاء الجوهر ونزاهته من كل كدورة فلا شك
في انّ الملك افضل من كل المخلوق وانْ اريد باعتبار كثرة الثواب
ومزيّته فلا ريب في ان الانسان اشرف من نوع الملك لانّ
عباداتهم بلا عوائق وعبادة الانسان بعوائق وموانع كثيرة
فالعبادة التى لها عوائق اوفر ثوابا واكثر جزاء مما ليس كذلك
فلا مرية في انّ الانسان افضل واشرف منهم بهذه الحيثية ثم
القرآن الكريم يشهد بانّ الانسان مسجود وهو ساجدون
له كما قال الله تعالى - فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ وظاهر ان
المسجود افضل من الساجد فالانسان بكونه مسجودًا افضل من
الساجدين الذين هم الملائكة - والقول بان الملائكة الذين
سجدوا لآدم عليه السلام - هم الملائكة الارضية لا يعاضده
القرآن الكريم - وهو وهم نشأه الاقاصيص الكاذبة - وانّما
لم يذكر آدم عليه السلام لان الكفار لم يكونوا عارفين قصّته وما كان
متقررًا في اذهانهم انّ آدم عليه السلام اصلهم وهم فرعه
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ - والكرم ضدّ اللؤم
والكريم اسم جامع لانواع الخير والشرف والفضائل وهو من صفات

الله تعالى واسمائه وهو الكثير الخير الجواد المعطى الذي
لا ينفد عطاؤه محمود الذات والفعل - ولذلك قال الفراء
العرب تجعل الكريم تابعا لكل شئ نفت عنه فعلا تنوي به
الذم - والاكرم مبالغة في معنى الكرم وزيادة فيه - الذي
علم بالقلم - اى علم الانسان علم الخط بالقلم - قال الامام الرازي
وفيه وجهان احدهما ان المراد بالقلم الكتابة التى تعرف
بها الامور الغائبة وجعل القلم كناية عنها اقول وهو قول
الزجاج والثاني ان المراد علم الانسان الكتابة بالقلم - قال
ويروي ان سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام
فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة انتهى - قال قتادة
القلم نعمة من الله عزوجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح
عيش فدل على كمال كرمه - وقرأ ابن الزهير علم الخط بالقلم
قيل ولعل ذلك تفسير - والقلم هو الشئ الذي يكتب به والجمع
اقلام واقاليم وانشد ابن الاعرابي -

كَأَنَّنِي حِيْنَ آتِيهَا لِتُخْبِرَنِي ... وَمَا تُبَيِّنُ لِي شَيْئًا بِتَكْلِيمِ
صَحِيْفَةٌ كُتِبَتْ سِرًّا إِلَى رَجُلٍ ... لَمْ يَدْرِ مَا خُطَّ فِيْهَا بِالْأَقَالِيمِ

قال صاحب الكشاف ان قوله تعالى علم بالقلم دل على كمال كرمه
بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم
ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها
الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا كتب المنزلة الا بالكتابة ولولاهي لما

استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به وبعضهم في صفة القلم

وركب اقمر قش كمثل أراقم قطف الخطا نياله اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى

انتهى اقول ويحتمل أن يقال إنّ القلم عبارة عن القلم الذي روى في الحديث وهو اول ما خلق الله القلم- والمراد بالقلم عند الحكماء العقل الاوّل الذي هو علة ما تحته من الموجودات وعند العرفاء روح محمّد صلى الله عليه وسلم- وهو اصل الكائنات عندهم فالامر متّحد واللفظ مختلف- فيكون المعنى ان الله تعالى علم كل شئ بواسطة العقل الاول او الروح المحمدي صلى الله عليه وسلم على اختلاف اللفظين فيكون افاضات الجواد الفياض القيّوم الحق على الخلق بهذه الواسطة- ثم خصّص الانسان بعد التعميم وقال- عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ- والمراد بالانسان آدم عليه السّلام- كما قال الله تعالى- وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا- وقال خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ -وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال اوتيت جوامع الكلم وقال أعطيت علم الاوّلين والآخرين كَلَّا- كلمة ردع وزجر لمن كفر نعمة تعالى- وقال الكسائي وهو بمعنى حقًّا- وذهب ابو حيّان وابن هشام انها بمعنى ألا الاستفتاحية- لوقوع انّ بعده بالكسر- إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ان يجاوز حد البشرية روي انها نزلت في ابي جهل ناصب

رسول الله صلى الله عليه وسلم- العداوة ونهاه عن الصلاة في المسجد وقال لئن رأيت محمدًا يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ عليه وانتهره وتوعّده فقال ابو جهل أيتوعّدني محمد والله ما بالوادي اعظم ناديًا مني ويروى انه همّ أن يمنعه من الصلوة فكفّ عنه وروي انّ النبيّ كان يصلّي في المسجد وابو جهل قائم بين يديه فقيل ما يمنعك قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن عباس رض والله لو تحرّك لأخذته الملائكة والناس ينظرون اليه وروي ابن جرير انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الّا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك فقال انّ بيني وبينه خندقًا من نار وهولًا واجنحة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- لودنا منّي لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا- أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ- اى ان راى نفسه في الاستغناء بالاموال والعشيرة-قال الفرّاء لم يقل رأي نفسه كما قيل قتل نفسه لان رأى من الافعال التي تريد اسمًا وخبرًا نحو الظنّ والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد -والعرب لطرح النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني -اختلف في قرأته فقنبل من رواية ابن شنبوذ وابن مجاهد واكثر الرواة بقصر الهمزة بلا الف وافقه ابن محيصين والباقون بالمدّ وهو رواية الزينبي عن قنبل وتغليط ابن مجاهد القنبل في رواية القصر ردّه الناس عليه والذي رتضاه في النشر انّه اخذ عن قنبل

بغیر طریق ابن مجاھد والزینبی کابن شنبوذ والی ربیعۃ وغیرھما فبالقصر وجھًا واحدًا بلا ریب وان اخذ عنہ بطریق الزینبی فبالمد کالجماعۃ وجھًا واحدًا وان اخذ بطریق ابن مجاھد فبالوجھین وھما صحیحان عنہ فی الکافی - قال صاحب النشر ولاشک ان القصر اثبت واصح عنہ من طریق الاداء والمد اقوی من طریق النص وبہما اخذ من طریقہ جمعًا بین النص والاداء ومن زعم ان ابن مجاھد لم یاخذ بالقصر فقد ابعد فی الغایۃ وخالف فی الروایۃ وقد وجہ الحذف بان بعض العرب یحذف لام المضارع ای تخفیفًا ومنہ قولھم اصاب الناس جھدٌ ولو تر اھل مکۃ - بل قیل انھا لغۃ عامۃ - وحیث صحت الروایۃ بہ وجب قبولہ - قال الامام الرازیؒ ان اول السورۃ یدل علی مدح العلم واخرھا یدل علی ذم المال وکفی بذلک رغبۃً فی الدین ونفرۃً عن الدنیا - اِنَّ اِلٰی رَبِّکَ الرُّجْعٰی - المرجع والرجوع والرجعی مصادر وفیہ تھدید بلیغ - اَرَاَیْتَ الَّذِیْ یَنْھٰی - قیل المراد بہ ابوجھل کما تقدم عَبْدًا - قیل محمد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم اِذَا صَلّٰی - فی المسجد الحرام - والتعمیم خیر من التخصیص قال صاحب الکشاف ان قولہ الذی ینھی مع الشرطیۃ فی موضع المفعولین اَرَاَیْتَ اِنْ کَانَ - ذلک العبد المنھی اذا صلی - عَلَی الْھُدٰی ای علی ھدی اللہ - اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوٰی - ای امر بالاجتناب عن الشرک والاخلاص فی الایمان والعمل - قیل المراد بالصلوۃ صلوۃ الظھر - قال ابوحیان ھی اول جماعۃ اقیمت فی الاسلام کان معہ ابوبکرؓ وعلیؓ وجماعۃ من السابقین فمر بھم ابوطالب

و معه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك وانصره مسرورًا وانشاء ابو طالب يقول -

ان عليًا و جعفر ثقتي عند ملمّ الزمان والكرب
والله لا اخذل النبي ولا يخذله من يكون من حسبي
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لأمي من بينهم وابي

واختلف في الخطاب في قوله ارايت فقيل المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الظاهر وكذا في الثاني والثالث وقيل الكافر خاطبه تهديدًا او توبيخًا - أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ - قيل ابو جهل فانه جاء النبي صلى الله عليه وسلم - وتولى عن الايمان وارايت الثاني والثالث لتاكيد الاول وجواب قوله ان كان على الهدى محذوف يدل عليه جواب ارايت ان كذب وتولى وهو قوله تعالى - أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ - هذا ما ذهب اليه صاحب الكشاف - واعترض عليه ابو حيان وقال واما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابًا للشرط بغير فاءٍ فلا اعلم احدًا أجازه بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلبًا بوجهٍ ما ولا يجوز حذفها الا ان كانت في ضرورة شعرٍ - اقول قال الشيخ الرضي في شرح الكافية واذا كان جواب الشرط مصدرًا بهمزة الاستفهام سواء كانت الجملة فعلية او اسمية لم يدخل الفاء لان الهمزة من بين جميع ما يغيره معنى الكلام يجوز دخولها على ادات الشرط نحو قولك ان اكرمتك اتكرمني كانك قلت اين اكرمتك تكرمني - قال

الله تعالى - ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى
انتهى - فاندفع الاشكال - واما قول النحويين الا ان كان في
ضرورة شعر فهو منظور فيه لان ديوان العرب العرباء الجاهليين
هو الشعر ولم ينقل منهم كلام منثور في طبقة من طبقاتهم لان
حروبهم اغارت كلامهم ولم يبق شئ منه الا نادرا قليلا وهو
الشعر فلا محل لهم ان يقولوا ان هذا يجوز في الشعر ولا يجوز
في النثر فما جاء في القران فهو حق احق بالاتباع وكفى به نظيرا
والاستفهام في قوله الم يعلم للتقريع والتهويل اي الم يعلم بان
الله يرى - كل شئ على حاله وشانه فيجازيه بما كان عليه من الخير
والشر - فهو عالم بجميع المعلومات حكيم فلا يهمل عن علمه مثقال
ذرة لا في السماء ولا في الارض - وهذه الاية وان نزلت
في حق ابي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله فهو شريك ابي جهل
في هذا الوعيد - ولا يرد عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة
والاوقات المكروهة لان المنهى عنه غير الصلاة وهو المعصية
ولا يرد المولى يمنع عبده من قيام الليل وصوم التطوع وزوجته
من الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصلحته باذن ربه لا بغضا
لعبادة ربه - هذا ما ذكره الامام الرازي - كلا - ردع لابي جهل
ونهيه عن عبادة الله او لما قال انه يقتل محمدا او يطاء عنقه
لئن لم ينته - اي عما هو فيه - واللام في لئن هي الموطئة للقسم
اي والله لئن لم ينته - لنسفعا بالناصية - السفع الجذب يقال
سفع بناصيته ورجله اي جذب واخذ - والمعنى لنصرهنها

ولنأخذنّ بها اى لنقيمنّه ولنذلنّه الى النار - كما قال الله تعالى فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ - وقال الازهري اى لنأخذن بها الى النار ومنه قول الشاعر -

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرِيخَ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

اراد واخذ بناصيته ومن قال معناه لنسوّدن وجهه لانّ السّفعة هو السّواد فمعناه لنسمنّ موضع الناصية بالسّواد اكتفى بها من سائر الوجه لانه مقدم الوجه ومنه قول الشاعر -

وَكُنْتُ إِذَا نَفْسُ الْغَوِيِّ نَزَتْ بِهِ سَفَعْتُ عَلَى الْعِرْنِينِ مِنْهُ بِمِيسَمِ

اراد وسمته على عرنينه وهو مثل قوله تعالى - سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ قال ابن سيده الناصية والناصاة لغة طيئية قصاص الشعر فى مقدم الراس - قال الفرّاء ناصيته مقدم راسه - قال الازهري الناصية عند العرب منبت الشعر فى مقدم الرأس لا الشعر الذي تسميه العامة النّاصية وسمّى الشعر ناصية لانّها فى مقدم الوجه من الوجه ومنه قوله تعالى - مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا - قال الزجّاج معناه تنالهُ بما شاء قدرته فى قبضته وهو سبحانه لا يشاء الّا العدل - نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ - بدل من قوله بالناصية - وجاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لانّها موصوفة فاستقلّت فائدة - قرى ناصيةٌ بالرفع والتقدير هى ناصيةٌ وبالنّصب على الذّم والشتم - خَاطِئَةٍ - اى ناصية كاذبة فى قولها وعملها وانما اسند الكذب والخطاء الى الناصية على طريق المجاز والمراد به نفس الكاذب الخاطى - وفيه جزالة نظم الكلام - فَلْيَدْعُ

يا ابا جهل نَادِيَهٗ - اي اهل ناديه وروي انَّ ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم - اتهدّدني وانا اكثر اهل الوادي ناديًا فنزلتْ - والمراد ناصره وهو قول ابن عباس رضي الله عنه - سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ - اي الملائكة الغلاظ الشداد والمراد بهم خزنة جهنّم وهو قول الزجّاج وقال الكسائي والاخفش وعيسى بن عمر واحدهم زابنٌ اي دافعٌ يقال زَبَنَتِ الناقة بثفنات رِجْليها عند الحلب فالزَّبن بالثفناتِ والركض بالرِجل والخَبْط باليد وفي حديث علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه - كالنَّاب الضَّرُوسِ تزبن برِجْلها اي تدافع ومنه قول سوّار بن المضرب -

بِذَابِي الذَّمَّ عَنْ حَسَبِ قَومِي وَزَبُونَاتِ اَشْوَسَ تَيَّحَانِ

والزَّبُّونة من الرجال الشديد المانعُ وراء ظهره - ويقال لكل متمرّدٍ من الجن والانس وهو قول السيرافي ومنه قول حسّان

زَبَانِيَةٌ حَوْلَ اَبْيَاتِهِمْ وَخُورٌ لَدَى الحَرْبِ فِي المَعْمَعَه

قال الفرّاء الزَّبَانِيَةُ وهم يعملون بالايدي والارجل فهم اقوى وقال الكسائي واحد الزَّبانية زبنيٌ وقال الاخفش قال بعضهم واحد الزبانية الزباني وقال بعضهم زابنٌ كما تقدّم وقال والعربُ لا تكاد تعرفُ هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل ابابيل وعبادِيدَ - قرأ الجمهور سندع بالنون وبغير الواو وقرئ سيُدعىٰ على المفعول - كَلَّا لَا تُطِعْهُ - في

ترك الصّلاة - وَاسْجُدْ - اي صل لله غير مكترث - وَاقْتَرِبْ
قال زيد ابن اسلم واسجد انت يا محمد واقترب - يا ابا جهل
من النار - والاية تدل على ان سجود العبد يقربه الى الله تعالى
كما روي عن ابى هريرة رضى الله عنه - ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم - قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد فاكثروا من الدعاء رواه ابو داؤد - وروي عن ابن
عباس انّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم - كشف الستارة والنّاس
صفوف خلف ابى بكر الصديق رضى الله عنه - فقال يا ايّها النّاس
انه لم يبق من مبشّرات النبوّة الا الرؤيا الصّالحة يراها
المسلم او تُرى وَانّي نُهيتُ ان اقرأ راكعًا وساجدًا فامّا
الرّكوع فعظّموا فيه الرّبّ وامّا السّجود فاجتهدوا في الدّعاء
فقمنٌ ان يستجاب لكم - واليه ذهب اكثر
المفسرين - ولذلك ندعو ونتضرّع في السّجود
ولا ندعو مع رفع الايدي بعد الصلاة
المكتوبة لانّه لم يرو في هذا الباب
حديث صحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما المواضع التى
صحّ فيها رواية رفع الايدي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فانا نرفع الايدي فيها - تم تفسير هذه السورة ولله الحمد والمنة
ومنه التوفيق والعصمة والصّلاة على النبى الذي بعثه الله تعالى - لكافّة النّاس
رحمة - وعلى اله واصحابه الذين لهم فضائل جمّة

سورة القدر وهي خمس آيات او ست آيات مكية عند ابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم وقال اكثر المفسرين انها مدنية وهو الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

اِنَّآ اَنْزَلْنٰهُ - الضمير المفعول يعود على القرآن وان لم يتقدم ذكره ليدل على نباهة شانه واسند انزاله الى ذاته دلالة على عظمه وشرفه - فِيْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ - اختلف فى كيفية انزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة اقوال احدها - وهو الاصح عند الجمهور انه نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجما فى عشرين او ثلاثة وعشرين سنة كما روي الحاكم والبيهقى وغيرهما - عن ابن عباس قال انزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر وكان بمواقع النجوم - وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه فى اثر بعض وكذا روي البيهقى والحاكم والنسائى عن ابن عباس قال اُنزل القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا ليلة القدر ثم اُنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا - وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا - وروي الطبرانى عن ابن عباس قال انزل القرآن فى ليلة القدر فى شهر رمضان الى السماء

الدنيا جملةً واحدةً ثم انزل نجومًا وثانيها انه نزل الى السماء
الدنيا في عشرين ليلة قدر او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين
في كل ليلة ما يقدر الله انزاله في كل السنة ثم نزل بعد ه
منجّمًا في جميع السنة وهو قول امام الرازيّ وقال يحتمل انه
كان ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس الى انزاله الى
مثلها من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا - قال ابن كثير وهذا
الاحتمال ذكره القرطبي عن مقاتل بن حيّان - وهو قول
الماوردي ويوافقه قول ابن شهاب - وثالثها انه ابتدئ انزاله
في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجمًا في اوقات مختلفةٍ
وهو قول الشعبي - قال ابو شامة فان قلت انّ قوله تعالى
انّا انزلناه في ليلة القدر من جملة القرآن الّذي نزل جملةً
ام لا فان لم يكن فما نزل جملةً وان كان منه فما وجه صحّة
العبارة قلت له وجهان احدهما ان يكون معنى الكلام انا حكمنا
بانزاله في ليلة القدر وقضيناه وقدّرناه في الازل - والثاني
انّ لفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال اي ننزله جملة في ليلة
القدر - واما التوراة فنزلت على موسى عليه السلام دفعةً
واحدةً ويدلّ عليه قوله تعالى - فخذ ما اتيتك وكتبنا له في الالواح
من كلّ شيءٍ موعظةً وتفصيلًا لكلّ شيءٍ فخذها بقوّةٍ والقى الالواح
ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدًى
ورحمةً فهذا صريح في انّ التوراة انزلت عليه السلام جملةً
واحدةً والقرآن لم ينزل كذا كما قال الله تعالى - وقال الذين

كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً - فأجابهم الله
بقوله كذلك اى انزلناه كذلك مفرّقًا لنثبت به فؤادك اى لنقوى
قلبك فانّ الوحى اذا كان يتجدّد فى كل حادثةٍ كان اقوى بالقلب
واشد عنايةً بالمرسل اليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه
وتجدّد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب
العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان
النبى صلى الله عليه وسلم اجود فى رمضان لكثرة لقيا جبريل
امّا كيفية الانزال فاتفق اهل السنّة على انّ كلام الله منزلٌ
واختلفوا فى معنى الانزال - فقال بعضهم كان جبرئيل عليه السلام
يقرأ القران عليه وقال بعضهم ان الله تعالى اوحى كلامه الى
جبريل عليه السلام - وهو فى السماء ثم هبط جبريل عليه السلام
فاوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وحيه طريقان
فمرّة انخلع النبى صلى الله عليه وسلم من الصورة البشرية الى
الصورة الملكيّة فياخذه منه ما اوحى اليه - وهذا يستصعب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ينفصم عنه تلك الصورة
وفى هذه الحالة يتفصّد جبينه عرقًا - ومرّةً ان جبريل عليه السلام
كان ينخلع من الصورة الملكيّة ويتمثّل فى الصورة البشريّة
فربّما يتجسّد فى صورة دحية الكلبى وربّما يظهر فى صورة
الاعرابى فيوحى اليه ما يشاء ربّه - قال السيوطى قال القطب
الرازى فى حواشى الكشاف الانزال لغةً بمعنى الايواء وبمعنى
تحريك الشئ من الاعلى الى الاسفل وكلاهما لا يتحققان فى الكلام

فهو مستعمل فیه فی معنی مجازی فمن قال القرآن معنی قائم بذات الله تعالی فانزاله ان یوجد الکلمات والحروف الدالة علی ذلک المعنی ویثبتها فی اللوح المحفوظ - ومن قال القرآن هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته فی اللوح المحفوظ وهذا المعنی مناسب لکونه منقولا عن المعنیین اللغویین - ویمکن ان یکون المراد بانزاله اثباته فی السماء الدنیا بعد الاثبات فی اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنی الثانی - ثم المراد بانزال الکتب علی الرسل ان یتلقفها الملک من الله تلقفا روحانیا او یحفظها من اللوح المحفوظ وینزل بها فیلقیها علیهم انتهی - اقول ان الانزال یکون کذا او قد ثبت کلام الله بدون الانزال کما فی قوله تعالی ان یکلمه الله وحیا او من وراء حجاب - وقال تعالی - وکلم الله موسی تکلیما وقال تعالی - واوحی الی عبده ما اوحی - وهذا القسم من الکلام لا تدرک کیفیته ولا یعقل کنهه والظاهر ان نزول القرآن الکریم فی لیلة القدر یدل علی نباهة شانها وجلالة قدرها - ثم المراد بالقرآن کلام الله تعالی حقیقة ومبدأه اسم الله وهو الکلیم فیکون الکلام صفة لذاته تعالی والصفة سواء کانت قدیمة او حادثة لا توجد الا بالموصوف فلا یکون حکمها الا حکم الموصوف فان کان الموصوف قدیما کان صفته قدیمة وان کان حادثا کان صفته حادثة ولما کان الله تعالی واجبا لذاته قدیما ازلیا صفته تعالی ایضا قدیمة ازلیه ولا یصح ان یکون کلامه لیس هو ذاته فانه کان یوصف بانه محکوم علیه ولا یوصف بانه قادر علی ان

يتكلم - فيكون كلامه قديمًا في مذهب الاشعري وعين ذاته في مذهب غيره من العقلاء الا ان نسبة الكلام الى الله تعالى مجهولة لا تعرف كما ان ذاته لا تعرف ولا يثبت الكلام الا شرعًا ليس في قوة العقل ادراكه من حيث فكره ولا يخفى عليك ان الكمال حسن والنقص قبيح فاتصاف شيء بالصفات التي فيها كمال حسن والاتصاف بضدها قبيح وهذا القول يجري في صفات اثبتها الشرع لله تعالى - فيكون الاتصاف بهذه الصفات حسنًا وباضدادها قبيحًا فالشرع اثبت له السمع والبصر والكلام والعقل يقضي ان وجودها في كل موجود حسن وعدمها نقص امّا كيفية اتصافها به تعالى فهي مما لا يعقل اذ هي من المتشابهات ومفهوماتها وراء الوراء من العقول المتوسطة - والانزال والنزول ليس مما يتعلق بكلام الله حقيقة كما ذهب اليه المحققون في علم الكلام والعلامة قطب الدين الرازي في حاشية الكشاف بل هو متعلق بالالفاظ والنقوش - والقدر مصدر قدرت اقدر قدرًا - وهو ليس من القدرة قال ابن سيده القدر والقدر القضاء والحكم وهو ما يقدره عزّ وجلّ من القضاء ويحكم به من الامور - قال اللحياني القدر الاسم والقدر المصدر وانشد --

كل شيء حتى اخيك متاع وبقدر تفرق واجتماع

فهذه الليلة هي التي تقدر فيها الارزاق والموت والحياة وجميع الاشياء التي تحدث في اوقات معينة - كما قال الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم - اي محكم وقوعه وانشد الاخفش

لهدبة بن خشرم
الا یا لقومی للنوائب فی القدر ولِلامر یاتی المرء من حیث لایدری
وما ادراک - یا محمد صلی اللہ علیہ وسلم - ما - ای ای شئ
لیلة القدر - فانک لم تدر غایة فضلها ومکانتها - وما قدر فیها
مقادیر الاشیاء والمراد بها صفات لاحقة لذواتها فهی العوارض
التی توجد فیما هو متصف بها ولا توجد فی غیره فهذه المقادیر
اذ وجدت فی وقت معین فی الخارج وجد الشیء فی الخارج
الی زمان قدر اللہ وجودها فیه - فاذا انتهی تقدیره الی انصرامها
لم یوجد ذلک فثبت ان الاشیاء لا تفنی وانما یفنی مقادیرها
فیکون معنی البعث الحاق المقادیر بموادها - فافهم فهذا البحث
دقیق لیس هذا محله وفیه تنویه شان لیلة القدر وعظمها
علی ما لا یخفی - لیلة القدر خیر من الف شهر - قال الاخفش
ان الخیر نعت لما وصف به وقیل فلان خیر یشبه الصفات فادخلوا
فیه الهاء للمؤنث ولم یریدوا به وانشد ابو عبیدة لرجل
من بنی عدی تیم تمیم جاهلی -
ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خیرة الملکات
والربلات اصول الافخاذ - فان اردت معنی التفضیل قلت
فلانة خیر الناس ولم تقل خیرة - وفلان خیر الناس ولم تقل
اخیر - وهو لا یثنی ولا یجمع لانه فی معنی افعل - والخیر بکسر
الخاء الکرم والشرف - ذکر ابن کثیر فی تفسیره قال ابن ابی حاتم
عن علی بن عروة قال ذکر رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یوما

اربعة من بني اسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع ابن نون قال فعجب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد صلى الله عليه وسلم عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين فقد انزل الله خيراً من ذلك فقرأ عليه انا انزلناه في ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر - هذا افضل مما عجبت انت وامتك - قال فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه انتهى - قال سفيان الثوري بلغني عن مجاهد قال عمل ليلة القدر اي صيامها وقيامها خير من الف شهر رواه ابن جرير والمعنى انها افضل من عبادة الف شهر ليس فيها ليلة القدر وروى في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه - قال الشيخ الاكبر في الفتوحات ان ليلة القدر اذا صادفها الانسان هي خير له فيما ينعم الله به عليه من الف شهر لو لم تكن الا واحدة في الف شهر فكيف وهي في كل اثني عشر شهراً في كل سنة انتهى - وانما قال ذلك لان مذهب الشيخ انها تدور في كل شهر كما ذهب اليه المحدثون والصحيح هو الذي ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه وهو ان ليلة القدر ليلة سبعة وعشرين من شهر رمضان وهو مذهبنا - ومعنى قوله تعالى خير من الف شهر اي ازيد من الف والزيادة لا حد لها لان الله ابهمها فلا يمكن

التحديد - قال الشيخ الاكبر رضـ وهو انها خير من الف شهر من غير تحديد - فلا يدري حيث ينتهي - فما جعلها الله انها تقاوم الف شهر بل جعلها خيراً من ذلك اي افضل من ذلك من غير توقيت فاذا نالها العبد كان كمن عاش في عبادة ربه مخلصاً اكثر من الف شهر من غير توقيت كمن يتعدى العمر الطبيعي يقع في العمر المجهول وان كان له لابد من الموت ولكن لا يدري هل بعد تعدية العمر الطبيعي بنفس واحدة او بالاف من السنين فهكذا ليلة القدر اذا لم تكن محصورة انتهى - وانما قال ليلة القدر اي اضاف الليل الى القدر دون النهار - لان التقدير يقتضى الاستتار وهو بالليل اشبه وفي النهار ظهور وهو لا يناسب التقدير واليه اشار الشيخ الاكبر رضـ وقال ان الليل شبيه بالغيب والتقدير لا يكون الا غيباً فلو كان بالنهار يظهر الحكم في غير محله ومناسبة انتهى

تَنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَالرُّوْحُ فِيْهَا بِاِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ اَمْرٍ

قال بعضهم يتنزل بعض الملائكة وهو ادعاء وقال بعضهم ينزل جميع الملائكة فوجاً بعد فوج وجند بعد جند - وهو الصحيح لان اللام تدل على الاستغراق واختلف في الروح قيل هو جبريل واليه ذهب اكثر المفسرين - وقيل اسم جند من جنود الملائكة - وقيل قوم من اشراف الملائكة - والاشبه هو القول الاول - وتنزل اصله تتنزل حذفت التاء الاولى للتخفيف قرأ الجمهور تنزل بفتح التاء وقرئ على البناء للمفعول - من كل امر اي من اجل كل امر من الامور التى

قضى الله عزّ وجلّ في تلك السّنة ويجوز ان تكون للتعليل
نحو قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا اى لاجل خطيئاتهم
ومنه قول الفرزدق

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته فما يُكلّم إلّا حين يبتسم

ويجوز ان يكون بمعنى الباء اي بكل امرٍ - قرأ الجمهور من
كل امرٍ - وقرئ امرئٍ اى لاجل كل انسانٍ - وقيل انّ
من بمعنى على نحو ونصرناه من القوم اى على القوم وقال
بذلك الكلبي وقال معناه على كل امرئٍ سلام من ربهم - اي
الملائكة يسلّمون على كل انسانٍ - اقول وهذا بعيدٌ - سَلٰمٌ
هِيَ - اي ليست تلك اللّيلة الّا سلامةٌ وخير لكل سوءٍ من
حَتّٰى مَطْلَعِ الْفَجْرِ - اى هذه الليلة سلامة من غروب الشمس
الى طلوع الفجر - قرأ الجمهور مطلَع بفتح اللام وقرئ بكسرها
واعلم انّ الله جلّ شانه ذكر في ارتفاع شانها امورًا - الاوّل
انّه تعالى انزل القران المجيد في ليلة القدر وهذا يدل على
جلالة قدرها وعظم خطرها - والثاني تقدير الامور الكائنة
وتوقيت وقوعها في تلك اللّيلة - والثالث نزول الملائكة
والرّوح فيها - والرابع وقوع السلامة والبركة فيها - تمّ
تفسير هذه السورة والحمد لله الذي كرّم ليلة
القدر - والصّلوة والسّلام على من ارسله هاديًا
الى الجنّ والبشر وعلى اله واصحابه

١١ \ ٢ \ ١ ٨٥ هـ اوائل الشهر والخطر

سورة البينة ثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتب - المراد بهم اليهود والنصارى ومن للبيان - والمشركين - والمراد بهم مشركوا العرب وهم عبدة الاوثان - وقرأ ابن مسعود رض لم يكن المشركون واهل الكتاب وقرأ الاعمش والنخعي والمشركون بالرفع عطفا على قوله الذين - وانما قال كفروا فلوجهين الاول انهم ما كانوا على التوحيد لان اليهود والنصارى كانوا يقولون ان عزير ابن الله والمسيح ابن الله فكفروا بذلك بل صاروا مشركين والثانى انهم لما انكروا نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بالله وقيل ان بعض اهل الكتاب كانوا على التوحيد - وذلك لقوله تعالى - حتى تاتيهم البينة فيكون المعنى ان اهل الكتاب لم يكفروا الا بعد ان اتتهم البينة وهذا يدل على انهم لم يكونوا كافرين الا بعد اتيان البينة اى الرسول والخليفة وهذا القول ليس بشئ لانه يوجب ان الاشراك بالله ليس بكفر وهو باطل وذلك لان المعنى على هذا التقدير يكون كذا اى المشركون لم يكفروا الا بعد ان اتتهم البينة اي الرسول والخليفة والصحيح هو الذي ذكره صاحب الكشاف قال الامام الرازي - واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل

الكتاب وعبدة الاصنام كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم - لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم - فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه انتهى ثم المجوس فهم مثل اهل الكتاب في هذا الحكم - وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم - سنّوا بهم سنّة اهل الكتاب فحكمهم في باب الاحكام حكم اهل الكتاب - الّا انّهم هم المفترقون من اهل الكتاب في بعض الاحكام كالنكاح واكل الذبائح فحكمهم في ذلك حكم المشركين - والصحيح انهم داخلون في المشركين لانهم يعبدون النار والشمس وبعض الكواكب اما فائدة تقديم اهل الكتاب فلانّهم لم يكونوا جاهلين مثل المشركين لانّهم يقرأون الصّحف والكتب ويفهمون معانيها فلا يستصعب عليهم ان يتأمّلوا في علامات النبي المذكورة في التوراة والانجيل وغيرهما من الصحف لكنهم اغضوا اعينهم ولم يتوجهوا اليه بعد بعثته بل عاندوه وردّوه واما المشركون فليس لهم كتاب ولا علم فلا يقدرون على ان يتفكّروا في شئ من الاديان - وعلى هذا التقدير يكون كفر اهل الكتاب اشدّ واقوى من كفر هولاء المشركين مُنفَكِّين واصل الفكّ الفصل بين الشيئين وتخليص بعضهما من بعض يقال فكّ الاسير فكًّا اي فصله من الاسر ومنه قول الحارث بن حلزة في المعلّقة

وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِئِ الْقَيْسِ عَنْهُ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ

فیکون المعنی منفصلین او متفرقین - قال مجاهد معناه منتهین عن کفرهم وقال الاخفش منفکین ای زائلین عن کفرهم وقال ابو عبد الله نفطویه معناه لم یکونوا مفارقین الدنیا حتی اتتهم البیّنة التی ابینت لهم فی التوراة من محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم ونبوته - قال الفراء قد یکون الانفکاک علی جهة لایزال ویکون علی الانفکاک الذی لغرفه فاذا کان علی جهة یزال فلابدّ لها من فعل وان یکون معناها جحدًا فتقول ما انفککت اذکرك ترید ما زلت اذکرك واذا کانت علی جهة لایزال قلت قد انفککت منه وانفك الشیٔ من الشیٔ فتکون بلا جحد وبلا فعل - قال ذو الرمة -

قَلَائِصُ لَاتَنفَكُّ اِلَّامُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ اَوْنَرْمِیْ بِهَا بَلَدًا قَفْرًا

فیکون المعنی انهم لم یکونوا منفکّین عن معرفة صحة نبوة محمد صلی الله علیه وسلم حتی جاءتهم البیّنة فتفرقوا عند ذلك

حَتّٰی تَاْتِیَهُمُ الْبَیِّنَةُ - ای اتتهم البیّنة والمراد بالبینة القرآن الکریم او النبی صلی الله علیه وسلم - وقال ابو مسلم الاصفهانی مطلق الرسول ای کان هذا دابهم حین بعث کل رسول وخلیفة من الله تعالی وهذا هو الحق - رَسُوْلٌ مِّنَ اللّٰهِ - قرأ الجمهور بالرفع بدلا من البیّنة - وأبی بن کعب وعبد الله بن مسعود رضی الله عنهما بالنصب حالا من البیّنة - وعلی کلا التقدیرین فالمراد بالبینة الرسول والصحیح ان یراد به مطلق الرسول لانّ انفکاك الامم من دینهم انّما حصل بعد مجیٔ الرسول من الله - ووجه انفکاکهم اختلافهم

في انّ هذا المدّعي صادقٌ في دعواه او كاذبٌ فذهب بعضهم
الى انه صادقٌ في دعواه فآمَنوا به واطاعوه وذهب بعضهم
الى انّه كاذبٌ في دعواه فكذّبوا به فخالفوه وهذا امرٌ جارٍ بين الامم
والقرون فلا معنى لتخصيص رسول من الرسل - وكذا حال الذين
كانوا قبل مَبْعَثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهم كانوا
ينتظرون بعثه يشتاقون الى لقائه فاذا بُعِثَ فيهم بالدلائل
والبينات اختلفوا في امره وعاندوه فالحقّ أن يُراد به مطلق الرسول
ويؤيّده قوله تعالى - يَتْلُوْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً - اي قراطيس مُطهرةً
من اللغو والباطل - فِيْهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ - اي مكتوبات مستقيمة
ناطقةٌ بالحق هادية الى الصراط المستقيم والدين القويم - وقوله
يتلو صفة لرسول او حال وقوله فيها كتبٌ صفة لصحف او حال
من ضميرها - والمعنى انّ الرّسول الذي بعث في امّته يقرأ عليهم
صُحُفًا منزلةً من الله ليهديهم الى الله تعالى - وتلاوتها يمكن ان
تكون بالقاء الله في روعه فلا تحتاج الى الكسب والتعليم وقوله
يتلوا صحفًا مطهّرةً يعمّ من التي نزلت عليه او لم تنزل بل كانت
وظيفته ان يتلوها على من بعثه الله اليه فمن انزل الله عليه
كتابًا او صحيفةً فوظيفته ان يقرأ ما انزل عليه على امّته مثل
ابراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام ورسول الله صلى الله
عليه وسلم - ومن لم ينزل الله عليه صحيفةً او كتابًا بل تابع
لنبي مشرع متقدمٍ قبله فوظيفته ان يتلوما انزل على نبي مشرع
قبله مثل هارون عليه السلام وداود عليه السّلام وسليمان عليه

السلام وغیرهم من انبیاء بنی اسرائیل - فانهم کانوا یقرؤن التوراة علی اممهم ویعلّمونهم احکامها وشرائعها لان الانبیاء علیهم السّلام - لیس من وظائفهم ان یصنفوا کتبا ثم یقرءوا علی اممهم - وکذلک کان رسول الله صلی الله علیه وسلم - یقرأ القرآن المجید علی وافدیه ویعلّمهم اوامره ونواهیه ویزکی قلوبهم ببیانه المقدّس والحاصل انّ من دعا الناس الی الله باذن الله ففریضته ان یبیّن القرآن احکامه وشرائعه واسراره وحقائقه ویدعوهم الیه فهٰذه سنّة قدیمة سنّها الانبیاء وخلفاء الله علیهم السّلام - والقیمة من قام الشیء اذا استوٰی وصحّ - فیکون معناها مستقیمة صحیحة تبیّن الحقّ من الباطل علی استواء وبرهان وهو قول الزّجّاج ومنه الدّین القیّم ای المستقیم الذی لا زیغ فیه ولا میل عن الحق - وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِیْنَ اُوْتُوا الْکِتٰبَ - وهم الیهود والنصاری - اِلَّا مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَیِّنَةُ - المراد به الرّسول او الکتاب المنزّل من عند الله عزّوجلّ - قیل والاستثناء مفرّغ من اعمّ الاوقات ای وتفرّقوا فی وقتٍ من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجّة الواضحة ان ارید بقوله اوتوا الکتاب الیهود فقط فیکون المعنی ان الیهود تفرقوا اذ جاءهم عیسی علیهم السّلام بالانجیل والمعجزات الباهرة المشهورة ثم تفرقوا اذ جاءتهم رسول الله صلی الله علیه وسلم مصدقا بین یدیه من التوراة والانجیل باهر معجزاتٍ واعظم بیناتٍ وهو القرآن الکریم وان ارید بهم الیهود والنصاری فالیهود علی کلا التقدیرین کفروا مرتین والنصاری مرة

واحدة و وجه التکرار أنّ اهل الکتاب وان کانوا بجهلة اصولهم وفروعهم و احکامهم واعمالهم وارائهم واهوائهم مختلفین لکنهم کانوا متفقین فی اخبار رسول الله صلی الله علیه وسلم المتلوّة فی کتبهم مطبقین علی خروجه من جبال فاران حتی انّ احداً منهم لم یختلف فی شیء من ذلک ومضوا علی ذلک الاتفاق منتظرین الی بعثته صلی الله علیه وسلم - فلمّا بُعِثَ وادّعی النبوّة بحکم الله تعالی اختلفوا فیه فمنهم من قال لا حاجة لنا الی نبی لانّ الله تعالی - قد اخبر فی کتابه موسی علیه السلام ان شریعته موبدة الی یوم القیامة فبعد هذا الاخبار لا حاجة الیه بل لا یمکن ان یبعث نبی بعده لانّ الله تعالی - لا یخلف المیعاد - ومنهم من قال انه قد ذکر ان النبی المنتظر لا یبعث الا من اخوة موسی علیه السلام - وهذا المدّعی لیس من اخوته بل من بنی اسماعیل فهذا الخبر لا یصدق علیه - امّا الجواب عن الاول فلانه ان کان هذا صحیحاً فمعناه ان اصول شریعته موبدة الی یوم القیامة فلا یقع النسخ فیها والصحیح انّ اصول الانبیاء علیهم السلام - کالایمان والتوحید والبعث والحشر والثواب والعقاب وکالصّلوٰة والزکوٰة والصوم والحج وحسن الخیر وقبح الشر موبدة لا یحتمل التغیر والتبدیل والنسخ انما یقع فی الفروع - والجواب عن الثانی فالمراد بالاخوة الاخوة المطلقة فهی موجودة بین بنی اسحاق وبنی اسماعیل - وهی تکفی فی الاخبار المغیبة - والله اعلم بالصواب

وَمَآ اُمِرُوْٓا - فی کتاب الله - اِلَّا لِیَعْبُدُوا اللّٰهَ - خاصّةً لانّه هو الاله الحق المعبود - لکنهم استکبروا واختاروا عبادة المسیح والملائکة

وعزير عليه السلام ـ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ ـ حال كونهم جاعلين دينهم خالصاً لله تعالى ـ فعصوا الله ورسوله بالاشراك والكفر ـ قرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام ـ وقرأ الحسن بفتحها ـ حُنَفَاءَ ـ من حنف الى الشئ اذا مال ـ قال ابو عبيدة من كان على دين ابراهيم فهو حنيف عند العرب وكان عبدة الاوثان في الجاهلية يقولون نحن حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام ـ قال ابو عمر فالحنف هو الميل المطلق فمن مال من شر الى خير او بالعكس فهو حنيف وقال ثعلب الحنيف المسلم الذي يتحنف عن الاديان الى الحق وقيل من اسلم في امر الله فلم يلتو في شئ ـ وقال ابو زيد معناه المستقيم وانشد

تعلّموا انّ سيهديكم الينا طريق لا يجوز بكم حنيف

فمعناه مستقيمين حال من ضمير مخلصين فيكون حالا متداخلة ـ وقيل الحنيف هو الخالي عن اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها والعامل على ما شرع له من الله تعالى ـ وَيُقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ ـ عطف على قوله ليعبدوا اي وليقيموا الصلاة الخ ـ وخصهما بالذكر لانهما من اعظم اركان دين الاسلام ولذلك ذكرهما الله تعالى مرارا في القران ـ والامر الذي امرهم الله به كان عاما في جميع الشرائع وكذا في شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلا معنى لانكارهم هذه الشرائع ـ وَذٰلِكَ ـ اي الاخلاص في العبادة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ـ دِيْنُ الْقَيِّمَةِ ـ اي دين الملة المستقيمة وهو قول

الزجاج - قال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو لغته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردًّا الى الملة - وايضا قال هو اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة - واختلف في ان اللام في قوله ليعبدوا الله - فقالت المعتزلة انها لام الغرض لانهم ذهبوا الى ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض فقالوا ان الله تعالى خلق المكلفين لغرض العبادة وهذا القول باطل - لانه لو كان فعل الله تعالى - معللا بالغرض للزم نقص ذاته قبل حصول هذا الغرض ولوجب كونه تعالى - ممكنا لكونه محتاجا الى الغير - وعاجزا لانه لم يقدر على تكميل ذاته بذاته - وكل ذلك باطل فلا يجوز ان تكون هذه اللام لام الغرض - فوجب علينا ان نرجع الى كلام العرب فقال الفراء العرب تجعل اللام في موضع أن في الامر والارادة كثيرًا من ذلك قوله تعالى - يريد الله ليبين لكم - ويريدون ليطفؤا وقال في الامر وأمرنا لنسلم وهي في قراءة عبد الله ابن مسعود وما امروا الا ليعبدوا الله - فعلى هذا يكون المعنى وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين - هذا هو الذي ذكره الامام الرازي وعلماء الكلام - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ - اي يصيرون الى نار جهنم يوم القيامة - خَالِدِينَ فِيهَا - حال من الضمير المستكن - أُولَٰئِكَ - اي الموصوفون بصفة التكذيب والتولي - هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ - قال الفراء ان اخذت البرية من البرى وهو التراب - فاصلها غير الهمز وان كان من برأ وبروأ فهو الخلق يقال برأهم اي خلقهم ومن ذلك قوله تعالى

من قبل ان نبرأها ای نخلقها فیکون المعنی علی الاول هم شر اهل الارض علی حذف المضاف وعلی الثانی هم شر الخلق - وکلاهما قول الفراء قال اللحیانی اجمعت العرب علی ترک همز هذه الثلاثة ولم یستثن - إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ - قیل ان خیر البریة هو علی کرم الله وجهه کما روی ابن عساکر فی تاریخه وفیه بحث وقد روی فی الصحیح ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال فی شان ابراهیم علیه الصلاة والسلام انه خیر البریة - والصحیح ان یقال ان المراد بقوله هم خیر البریة المؤمنون الصالحون لانهم خیر البریة بالنسبة الی غیرهم - جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ یقال عدن فلان بالمکان یعدن ویعدن عدنا وعدونا اقام وعدنت البلد توطنته فمعنی جنات عدن ای جنات اقامة لمکان الخلد - تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ - روی فی الاخبار الصحیحة الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء - خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ای مخلدون فی لذاتها - رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ - ای رضوان الله - لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ - وانتهی عن المعاصی بخشیته - تم تفسیر هذه السورة فالحمد لله الذی انعم المؤمنین وتفضل علیهم برضوانه والصلاة علی من انزل علیه القرآن بحججه وبرهانه وعلی آله واصحابه واعوانه

سورة الزلزال وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه السورة مكية - وهو قول عطاء ومجاهد وقال قتادة ومقاتل انها مدنية ذكره ابو حيان - وقرأ الجمهور زِلزالها بكسر الزاء و عيسى بفتحها قال ابن عطية هو مصدر كالوسواس - قال صاحب الكشاف انه بالكسر مصدر وبالفتح اسم وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف انتهى اقول وقال صاحب اللسان ان الفَعلال والفِعلال مطرد في جميع مصادر المضاعف والاسم الزلزال - وزلزل الله الارض زلزلة وزِلزالا بالكسر فتزلزلت هي - قال ابو اسحق وليس في الكلام فعلال بفتح الفاء الا في المضاعف نحو الصلصال والزلزال قال والزلزال بالكسر المصدر وبالفتح الاسم وهذا يؤيد ما ذهب اليه صاحب الكشاف وجمعه الزلازل - ومنه قول عمران بن الحطان -

فَقَدْ أَظَلَّتْكَ أَيَّامٌ لَهَا خَمَسٌ ... فِيهَا الزَّلَازِلُ وَالْأَهْوَالُ وَالْوَهَلُ

واضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها - ولو لم يضف اليها لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل والمراد بهذا الزلزال زلزال يوم القيامة قال الحصين بن حمام وهو من الشعراء الجاهلين

أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْمُخْزِيَاتِ ... يَوْمَ تَرَى النَّفْسُ أَعْمَالَهَا

وَخَفَّ الْمَوَازِيْنَ بِالْكَافِرِيْنَ وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
العُلَمَاءُ ذكروا في اسباب الزلزلة امرين الاول هو ان جسم بخاري او دخاني قوي الحركة كالريح العاصف التي تقلع الاشجار وتقطع الاشجار في الطبقات السافلة - والثاني حدوث جسم سائل سيّال - يذيب المعدنيات شديد الحركة في اسافل الارض والقول الاول ذهب اليه اكثر اهل الطبقات - ومن علامتها تهيج الرياح القاصفة المختلفة وارتكام السحب المدجنة المستطيلة واضطراب الاهوية الهائجة وليس لها زمان مخصوص بل تحدث في زمان اشتدت مادتها في طبقات الارض ومكامنها ولا تحدث على منهاج واحد لان حركات الاجسام السيالة المحتقنة ربما تتصاعد الى فوق لان القوة النارية تقتضي العلو وربما تتجه الى جهة معينة اذا كانت المادة المدفوعة مائعة الى تلك الجهة باعتبار انخفاضها ووهدتها - ثم الزلازل قد تحدث رجفية ويظهر فيها ان الارض تقذف الاجسام السافلة الى فوقها - وربما تحدث اختلاجية رعشية وهي موجية لاختلاف منبعات المواد الى الجهات المختلفة - وربما تتولد مائلة الى القطرين وتسمى القطقطة - و ربما تمتد المواد في العرض غير صاعدة وذلك اذا كانت المواد في المبادي مخلوطة بالاجزاء الترادبية - وهي تعوق عن الحركة الى العلو - واذا استقطت منها هذه الاجزاء لطفت وصارت مستعدة للحركة الى الارتفاع وسميت هذه الزلزلة سلميًا واعلم ان اتجاه الزلازل امر عسير يدهش العقول حدوثها فلا يدرك

شيون حركاتها وفنون رجفاتها ولا يستطيع راصد ذو ثقة ولبيب ذو مرّة ان يرصد اضطرابات الزلازل وارتعاشاتها لكن الحكيم ارسطاطاليس ذكر انه شاهد زلزلة الارض مرارًا في جزائر الروم على شاطئ البلاد المشرقية وقال ان للارتجاجات ثلثة اقسام فانها قد تكون تموّجية افقية - وقد تكون عمودية بان ترتفع الارض تارة وتنخفض تارة وقد تكون رحوية بان الارض تدور حول مركزها والغالب ان تحدث العمودية والافقية في زمان واحد وقال بعض من شاهدها ان العمودية داهية دهياء لانها تقذف الطبقات السافلة فوق الارض والاشياء صارت بها مطحونة مدقوقة فترى الارض كانها مغارات وكهوف عميقة وربما ينفجر منها المياه الحارة شديدة السخونة تتلاطم منها امواج حامية تذيب الاحجار الصلبة - وما قيل ان سلاسل الجبال وامتداد ذات الاطواد والعقبات تمنع انتشار الزلازل فليس بشئ لان تلك السلاسل واحتقان حرارتها علة لحدوثها ولان مواد الزلازل قوية برقانية لا تزاحمها الجبال ولا تدفعها الاطواد بل تذيبها تلك المواد وتكسر قواها وتفص اعضاءها - فتصير الجبال كالعهن المنفوش او مثل الفراش المبثوث فتطير بها في الجو كالهباء المنثور - بل تخرج منها طفحات نارية تحرق ارجائها وتوقد اشجار البوادي والبراري فيهد الجبال وتفسح شقوق الاراضي وتفع القطور في كل جهة اما اسبابها الفاعلية فهي امور اما قرانات عظمى وانطباق المنطقتين او قرب انطباقهما او اتحاد الاوج والحضيض ...

اسبابٌ فلكيّةٌ مؤثرةٌ عند الحكماء في اجسامٍ كائنةٍ تحت فلك القمر - وزعموا انّ سبب طوفان نوح عليه السّلام كان اجتماع الكواكب في برج مائيٍّ وطوفان عاد اجتماعها في برج هوائيٍّ وكذا الزلزلة التي وقعت في زمان لوط عليه السلام كانت باسباب سماوية مؤثرة في مواد الطبقات الارضية - وهذه زلازل الدنيا اما الزلزلة التي ذكرت في هذه السورة فسببها ايضا جسمٌ هوائيٌّ بخاريٌّ تموجٌ يخرجه نفخ اسرافيل عليه السّلام من صورة هو اشدّ الرّياح الكاسرة المفتتة ليس فوقها قصفٌ ولا عصفٌ فيفسد السموات والارض وينتثر الكواكب من مجاريها وتنسِفُ الجبال والاعلام من اصولها حتى تفسد الاكوان وتخرب القيعان والعمران - وَاَخْرَجَتِ الْاَرْضُ اَثْقَالَهَا - اى جميع ماكانَ فى بطنها من الاموات والدّفائن والاثقال جمع ثقل قال الفرّاء لفظتْ مافيها من ذهبٍ وفضّةٍ اوميت انتهى قال الحسين بن حجاج

وَنَادَى مُنَادٍ بِاَهْلِ الْقُبُوْرِ فَهَبُّوْا لِتَبْرُزَ اَثْقَالُهَا

قال ابو عبيدة والاخفش الميّت في بطن الارض ثقل لها واذا كان فوقها ثقل عليها - وَقَالَ الْاِنْسَانُ مَا لَهَا - ما للتعجّب قال اهل التفسير المراد بالانسان هو الكافر لانّه يرى شيئًا لم يكن مظنونًا في قلبه يَوْمَئِذٍ - بدل من اذا اي يوم زلزلت واخرجت تُحَدِّثُ اَخْبَارَهَا - جواب اذا عند الجمهور وهو الناصب لها اى تنبئ الارض يومئذ بما اكتسب المكلفون من خير وشر والمراد بتحديثها تحديث اهلها من كل عمل كما روي في الترمذى انه صلى الله عليه وسلم

قرأ هذه الآية ثم قال اتدرون ما اخبارها - قالوا الله ورسوله
اعلم فقال ان اخبارها - ان تشهد على كل عبد او أمة بما عمل
على ظهرها تقول عمل كذا يوم كذا فهذه اخبارها - وقيل يراد بها
الاحوال الواردة على نفس الانسان من الخير والشر فعبّر ها
بالاخبار على سبيل المجاز - بِأَنَّ رَبَّكَ - والاضافة في ربك
تدل على عظم شان المضاف اليه - أَوْحَىٰ لَهَا - اي الهمها - وقد
يتعدى الايحاء باللام كما في قول العجاج يصف الارض -
اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت
اي اوحى اليها فهو مجاز بمعنى الى - فيكون معنى اوحى لها امرها اي
اوحى اليها وقال الفراء معناه اشار اليها قال العرب اوحى واوحى
بمعنى واحد وعندي ان هذا الوحي من باب واوحى ربك الى النحل
ومن باب قول الشاعر + قد قالت الانساع للبطن الحقي + --
والباء في قوله بان ربك متعلقة بتحدث يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ
يومئذ ظرف لقوله يصدر الصدر اي الانصراف عن الورد
وعن كل امر - يقال صدر القوم عن المكان اي رجعوا عنه وصدروا
الى المكان اي صاروا اليه ورجعوا - فيكون معناه يرجعون أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ - منصوب على الحال جمع شت ومعناه الافتراق
يقال شتّ شعبهم - اي تفرق جمعهم - قال الطرماح -
شت شعب الحي بعد التئام وشجاك الربع ربع المقام
قال ابن بحر اي يصدرون متفرقين فمنهم من عمل صالحا ومنهم
من عمل النار - ومنه قوله تعالى - وقوله يومئذ يتفرقون نصرفه

والمعنى انهم يبعثون ثم ينصرفون الى المحشر حال كونهم متفرقين لروية اعمالهم المكتوبة فى صحائفهم - فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا - المثقال فى الاصل مقدار من الوزن اى شيئ كان من قليل ومن كثير فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والذرة النملة ومنه قول امرئ القيس -

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْدَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِ فَوْقَ الْاِتْبِ مِنْهَا لَاَثَّرَا

والخير العمل الصالح اى من عمل مقدار نملة من العمل الصالح يَّرَهٗ - اى ذلك العمل الصالح فى الآخرة وذلك لانه تعالى رحيم كريم يترحم على عباده كما قال الله - اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فمن عمل عملا صالحا مقدار ذرة اى قليلا فانه يجازيه بكرمه - وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهٗ - واستشكل فى هذه الآية وهو ان حسنات الكافر محفوفة بكفره وسيئات المؤمن اما مغفورة ابتداء او بسبب الاحتراز عن الكبائر فاى شيئ يراه فى الآخرة بمثقال ذرة من خير ومن شر - وجوابه ما روي عن ابن عباس رضى الله عنهما فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك فى الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شئ ويمكن ان يقال ان هذه الآية فى شان المؤمنين فيكون المعنى ان المؤمن لا يعمل عملا من خير ولا شر الا وهو يرى جزاءه فى الآخرة وهذا هو العدل لكن رحمته السابقة على الغضب تكون سببا للعفو عن معاصيه فيغفر له بفضله وكرمه قبل ان يجزيه وكمال الاجزاء هو دخولهم النار كما قال الله تعالى من تدخل

النار فقد اخزيته - ولا خزيان يومئذ للمؤمنين - كما قال الله تعالى يوم لا يخزى الله النبيّ والذين اٰمنوا معه - فلا يكون الخزيان للكافرين وتمام هذا البحث في شرحنا على الفقه الاكبر للامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه الذي رواه ابو مطيع البلخي رح قد تم تفسير سورة الزلزال بعون الله المتعال مالك العرش ذي الاكرام والجلال والصلوٰة على نبيه صاحب الكمال المرآة لسائر صفاته من شيون الجلال والجمال وعلى اٰله واصحابه الذين هم ائمة ارباب الكمال

سورة العاديات وهي احدى عشرة اٰية فهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والعٰديٰت - قال ابن عباس رضي الله عنه العادية الخيل - وقال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه هي الابل ومن العدو والعدو ان والعدا كلاهما الشديد العدو - وانشد ابن بري شاهدًا عليه قول الشاعر

وطخر بن عمرو بن الشريد فانه اخو الحرب فوق السابح العدوان

وقال الاعشى

والقارح العدا وكل طمرة لا تستطيع يد الطويل قذالها

قال صفیہ بنت عبد المطلب

فَلَا وَ الْعَادِيَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ بِأَيْدِيهَا إِذَا سَطَعَ الْغُبَارُ

روى ابن عباس رضی اللہ عنہ قال بینا أنا جالس عند الحجر إذ أتاني رجل فسأل النبی عن العادیات ضبحا ففسرتها بالخیل فذهب الی علی کرم اللہ وجہہ - وهو تحت السقایة ای زمزم فسأله وذکر له ما قلتُ فقال ادعُه لی فلمّا وقفتُ علی رأسه قال تُفتی الناس بما لا علم لک به واللہ إن کانت لاوّل غزوةٍ فی الاسلام - وما کان معنا إلّا فرسان فرس للزبیر وفرس للمقداد والعادیات ضبحا من عرفة الی مزدلفة ومن المزدلفة الی منیً یعنی ابل الحاج قال ابن عباس رضی اللہ عنہ - فرجعت من قولی الی قول علی رض قال الجوهری والعادیة من الابل المقیمة فی العضاة لا تفارقها ولیست ترعی الحمض انتہی ومنہ شعر کثیر

رَأَيَ صَاحِبِي فِي الْعَادِيَاتِ نَجِيبَةً وَأَمْثَالُهَا فِي الْوَاضِعَاتِ الْقَوَامِسِ

الواضع هو البعیر المسرع والقامس هو المضطرب والاکثرون من اهل التفسیر اختاروا قول ابن عباس رضی اللہ عنہ لانّ الایات الاتیة تناسب هذا المعنی وقالوا العادیات هی الخیل - ضبحا الضبح الصوت یقال ضبح یضبح ضباحا ای صوّت - قال الازهری قال اللیث الضُباح بالضم صوت الثعالب - وفی حدیث ابن الزبیر قاتل اللہ فلانا ضبح ضبحة الثعلب - وقبع قبعة القنفذ - وروی عن ابن عباس رضی اللہ عنہ لیس یضبح من الحیوان غیر الخیل والثعلب قال صاحب اللسان والضبح فی الخیل اظهر عند اهل العلم قال ابن

عباس رض ما ضبحت دابة الا الكلب او فرس - قال ابو اسحق ضبح الخيل صوت اجوافها اذا عدت - وقال ابو عبيدة ضبحت الخيل وضبعت اذا عدت وقال فى كتاب الخيل هو ان يمد الفرس ضبعيه اذا عدا كانه على الارض طولا - وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدت وليس بصهيل والمعنى ان الله سبحانه اقسم بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وضبحا مصدر منصوب بحذف فعله اي تضبح ضبحا او ان يكون العاديات بمعنى الضابحات اي الضابحات ضبحا او الضبح بمعنى الفاعل فيكون حالا اى العاديات ضابحات - ويكون المعنى على قول على رضى الله عنه وكرم الله وجهه اقسم الله سبحانه بالابل التى تعدو من عرفة الى مزدلفة ومن المزدلفة الى منى وتكون هذه الابل ابل الحجيج فالموريت قدحا - الايراء اخراج النار - والقدح الصك ومنه شعر جرير

وجدنا الازد اكرمهم جوادا واوراهم اذا قدحوا زنادا

وقال عنترة

هرجاجك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

قال الزجاج اذا عدت الخيل بالليل واصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النيران - والمعنى على ماذهب اليه على رضى الله عنه - ان الذين يركبون الابل وهم الحجيج اذا اوقدوا نيرانهم بالمزدلفة - وهذا المعنى حقيقة فى ايراء النار - قال الامام الرازى ان لفظ الايراء حقيقة فى ايراء النار وفى غيره مجاز ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل - قال ابن مسعود رضى الله عنه اذا اسفت

الحصیٰ بمناسبها فضرب الحصیٰ بعضه بعضًا فیخرج منه النار انتهی
ولیس فی هذا التاویل لزوم الایراء - فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا - قال
الاصمعی اغار بمعنی اسرع - وقال الجوهری اغار ای شد العدو
واسرع واغار الفرس اغارة اشتد عدوه واسرع فی الغارة وغیرها
فالمعنی ان خیل الغزاة تشتد العدو وتغیر صباحًا لان الفرسان
لایبصرون شیئًا فی دجی اللیل فیصبحون حتی یروا الاعداء وبیوتهم
وهم فی الرقدة والسنة فیحملون نهبهم ویغیرونهم - واما علی
قول علی رضی الله عنه وکرم الله وجهه - وهی الابل تدفع برکبانها
یوم النحر من مزدلفة الی منیً والسنة ان لاتغیر ای تسرع حتی
تصبح فالاغارة اسراع الابل کما قلنا انفًا - والعرب کانوا یقولون
فی الجاهلیة اشرق ثبیر کیما نغیر ای نسرع فی الافاضة - فَأَثَرْنَ
بِهِ نَقْعًا - قرأ الجمهور بتخفیف الثاء - یقال ثار النقع واثرته ای هاج
وهیجته - وقری أثّرن بتشدید الثاء من التاثیر - ومعناه الاظهار
ای اظهرن ومنه قول الشاعر -

یُثَرْنَ مِنْ اَکْدَرِهِنَّ بِالدَّقْعَاءِ   مُنْتَصِبًا مِثْلَ حَرِيْقِ الْقَصْبَاءِ

ای یظهرن - والضمیر فی قوله به یرجع الی الصبح - والنقع الغبار
کما هو فی قول بشار

کَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا   وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوٰی کَوَاکِبُهٗ

وقال صاحب اللسان النقع رفع الصوت ونقع الصوت واستنقع
ای ارتفع - قال لبید

فَمَتٰی يَنْقَعُ صُرَاخٌ صَادِقٌ   يُجْلِبُوْهَا ذَاتَ جَرْسٍ وَزَجَلٍ

اى متى يرتفع صراخ - فالمعنى على القراءة الاولى ان الخيول اثرن بالصبح غبارا ساطعا لشدة العدو وفى الارض التى صبحن فيها وعلى القراءة الثانية اظهرن صياحا - لشدة السير العدو فى وقت الصباح - فوسطن به جمعا ذكر الامام الرازي قال الفراء والضمير فى قوله تعالى به الى ماذا يرجع فيه وجوه احدها قال مقاتل اى بالعدو وذلك ان العاديات تدل على العدو فجازت الكناية عنه وقوله جمعا يعنى جمع العدو والمعنى صرن بعدوهن وسط جمع العدو ومن حمل الآيات على الابل قال يعنى جمع منى - وثانيها ان الضمير عائد الى النقع اى وسطن بالنقع والجمع وثالثها المراد ان العاديات وسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء انتهى - والوسط بمعنى التوسط قال ابن بري وقرأ على كرم الله وجهه - وسطن بالتشديد والجمع اسم للمزدلفة وليس بجمع من الناس قال ابو حيان وقال بشر بن حازم -

فوسطن جمعهم وافلت حاجب تحت العجاجة فى الغبار الاقتم

انتهى - اقول والحاجب ناحية الشمس - ان الانسان لربه لكنود - اى الكفور - قال الواحدي اصل الكنود منع الحق والخير انتهى - يقال ارض كنود لا تنبت شيئا - ويقال رجل كناد وكنود اي جحود وقيل هو الذي ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الزجاج معناه لكفور ومنه قول النمر بن تولب فى وصف امرأته -

كنود لا تمن ولا تفادي اذا علقت حبائلها برهن

قال ابو عمرو اى كفود للمودة - قال بعض اهل اللغة الكنود من الكند

وهو القطع - الا ان ابن سیدہ کان یقول ولا اعرف له فی اللغة اصلا
قال ابن عباس ومجاهد وعکرمة والضحاك وقتادة الکنود هو الکفور
قال ابو حیان روی عن ابن عباس رضی الله عنهما - الکنود بلسان
کندة وحضرموت العاصی وبلسان ربیعة ومضر الکفور وبلسان
کنانة البخیل السیئ الملکة قاله مقاتل وقال الکلبی وبلسان بنی مالك
البخیل انتهی والقول ما قال ابن عباس رضی الله عنه - واللام فی قوله
الانسان للجنس یعنی ان جنس الانسان لکفور الا من رحمه الله
وهذا مثل قوله اِنَّ الانسان لفی خسر الا الذین امنوا وعملوا
الصالحات - وروی انها نزلت فی قرط بن عبد الله بن عمرو نوفل
القرشی - وهو جواب للقسم - وَاِنَّهٗ عَلٰی ذٰلِکَ - ای علی کنوده
لَشَهِیْدٌ - وقال بعضهم اِنَّ الضمیر فی انّه یعود علی الله تعالی
ای الله تعالی شاهد علی اعمال الانسان من السیئات وفیه نظر
لانّ الضمیر فی قوله - وَاِنَّهٗ لِحُبِّ الْخَیْرِ یرجع الی الانسان
فکذا فیه - وَاِنَّهٗ - ای الانسان - لِحُبِّ الْخَیْرِ - الخیر المال
ومثله قوله تعالی - اِن ترك خیرا ای مالا - لَشَدِیْدٌ - ای شحیح
ممسك وبخیل متشدد - قال ابو ذویب -

حَدَرْنَاهُ بِالْاَثْوَابِ فِیْ قَعْرِ هُوَّةٍ شَدِیْدٍ عَلٰی مَا ضُمَّ فِی اللَّحْدِ جُوْلُهَا

اراد شحیح ممسك - وقال طرفة

اَرَی الْمَوْتَ یَعْتَامُ الْکِرَامَ وَیَصْطَفِیْ عَقِیْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

وقال بعض المفسرین ان الشدة هو الصلابة والاستحکام - ای
الانسان فی حب المال صلب مستحکم - والیه ذهب الفراء وقال اصل نظم

الاٰية ان يقال وانه لشديد الحب للخير - انتهىٰ اقول والمعنى الاول
اثبت واحسن - وهذا المعنى يستلزم تغير نظم القراٰن والله اعلم
قيل ان اللام في لحب الخير لام علة اى لاجل حب الخير - اَفَلَا يَعْلَمُ
إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ - فاعل افلا يعلم هو الانسان - وانما لم
يقل من في القبور - لان الناس وقت البعث لا يكونون عقلاء بل
بعد ما يصيرون الى الموقف يكونون عقلاء - ومفعول لا يعلم محذوف
اى افلا يعلم ما يكون عاقبة امره - قال الفراء اذا اخرج ما فيها
وقال بعثر وبحثر لغتان والمعنى واحد - وقال الزجاج بعثر
اى قلب ترابها - يقال بعثر وامتاعهم وبحثروه اذا قلبوه وفرقوه
و بددوه - و قلبوا بعضه فوق بعض وقال ابو عبيد لامعنا اثير
واخرج - والمعاني متقاربة - ومثله قوله تعالى واذا القبور بعثرت
قرأ الجمهور بعثر بالعين مبنيا للمفعول - وقرأ الاسود بن زيد بحث
وقرأ نصر بن عاصم بحثر بالحاء مبنيا للفاعل - وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ
قرأ الجمهور حصل بتشديد الصاد مبنيا للمفعول - وقرئ حصل
بالتخفيف مبنيا للفاعل اى ظهر ما في الصدور من الخير والشر
مكتوبا في صحائف الاعمال قال ابو عبيد حصل اى ميز في الصدور
وقال الليث الحاصل من كل شئ ما بقي وثبت وذهب ما سواه
والتحصيل تمييز ما يحصل والاسم الحصيلة قال لبيد -
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه اذا حصلت عند الاله الحصائل
إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ - اى في يوم البعث لَخَبِيرٌ - اى خبير
باعمالهم فيجازيهم قرأ الجمهور ان بكسر الهمزة ولخبير باللام فهذه

الجملة مستانفة ويومئذ وبهم متعلقان بخبير وهو العامل فيهما وقرأ ابو السمال بفتح الهمزة وبغير اللام وعلى هذا التقدير يكون هذه الجملة تحت قوله افلا يعلم - قال ابو حيان ولا يمكن اعمال خبير في اذ لكونه في صلة ان المصدرية ولا يمكن ان يقدر له عامل فيه من معنى الكلام فانه قال يجزيهم اذا بعثر وعلى هذا التقدير يجوز ان يكون تعلم معلقة عن العمل في قراءة الجمهور وسدت مسد المفعول في ان وفي خبرها اللام ظاهر اذ هي في موضع نصب بيعلم واذا العامل فيهما من معنى مضمون الجملة وهو يجزيهم اذا بعثر انتهى - وهذه الاية تدل على انه تعالى عالم بالجزئيات المادية والزمانية متعال عن التغير والحدوث تم هذه السورة فالحمد لله رب العلمين والصلوة على محمد واله واصحابه اجمعين

سورة القارعة ثمان ايات وقيل احدى عشرة اية وقيل عشر ايات

وهي مكية بلا اختلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة - قال ابو نصر القارعة من شدائد الدهر - وهي الداهية قال رؤبة — وخاف صدع القارعات الكدّه - قال يعقوب

القارعة کل ھنۃ شدیدۃ القرع - وھی القیامۃ وھو قول الفراء
ومنه قول الشاعر

وما رمیت علی خصم بقارعۃ الا منیت بخصم فرّ لی جذعا

یعنی حجۃ وکله من القرع الذی ھو الضرب ولذلك قیل لیوم القیامۃ القارعۃ و قال الاصمعی یقال اصابته قارعۃ - یعنی امرا عظیما یقرعه - قال ابن عباسؓ ھی من اسماء القیامۃ لانھا تقرع القلوب بالفزع - و قیل اصل القرع الصوت الشدید ومنه قوارع الدھر و انما سمیت القیامۃ قارعۃ لان سببھا الصیحات فالاولی منھا تخرب السموات والارض و تکون سببا لفساد العالم فتدھش بھا النفوس والعقول کما قال الله تعالی - فصعق من فی السموات والارض والثانیۃ تموت بھا الخلائق سوی اسرافیل علیه السلام - فیمیته الله ثم یحییه حتی ینفخ الصیحۃ الثالثۃ فیقومون غیر شاعرین وھی مبتدأ وخبرہ ما القارعۃ - قرأ الجمھور بالرفع و قرئ بنصبھا علی تقدیر فعل ای احذروا القارعۃ - وما استفھامیۃ وفیه معنی التفخیم والتھویل قال ابو حیان قال الزجاج والعرب تحذر و تغری بالرفع کالنصب
قال الشاعر

اخو النجدۃ السلاح السلاح

و قیل ما زائدۃ للتوکید ای اذکروا القارعۃ - وما ادرٰك ما القارعۃ ھذا تاکید لشدۃ ھولھا ومزید فظاعتھا والمعنی وای شیء اعلمك ما شان القارعۃ - وھذہ الآیۃ مثل قوله تعالی - الحاقۃ ما الحاقۃ وما ادرٰك ما الحاقۃ - یوم یکون الناس کالفراش المبثوث - قال صاحب الکشاف

الظرف نصب بمضمر دلّ عليه القارعة اي تقرع يوم يكون النّاس
انتهى - و قيل اذكر يوم - وقرأ زيد بن علي يوم يكون مرفوع الميم
اي وقتها يوم يكون النّاس - و الفراش جمع الفراشة وهي التي تطير
و تهافت في السّراج - و قال الزجّاج الفراش ما تراه كصغار
البق يتهافت في النار شبّه الله عزّ وجلّ النّاس يوم البعث بالجراد
المنتشر لانّهم اذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الّذي
يموج بعضه في بعض - و قال الفرّاء يريد كالغوغاء من الجراد
يركب بعضه بعضاً - كذلك النّاس يجول يومئذٍ بعضهم في بعض
و قال الليث الفراش الذي يطير - و انشد

اودى بحلمهم الفياش فحلمهم   حلم الفراش غشين نار المصطلى

و هو قول جرير الفياش الضعف و المبثوث من بثّ يبثّ اي نشر
قال الله تعالى - وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً - اي نشر و في
حديث امّ زرع زوجي لا ابثّ خبره اي لا انشره قال ابو كبير

ثمّ انصرفت و لا ابثّك حيبتي   رعش البنان اطيش مشي الاصور

اراد و لا اخبرك بسوء حالي الاصور المائل العنق - وَتَكُوْنُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوْشِ - العهن المصبوغ المتلوّن بالوان - و في
حديث عائشة رضى الله عنها - انها فتلت قلائد هدي رسول الله
صلى الله عليه و سلّم من عهنٍ وقيل كلّ صوف عهنٌ - و الاول هو
الصّحيح ومنه بيت زهير ابن ابى سلمى -

كانّ فتات العهن في كلّ منزلٍ   نزلن به حبّ الفنا لم يحطّم

اى عهن امسلن مثل لون حبّ الفنا - النفش له معانٍ الاوّل الصّوف

والثاني مَدّك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض - والثالث ندف القطن والصوف والمعنى هنا المندوف اي منتفش الاجزاء اي تكون الجبال التي هي اشد المخلوقات كالصوف المندوف الذي تطير اجزاءه في الهواء كالاهباء وذلك لشدة نفخ الصور - ولا يخفى عليك ان بيان الساعة واهوالها في هذه السورة على طريق الاجمال وقد ذكر تفصيلها في كثير من السور فبعد الاكتفاء عليه قال الله تعالى - فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - اي ثقلت حسناته - والمراد بالموازين اما جمع موزون فهي الاعمال التي لها خطر عند الله وهو قول الفراء او هو جمع ميزان وهو الآلة التي توضع فيها الصحائف ولكل شيء ميزان يناسبه فميزان الجسمانيات للوزن ميزان جسماني وكذا ميزان غيرها من الاشياء فهو ما يلائمها فميزان الخطوط يسمى مسطرة وميزان النقدين المحك وميزان الشعر هو علم العروض وهو الذي انتسب الى الخليل بن احمد وميزان الكلام العربي النحو وميزان الافكار هو المنطق فالميزان الذي يوزن فيه الاعمال يمكن ان يكون مثل هذه الموازين وان لم ندرك حقيقتها وانكر المعتزلة وزن الاعمال فانكارهم انكار الامور الممكنة - فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ - العيش الحيات يقال عاش يعيش عيشًا - وعيشة - والعيشة ضرب من العيش يقال عاش عيشة صدقٍ وعيشة سوءٍ - ويلحق التاء بالعيش بكسر العين ولا يلحق به بفتح العين - فلا يقال عَيشة - والراضية بمعنى المرضية - قال السكاكي وهذا من قبيل المجاز العقلي فيما بني للفاعل واسند الى المفعول به اذ العيشة مرضية لا راضية

و قال الخليل انه لا مجاز فيه بل الراضية بمعنى ذات رضى و المعنى ان الذين ثقلت موازينهم فهم في عيشة مرضية او في عيشة ذات رضى - و اما من خفت موازينه فامه هاوية - ام الشيء اصله و الام و الامة الوالدة و انشد ابن بري -

تقبلها من امة ولطالما تنوزع في الاسواق منها خمارها

و انما اريد بالام و الوالدة لانها اصل الولد و ماواه فيكون المعنى مسكنه و ماواه هاوية - و هي اسم من اسماء جهنم و هي معرفة بغير الف و لام - قال الفراء في فامه هاوية - قال بعضهم هذا دعاء عليه كما تقول هوت امه و انشد قول كعب بن سعد الغنوي يرثي اخاه

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

و يبعث من البعث من النوم - و يؤوب يرجع قال الفراء و هوت امه دعاء لان ولدها اذا هوى اي سقط و هلك فقد هوت امه ثكلا و حزنا فقال الشاعر هذا عند التعجب و يمدحه و وصف غدوه و رواحه و معنى البيت اي شيء يبعث الصبح منه غاويا و اي شيء يرد الليل منه اتيا لبعثه في طلب الغارة و رجوعه غانما و حذف كلمة منه في قوله و هذا كثير في قولهم - والحاصل ان معنى هوت امه هلكت امه و تقول هوت امه فهي هاوية اي ثاكلة - و قال بعضهم امه هاوية اي صارت هاوية ماواه كما تؤوي المرأة ابنها فجعلها اما لها اذ لا ماوى غيرها و قال بعضهم ام راسه تهوي في النار لانه يطرح فيها منكوسا فيؤوي قعر جهنم راسه - قيل و هذا قول قتادة و الهاوية و ان كانت علما لجهنم فمعناها كل مهواة لا يدرك

قعرھا - وباعتبار ھذا المعنی سمّیت جھنّم ھاویۃ - قرأ الجمھور فامّہ بضم الھمزۃ وطلحۃ بکسرھا - قال ابو حیّان قال ابن خالویہ وحکی ابن درید انّھا لغۃ - والنحویّون لا یجوّزون کسر الھمزۃ الّا ان یتقدّمھا کسرۃ او یاء انتھی - وَمَآ اَدْرٰىكَ مَاهِيَهْ - الضمیر یرجع الی ھاویۃ والھاء فیہ ھاء السکت قیل وتحذف ھذہ الھاء فی الوصل - نَارٌ حَامِيَةٌ ای ھی نار حامیۃ ای بلغ حرّ تلک النار فی الشدّۃ الی الغایۃ فاستعیذ باللہ من حرّھا - تمّ تفسیر ھذہ بحمد اللہ الرّؤف الرّحیم والصّلوٰۃ والتسلیم علی نبیہ الکریم الذی بعثہ اللہ علی خلق عظیم - وعلی اٰلہ واصحابہ الذین ھم الھادون الی دار النعیم

سورۃ التکاثر ھی ثمان اٰیات وھی مکیۃ عند الجمھور

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

اَلْھٰكُمُ - ای اعرضکم - من اللّھو - یقال لھوت بالشیٔ الھوبہ ای غفلت بہ عن غیرہ - وکذا یقال الھاہ ای شغلہ ومنہ قول کعب ابن زھیر

وَقَالَ کُلُّ صَدِیْقٍ کُنْتُ اٰمُلُهٗ لَا اُلْھِیَنَّکَ اِنِّیْ عَنْکَ مَشْغُوْلُ

ای لا اشغلنّک فانی مشغول فاعمل لنفسک ماشئت - التَّکَاثُرُ التباھی بالکثرۃ - قال الفرّاء نزلت فی حیّین تفاخروا ایّھم اکثر عددًا وھم بنو عبد مناف وبنو سھم فکثرت بنو عبد مناف بنی سھم فقالت بنو سھم ان البغی اھلکنا فی الجاھلیۃ فعادّونا بالاحیاء

وَالاموات فکثرتهم بنو سهم - فانزل الله هذه الآیة - حَتّٰی زُرۡتُمُ الۡمَقَابِرَ - ای شغلکم التکاثر ای التفاخر بکثرة العدد والمال حتی زرتم المقابر ای حتی متّم قال جریر للاخطل -

زار القبور ابو مالکٍ فاصبح الأم زوّارها

فجعل زیارة القبور عبارة عن الموت وفیه زجر للذین یتفاخرون بکثرة عددهم وامو الهم واولادهم ویتنازعون فیهم ویضیعون اعمارهم فی طلب المعالی فی الدنیا واهتمامهم فی ابتغاءها وکدّهم فی اکتساب رغائب الدنیا وزخارفها والهائهم عن امر الدّین الذی هو اهمّ واشتغالهم فی الملاهی التی هی وبالٌ فی حقهم ونکال لهم فی الآخرة وما هذا الاضلال مبینٌ - کَلَّا - کلمة ردع وایقاظ لمن هو موصوف بهذه الخلال الردّیة - سَوۡفَ تَعۡلَمُوۡنَ - ای لیس الامر کما یتوهّمون والمعنی ان التفاخر بالمال والتنافس بکثرة الاولاد والعدد لیس تفاخرًا وتنافسًا حقیقیةً بل التفاخر هو اکتساب السعادة الابدیّة واستحصال الخصائل الملکیة وهذا المعنی اذا کان کلمة کلّا مربوطةً بما قبلها واما اذا کانت متعلّقةً بما قبلها فهی بمعنی حقًّا - ای سوف تعلمون انّ ما توهّمتم من التفاخر کان خطأً اذا شاهدتم خلاف ما کنتم تتفاخرون وفیه انذار شدیدٌ لیخافوا ویتنبهوا عن غفلتهم - ثُمَّ کَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُوۡنَ - تکریر للتاکید - وفیه انذارٌ وتهویل علی وجه التغلیظ هذا قول صاحب الکشاف تاکیدٌ للردع والانذار وثمّ دلالةٌ علی انّ الانذار الثانی ابلغ من الاوّل واشدّ کما تقول

للتصويح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطاب فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى - وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث فغاير بينهما بحسب التعلق - وقال الضحاك الزجر الاول ووعيد للكافرين والثاني للمؤمنين - روى عن ابي ذر انه قال كنت اشك في عذاب القبر حتى سمعت علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يقول ان هذه الاية تدل على عذاب القبر وانما قال ثم لان بين العالمين والحياتين موتا - والمعنى لا يغرنهم كثرة مال وولد ترى حولهم لانهم يموتون فرادى ويحاسبون فرادى كما قال الله تعالى يوم يأتينا فردا - وقال ولقد جئتمونا فرادى واذا كان كذلك لا يجوز للعاقل ان يتفاخر على كثرة العدد والمال والعدد - كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ - اعاد لفظ كلا وهو للزجر وحسنت اعادتها لان الله ذكر بعدها شيئا اخر لم يذكر قبلها ففي هذا التكرار فائدة جديدة - اختلف في جواب لو - قال ابو حيان حذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو الهاكم التكاثر - انتهى وهو قول الاخفش - وقال ابو مسلم لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به او لو علمتم لاي شيء خلقتم لاشتغلتم - انتهى - وقال بعض المفسرين ومعناه يا ايها الكافرون لو كنتم تعلمون مال حب المال والطغيان فيه لكنتم من الصالحين واعرضتم عن زخارف الدنيا وزبرجانها ووساوس اهلها وقد عبدتها وقال بعضهم انه حذف جوابها لعظم التهويل والانذار لانه اذا حذف ذهب الوهم الى كل مذهب من الخوف والهول - وهذا ابلغ في الانذار كما قال الله تعالى - فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ فابهم فيه معنى الغشيان

ليذهب لوهم الى فخامة الغشيان وعظمه - والمراد باليقين هو تحقيق أمر في القلب الثابت فيه فلا يزول عنه بشيء يضاده - ومنه قول الشيخ الاكبر

فَإِنْ تَزَلْزَلَ عَنْ حُكْمِ الثَّبَاتِ فَمَا هُوَ الْيَقِيْنُ الَّذِي يَقْوِي به خَلَدِي

وضده الشك كما ضد العلم الجهل - وحكمه سكون النفس بالمتيقن واطمينانها وقد يجيء بمعنى الظن كما قال ابو سدرة الاسدي -

تَحَسَّبَ هَوَّاسٌ وَأَيْقَنَ أَنَّنِيْ بِهَا مُفْتَدٍ عَنْ وَاحِدٍ لَا أُغَامِرُهْ

والمعنى تشمم هواس اي اسد ناقتي وظن انني افدى بها واتركها له ولا اقتحم المهالك بمقاتلته وانما سمى الاسد هواسا لانه يهوس لفريسة اي يدقها - وهذا الاستعمال قليل والاكثر انه يستعمل بالمعنى الذي قلنا - قال الشيخ الاكبر وانما جعل له علما وعينا وحقا لانه قد يكون يقينا ما ليس بعلم ولا عين ولا حق - ويقطع به من حصل عنده وهو صاحب يقين قال لان الجاهل يتيقن ما الظان انه ظان والشاك انه شاك فيما هو شاك وكل واحد صاحب يقين قاطع بحاله الذي هو عليه علما كان او غير علم انتهى وبهذا اظهر لك الفرق بين العلم واليقين - وعلى هذا التقدير لا يلزم اضافة الشيء الى نفسه اما بيان اقسامه فاعلم ان في العالم بيتا يسمى الكعبة ببلدة تسمى مكة لا يتمكن لاحد الجهل بهذا ولا يدخله شبهة ولا يقدح في دليله دخل فاستقر العلم بذلك فاضيف الى اليقين الذي هو الاستقرار بان لله بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة تحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به فهذا علم اليقين - ثم شوهد هذا البيت عند الوصول اليه بالعين المحسوسة فاستقر عند النفس بطريق العيان كيفيته وهيئته وحاله فكان ذلك عين اليقين الذي كان قبل شهوده

علم یقین و حصل فی النفس برؤیته ما لم یکن عندها قبل رؤیته-ثم فتح الله عین بصیرته فی کون ذلک البیت مضافاً الی الله مطافاً به مقصوداً دون غیره من البیوت المضافة الی الله فعلم علة ذلک وسببه باعلام الله لا بنظره واجتهاده فکان علیه بذلک حقاً یقیناً مقرراً عنده لا یزول فکل ما کان حقاً فله قرار ولیس هذا الکل علم وعین-فلذلک صحت اضافة هذه الاشیاء الی الیقین فلو کان علم الیقین وعینه وحقه نفس الیقین ما صحت الاضافة لان الشئ الواحد لا یضاف الی نفسه لان الاضافة لا تکون الا بین مضافٍ ومضافٍ الیه فتطلب الکثرة حتی یصح وجودها ومن لم یفرق بین الیقین والعلم ویقول ان العلم هو الیقین وقد ورد فی کتاب الله مضافاً احتاج الی طلب وجهٍ فی ذلک تصح له به الاضافة لیؤمن بما جاء من عند الله فقال قد یکون المعنی واحداً ویدل علیه لفظان مختلفان فیضاف احد اللفظین الی الآخر فانهما غیران بلا شک فی الصورة مع احدیة المعنی لان لفظة العلم ما هی لفظة الیقین لهذا التغایر فصحت الاضافة فی الالفاظ لا فی المعنی-وانما احتال من احتال هذه الحیلة لقصور فهمه عما تدل علیه الالفاظ فی الموضوعات من المعانی-فلو علم ذلک لعلم ان المدلول لفظة العلم غیر مدلول لفظة الیقین-واذا تقرر هذا فقد علمت معنی علم الیقین وعینه وحقه-وقد عرفت ان الیقین هو کل ما ثبت واستقر ولم یتزلزل فعلم ذلک علم الیقین وشهود ذلک عین الیقین-وانکشاف وجوب الحکمة فی ذلک العین حق الیقین-هذا ما ذکره الشیخ الاکبر فی الفتوحات فی فصل الیقین ونحن لخصناه-فیکون المعنی لو تقرر فی قلوبهم قبح التکاثر

في العدد والاموال لتر ادد کوه لکان خیر الهم - لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ - جواب قسم محذوف - اي روية الجحيم امر ثابت فلو ادرکوه لکان خيرٌ الهم علم اليقين وفيه وعيد شديد كما لا يخفى - والجحيم اسم من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى - قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم - قال ابن سيده الجحيم النار الشديدة التاجج - يقال تجحم جحوما اي تتوقد توقدا وراءيت جحمة النار اي توقدها وانشد الاصمعي في صفة النصال ؛ وضالة مثل الجحيم الموقد ؛ شبه النصال وحدتها بالنار ضالة من الضال وهو الصغر والدقة - قرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء - ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا - التكرير للتاكيد في الوعيد والمراد بهذه الروية روية العين - عَيْنَ الْيَقِينِ - وهو المشاهدة التامة ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ - اي يوم القيامة - عَنِ النَّعِيمِ - الذي الهاكم والمخاطبون هم الذين يلهون عن الدين - والمراد بالنعيم هو تكثر العدد والمال والولد - وقيل هو الذي انعمهم الله من الحواس والجوارح وقيل صحة الابدان - قال قتادة لا يسئل عن النعم الا اهل النار - وهو قول الحسن كما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب ان تكون من النعيم الذي نسئل عنه - فقال عليه الصلوة والسلام - انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل يجازى الا الكفور وقال بعضهم انها نعم المؤمن والكافر يعني ان المؤمن يسئل عن النعيم كما يسئل عن الكافر واحتجوا باحاديث جاء والظاهر انها في شان الكفار الذين الهاكم التكاثر بالدنيا والتفاخر بها فانسها عن الدين - والله اعلم

بالصواب - قد تم تفسير هذه السورة بعون الله الذي انزل على عبده الكتاب - وهو برهان حق اليقين - وفصل الخطاب والصلوة والسلام عليه وعلى اله واصحابه الذين هم سادة الناس في يوم الحساب

سورة العصر ثلث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ - الواو للقسم العصر بفتح العين وبكسرها وبضمها الدهر وهو قول الفرّاء - وقال بعضهم هو الوقت ومنه قول العجّاج -

وَالْعَصْرِ قَبْلَ هٰذِهِ الْعُصُوْرِ مُجَرِّسَاتٍ غِرَّةَ الْغَرِيْرِ

والمجرسات المجربات لان التجريس التجربة والتحكيم - وقال بعضهم هو وقت العشيّ الى احمرار الشمس وصلاة العصر مضافة الى ذلك الوقت وبه سميت واليه ذهب ابو مسلم في تفسيره وذكر انه تعالى اقسم بالعصر كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعًا من دلائل القدرة انتهى وهو قول قتادة - وقال ابن السكّيت ويقال للغداة والعشيّ العصران ومنه قول العجّاج

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ اِذَا طَلَبَا اَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا

وهذا القول انسب واكثر المفسرين ذهبوا الى انّ المراد به الدهر والزمان - ويؤيد هذا المعنى ما ذكر ابن الانباري انّ في مصحف علي كرم الله وجهه ورضى الله عنه والعصر ونوائب الدهر ان الانسان

لفی خسر - وکان یقرأ کذلک وانما قسم الله بالعصر - لانه یذکر
الانسان احوال الایام الخالیة والحوادث الحادثة فیها - کدمار القرون
الماضیة العاتیة وتقلبات احوالها وهذه الایام تخبر الناس بان
الانسان مع کونه ناظرا الی مرور الزمان وذهابه وسرعة انتقاله
وزواله لا یلتفت الی انصرام عمره وانقطاع حیاته ولا یتوجه الی تحول
احواله من الصبا الی الشباب ومنه الی الکهل والهرم لان الاشتغال فی الدنیا
لا یمهله - والالتذاذ بنعمها یشربه راوق الغفلة والسنة بل یلقیه
فی مهواة الطغیان والعتو - حتی ینقضی عمره وهو نجم لذائذها
سکران - ویمضی وقته وهو تمرك فی اللهو والعصیان - وقرأ سلام العصر
بکسر الصاد والصبر بکسر الباء قال ابو حیان وفی الکلام للهذلی والعصر
والصبر والفجر والوتر بکسر ما قبل الآخر فی هذه کلها هارون وابن موسی
عن ابی عمرو والباقون بالاسکان کالجماعة - ان الانسان لفی خسر
هذا جواب القسم - والانسان اسم جنس ای جنس الانسان لفی خسر
یقال خسر خسرا او خسرا او خسرانا وخسارة ای ضل وقال الزجاج
الخسر ای النقص - وقال الفراء ای فی عقوبة بذنبه - وتنکیر قوله
خسر للتعظیم ومعناه خسر عظیم - والمعنی ان الناس لفی نقصان عظیم
فی مساعیهم وغبن جسیم فی متاجرهم لانهم افنوا اعمارهم فی طلب
العاجلة فضیعوا اوقاتهم - الا الذین امنوا وعملوا الصلحت - فهم
فازوا بالسعادة الابدیة - بفضل الله واحسانه - واختلف فی الاستثناء
فمن اراد بالانسان الکافر قال انه منقطع ای خسر الکفار باجمعهم
[illegible]

بالانسان جنسه لان من امن لا یخرج من الخسر قطعاً یجوز ان یکون خاسراً فی بعض الاشیاء بل یخرج منه من امن وعمل عملا صالحا فانه لایکون خاسراً فی متجرة البتة - ولیس یدل هذا علی ان العمل داخل فی مفهوم الایمان لانه لوکان کذلک لما جاز ان یعطف قوله الا الذین امنوا علی قوله الذین امنوا لان العطف یقتضی المغائرة بین المعطوف والمعطوف علیه - والمغائر من الشیٔ لایکون جزأ له فلا یکون العمل جزأ للایمان - ولان الایمان جعل شرطاً لصحة الاعمال کما قال الله تعالی - ومن یعمل من الصالحات من ذکر او انثی وهو مؤمن ای بشرط ان یکون مؤمنا ولا یجوز ان یکون المشروط داخلا فی الشرط لامتناع اشتراط الشیٔ لنفسه فلا یدخل العمل فی الایمان ولان العمل لوکان داخلا فی مفهوم الایمان لوجب التکریر وهو غیر جائز - لا یقال قال الحلیمی هذا التکریر واقع لا محالة - لان الایمان وان لم یشتمل علی عمل الصالحات لکن قوله وعملوا الصالحات یشتمل علی الایمان - لانا نقول ان الایمان اذا کان شرطا لصحة العمل لایجوز ان یکون الایمان داخلا فیه - فلا یکون جزء المشروط فالعمل لایشتمل الایمان - وقد تقدم هذا البحث مراراً - والذی ذهب الیه المحققون من العلماء الحنیفة والشافعیة هو ان الایمان هو نفس التصدیق و الاذعان فلا یحتمل الزیادة والنقصان والعمل هو شرط کماله فیکون سبباً لانجلائه لا غیر وهذا مذهبنا فالذین امنوا وعملوا الصالحات وان نالوا الکرامة والسعادة بسبب الایمان والاخلاص والعمل الصالح

من الله والشفاعة فلا يكونون من الخاسرين - وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ يقال تواصى القوم اي اوصى بعضهم بعضًا وفي الحديث استوصوا بالنساء خيرًا فانهن عندكم عوان والوصي هو الذي يوصي والذي يوصى له وهو من الاضداد ومن العرب من لا يثنى الوصي ولا يجمعه - والوصية هي الاتصال الموصي بالموصى له وسميت وصية لاتصالها بامر الميت و قيل لعلي كرم الله ورضي الله عنه - وصي لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسببه وسمته - قال ابو منظور الافريقي قلت كرم الله وجه امير المؤمنين علي وسلم عليه هذه صفاته عند السلف الصالح رضي الله عنهم و يقول فيه غيرهم لولا دعاية فيه انتهى فالتواصي بالحق هو الدعاء الى الدين والنصح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر - ومن ههنا يعلم ان الداعي الى الخير والمتواصي لا يشترط التاثير لدعوته الى الحق فما قال الشيعة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجوز الا بعد وجود التاثير في نفس المخاطب باطل قطعًا - وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ - وهو حبس النفس عند الجزع وانشد ابن الاعرابي

ارى ام زيد كلما جن ليلها تبكي على زيد وليست باصبرا

وهو خلق جميل من اعطاه الله صلح نفسه وفلح عند الله - وبه نزل الكتب قال الله تعالى - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - يعني اصبروا على ما افرض الله عليكم وصابروا اعداءكم ورابطوا على الجهاد وانتظار الصلوات - وجاءت به السنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم - انه قال الصبر ستر من الكروب وعون

على الخطوب وقال علي كرم الله وجهه الصبر مطية لا تكبوا والقناعة سيف لا ينبوا - ومنه شعر عبيد بن الابرص -

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ　　إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تُكْشَفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رُبَّ مَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

قال علي ابن طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه للاشعث بن قيس انك ان صبرت جرى عليك القلم وانت ماجور - وان جزعت جرى عليك القلم وانت ماذور - وقد نظمه ابو تمام - وقال -

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي التَّعَازِي لِأَشْعَثٍ　　وَخَافَ عَلَيْهِ بَعْضَ تِلْكَ الْمَآثِمِ
أَتَصْبِرُ لِلتَّقْوَى عَزَاءً وَخَشْيَةً　　فَتُوجَرَ أَوْ تَسْلُو أَسُلُوَّ الْبَهَائِمِ

وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضي الله عنه -

خَلِيلَيَّ لَا وَاللهِ مَا مِنْ مُلِمَّةٍ　　تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعَنَّ لَهَا　　وَلَا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بَلَى بِنَوَائِبٍ　　فَصَابَرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ
وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ　　تَلَقَّيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً　　فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً　　فَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

والمراد بالتواصي بالصبر الامر بالصبر على العبادات وحبس النفس عليها باخلاص النية وصدق الارادة لنيل الصلاح في الدنيا والفلاح في الاخرة تم تفسير هذه السورة - والحمد لله الذي وفقنا بالصبر والاتقاء - والصلوة والسلام على نبينا خير الانبياء وعلى آله واصحابه الذين هم سادة الاتقياء وهداة الاصفياء

سورة الهمزة تسع آيات وهي مكية بلا خلاف قال ابن عباس رضی اللہ عنہ

أنزلت بمكة وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ - اختلف فی من نزلت فقال بعضهم فی الاخنس بن شریق وقال بعضهم فی العاصی بن وائل وقیل فی جمیل بن معمر وقیل فی ولید بن المغیرة وقیل فی امیة بن خلف ویمکن ان تکون نزلت فی الجمیع وهی مع ذلک عامة لمن اتصف بهذه الاوصاف کذا ذکر ابو حیان - وهو مرفوع بالابتداء لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ - قال ابو اسحق الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ویغضهم قال - ومنه قول الشاعر -

اذا لقيتك عن شحط تكاشرني وان تغيبت كنت الهامز اللمزة

کذا قال الزجاج وابن السکیت ولم یفرق بینهما وروی عن ابی العباس رضی اللہ عنہ ان المراد بهما هو المشاء بالنمیمة المفرق بین الجماعة المغری بین الاحبة - وهو قول اللحیانی وجاء فی الحدیث ان النبی صلی الله علیه وسلم - کان اذا استفتح الصلوة قال اللهم اعوذ بك من الشیطان الرجیم من همزه ونفثه ونفخه - قیل یا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه - قال اما همزه فالموتة واما نفثه فالشعر - واما نفخه فالکبر - قال ابو عبیدة الموتة الجنون قال ابن الاعرابی الهمز معناه الغض والکسر والعیب - قال ابو منصور واصل فی الهمزة واللمز الدفع - قال الکسائی یقال همزته ولمزته والهزته اذا

دفعته - و قال الفراء الهمز و اللمز و المرز و اللفس و النقس الغيب و قال ابن الانباري الهمزة الذي يخلف الناس من ورائهم و ياكل لحومهم و هو مثل الغيبة يكون ذلك بالشدق و العين و الراس قال ابو حيان هو من ابنية المبالغة كنومة و سخرة و ضحكة - قال زياد الاعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا ... وان اغيب فانت الهامز اللمزة

قرا الجمهور بفتح الميم فيهما و الباقون بسكونها - الذي - بدل من قوله لكل او منصوب على الذم و هو قول ابي حيان - جمع مالا - قرا الحسن و ابو جعفر و ابن عامر و الاخوان - بتشديد ميم جمع و باقي السبعة بالتخفيف - وعدده - قرا الجمهور و عدده بتشديد الدال الاولى اي احصاه و هو قول الفراء و قيل جعله عدة لطوارق الدهر و حوادث الايام - قرا الحسن بتخفيفها معناه جمع المال - قال الضحاك جمع مالا لمن يرثه ذكره ابو حيان قيل وعدده على ترك الادغام كقوله

اني اجود لاقوام وان ضننوا

اقول و هو قول قعنب ابن ام صاحب اوله -

مهلا اعاذل قد جربت من خلقي

فاظهر التضعيف لضرورة الشعر - و في النثر ليست الضرورة - يحسب اي ذلك الهامز اللامز - ان ماله اخلده - اي يخلد ذلك المال صاحبه في الحياة للابدية - كلا - كلمة ردع عن هذا الحسبان - لينبذن في الحطمة - جواب قسم محذوف - و النبذ طرحك الشيء من يدك امامك او وراءك و منه قوله تعالى - فنبذوه وراء ظهورهم - قرا الجمهور لينبذن فيه ضمير الواحد و علي و الحسن بخلاف عنه و ابن

محیصن وحمید وهارون عن ابی عمرو لینبذان بالف ضمیر اثنین الهمزة
وماله وقرأ الحسن بضم الذال ای هو وانصاره وقرأ ابو عمرو لینبذنّه -
والحطم الکسر - والحطمة من اسماء النار لانها تحطم کل شیء یدخل
فیها - وما ادراک - الاستفهام للتهویل والتفریع - ما الحطمة ٥ وهی
من ابنیة المبالغة وهو الذی یکثر منه الحطم ومنه الحدیث رأیت
جهنم یحطم بعضها بعضا - وقیل هی باب من ابواب جهنم وقیل هی الطبقة السادسة
من طبقاتها - نار الله الموقدة - بامر الله لا تخمد ابدا واضافة النار الی
الله لعظم شانها وهولها - التی تطلع علی الافئدة ٥ قال الفراء یبلغ
المها الافئدة قال والاطلاع والبلوغ قد یکونان بمعنی واحد والعرب
تقول متی طلعت ارضنا ای متی بلغت ارضنا ومعنی تطلع علی الافئدة
توفی علیها فتحرقها من اطلعت اذا اشرفت قال الازهری وقول الفراء
احب الیّ قال والیه ذهب الزجاج - والمعنی ان هذه النار تدخل الجوف
الکافرین فتشرف علی افئدتهم ولیس شیء فی البدن اشرف والطف
من الفؤاد فاذا اطلعت النار علی الافئدة لا تسئل عن شدة عذابهم
اعاذنا الله عنها - انها - ای نار الله الموقدة - علیهم - ای الهمزة اللمزة
مؤصدة ٥ - یقال اصدت الباب ای اغلقته - ومنه قول الشاعر

تحن الی اجبال مکة ناقتی ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة

ای مغلقة ابوابها - فی عمد ممددة ٥ قال ابن عباس رضی الله عنهما
ان العمد الممددة اغلال - یقال عَمَد وعُمُد کما قالوا اهاب واهب
واُهُب ومعناه انها فی عمد من النار - قال الازهری وهذا قول الزجاج
[illegible] والعُمُد جمع عماد للعمود مثل ادم وادیم

وأُدُمٍ وقضيم وقضم وقُضُم - قرأ الجمهور عَمَدٍ بفتح العين والميم وقيل هو اسم جمع لعمود وقال ابو عبيدة هو جمع عماد - وقرئ بضم العين والميم جمع عمود قال القشيري ان العمد اوتاد قال الفراء هما جمعان بعمود واختار ابو حاتم وابو عبيد قراءة الجمهور - والمعنى ان ابواب جهنم مغلقة عليهم في اغلال او عمد ممدودة لا انقطاع لها - قال البيضاوي ان هؤلاء الكافرين موثقون في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص - تمت تفسير هذه السورة بحمد الله الملك العزيز العلام فالحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا والصلوة والسلام على نبيه طيبا وطاهرا وعلى اله واصحابه الذين هم ائمة الكرام وهداة الى طريق الاسلام

سورة الفيل مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ - الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم - اي ألم تعلم قدرته وانعامه تعالى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد تلك الواقعة بعينه الا انه شاهد آثارها وراى من راى احوالها وسمع بالتواتر اخبارها - فكانه رآها - قال البيضاوي وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها

وقصتها علی ما ذکرها ابن هشام ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملک
الیمن من قبل اصحمة النجاشی بنی کنیسة لم یر مثلها فی الارض۔ ثم
کتب الی النجاشی یا نی قد بنیت لک ایها الملک کنیسة لم یبن مثلها
لملک کان قبلک ۔ ولست بمنتہٍ حتی اصرف الیها حج العرب فلما تحدثت
العرب بکتاب ابرهة غضبوا لانهم لم یقدروا علی ان یقاتلوه ثم جهز
ابرهة الجیش فتجهز مع عساکره فسار ومعه الفیل الذی قال له
محمودًا فخرج الیه رجل من اشراف الیمن یقال له ذو نفر فقاتله فهزم
ذو نفر ومن معه فاخذه ابرهة اسیرًا فلما اراد ان یقتله قال له ذو نفر
لا تقتلنی لان بقائی یکون لک خیرًا فحبسه ثم مضی ابرهة علی وجهه فعارضه
نفیل بن حبیب الخثعمی فقاتله فکسره ابرهة واخذه اسیرًا فقال نفیل
لا تقتلنی اکن دلیلا لک بارض العرب فخلاه وثاقه وخلی وخرج معه یدله
حتی مر علی الطائف فقاتله رجال بنی ثقیف فانقلبوا خائبین ۔ وانشد
ابو عبیدة لضرار بن الخطاب الفهری ۔

وفرت ثقیف الی لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

فسار ابرهة ونزل المغمس وبعث رجلا من الحبشة یقال له الاسود
ابن مقصود علی خیل له حتی انتهی الی مکة فساق الیه اموال اهل تهامة
من قریش وغیرهم فاصاب فیها مائتی بعیر لعبد المطلب بن هاشم وهو
یومئذ کبیر قریش وسیدها فهمت قریش وکنانة وهذیل ومن کان
بالحرم بقتاله فتاملوا فی هذا الشان فعرفوا انهم لا طاقة لهم فترکوا ما ارادوا
وبعث ابرهة حناطة الحمیری الی مکة فجاء اهلها سائلا عن سید هذا
البلد فقالوا هو عبد المطلب بن هاشم فلاقاه وقال له ان امیر ابرهة

فقال عبد المطلب واللّٰه ما نرید حربه - وقال ھذا بیت اللّٰه وبیت خلیله علیہ السلام - فان یمنعه منه فھو بیته وان لم یمنع عنه فواللّٰه ما عندنا دفع عنه - فقال حناطة انطلق معی الیه لانه امرنی ان اتیه بك - وانطلق معه عبد المطلب معه بعض بنیه حتی اتی عساکره - وسأل عن ذی نفر وکان له صدیقا فدخل علیه فشاوره فی امر ابرھة - فبعث ذو نفر الی انیس له فقال له ان عبد المطلب سید قریش وصاحب عین مکة تطعم الناس بالسهل والوحوش فی رؤوس الجبال وقد اصاب له الملك مائتی بعیر فاستاذن له علیه وانفعه بما استطعت - فسار عبد المطلب الی انیس ذی نفر فکلم انیسه ابرھة وقال یا ایها الملك ھذا سید قریش ببابك یستاذن علیك وھو صاحب عین مکة یطعم الناس فی السهل والوحوش فی رؤوس الجبال فاذن له علیك فیکلمك فی حاجته قال فاذن له ابرھة وکان عبد المطلب وسیم الناس واجلهم واعظمهم فلما رآه ابرھة اجله واعظمه واکرمه عن ان یجلسه تحته وکره ان تراه الحبشة یجلس معه علی سریر ملکه فنزل ابرھة عن سریره فجلس علی بساطه واجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له الترجمان فقال عبد المطلب حاجتی ان یرد علی الملك مائتی بعیر اصابها لی - فلما سمع ابرھة ھذا القول قال لترجمانه قل له قد کنت اعجبتنی حین رأیتك ثم قد زھدت فیك حین کلمتنی فی مائتی بعیر اصبتها لك وتترك بیتا ھو دینك ودین آبائك قد جئت لهدمه لا تکلمنی فیه - قال له عبد المطلب انی انا رب الابل وان للبیت ربا سیمنعه قال انت وذاك فرد ابرھة علی عبد المطلب الابل التی اصاب له فانصرف عبد المطلب الی قریش واخبرھم الخبر وامرھم بالخروج

من مكة و التحرز في شعف الجبال و الشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة و قام معه نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب و هو اخذ بحلقة باب الكعبة

لَاهُمَّ اِنَّ الْعَبْدَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ ۞ وَ مِحَالُهُمْ اَبَدًا مِحَالَكْ
اِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَ قِبْـ ـلَتَنَا فَاَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ

ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون عواقب ابرهة فلما اصبح ابرهة تهيأ دخول مكة و هيأ فيله وعبى جيشه وكان معه افيال اخر فوجه الفيل محمود او العساكر الى مكة حتى ان الفيل برك في طريق مكة وضربوه ليقوم فابى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول و وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فوجهوه الى مكة فبرك فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فابى ان يقوم - ثم اقبل يمشي الى مكة و ازمعوا هدم الكعبة فارسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس - فمن وقع هذا الحجر عليه هلك سوى وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤا ويسألون عن نفيل بن حبيب و كان دليلهم في هذا الطريق وكان هرب منهم فضل الحبشة في القفار و يقتلهم الطير من الاحجار - قال نفيل بن حبيب حين رأى ما انزل الله بهم من نقمته

ألا حُيِّيتِ عنّا يا رُدَيْنا ... نَعِمْناكُمْ مِنَ الإصباحِ عَيْنا
رُدَيْنَةُ لو رأيتِ فلا تَرَيْهِ ... لدى جَنْبِ المُحَصَّبِ ما رأينا
إذاً لعذرتني وحمدتِ أمري ... ولم تأسَيْ على ما فات بَيْنا
حمدتُ الله إذ أبصرتُ طيراً ... وخفتُ حجارةً تُلقى علينا
وكلُّ القومِ يسألُ عن نُفَيْلٍ ... كأنَّ عليَّ للحبشانِ دَيْنا

فخرجت هذه الطغاة يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل منزل ومنهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به يسقط أنملة أنملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدة تمت قيح ودم حتى جاؤا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه - ألم يجعل كيدهم في تضليل - اى مكرهم في هدم الكعبة في هلاك وقد جاء مثله في قوله إنّ المجرمين في ضلال وسُعُر اي في هلاك وقيل والمعنى انّ الله جعل كيدهم في تخريب الكعبة في ضياع وضلال - ومعنى التضليل تصيير الانسان الى الضلال - ومنه قول الراعي -

لمّا اتيتُ نُجَيدةَ بنَ عُوَيمِرٍ ... أبغي الهُدى ويزيدني تضليلا

وأرسل - عطف على قوله الم يجعل عليهم - اى على هؤلاء الطاغين طيرا - اسم جنس يذكّر ويؤنّث - ابابيل - نعت لطير - قال أبو عبيدة ابابيل جماعات متفرقة اى من ههنا الى ههنا ومنه قول الاعشى

كادت تُهَدُّ من الاصواتِ راحلتي ... اذ سالت الارضُ بالجُردِ الابابيلِ

قال الفرّاء لا واحد له من لفظه وفي رواية عنه ان واحده ابالة - وقيل واحده ابول والاكثر على انّه لا واحد له من لفظه - قال رؤبة العجاج

ومسّهم ما مسّ اصحاب الفيل ... ترميهم حجارة من سجيل

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

قال قتادة هي طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا فوجًا - والله اعلم بالصواب

تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ اي ترميهم تلك الطير الابابيل بحجارة من سجيل قال ابن هشام و ذكر بعض المفسرين انهما كلمتان فارسيتان جعلتهما العرب كلمة واحدة و انّما هو سنج وجل اي سنك وكل - وقال بعضهم من سجّيل اي من طين كما قال الله تعالى - في قصة لوط عليه السلام - لنرسل عليهم حجارة مّن طين - فقد بيّن للعرب ما معنى لسجّيل - قال الازهري ومن كلام الفرس لا يحصى ممّا قد اعربته العرب نحو جاموس و ديباج فلا انكر ان يكون هذا ممّا اعرب قال ابو عبيدة سجّيل و سجّين واحد بمعنى كتين و قال انّ مثل ذلك قول ابن مقبل -

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبِيضَ عَنْ عُرُضٍ ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينَا

وقال الزّجاج هو من سجلّ اي ما كتب لهم - قال ابو اسحق وهذا القول اذا فسّر فهو ابينها لانّ من كتاب الله دليلا عليه قال الله تعالى - كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ - و سجّيل في معنى سجّين والمعنى انّها حجارة ممّا كتب الله تعالى - انّه يعذّبهم بها قال وهو احسن ما مرّ فيها عندي - واختار صاحب الكشاف قول الزّجاج الا انّه قال هو علم للديوان اعمالهم - وقال و اشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لانّ العذاب موصوف بذلك و ارسل عليهم طيرًا - فارسلنا عليهم الطوفان و قيل معناه من شديد عذابه و ردّوا بيت ابن مقبل كما مرّ آنفا - قال صاحب الكشاف و هذه القصيدة نونيّة مشهورة في ديوانه انتهى - قيل و روي الجزء الاول من البيت كذا -

وهو من البحر البسيط التام

وَ رُفْقَةٌ يَضْرِبُوْنَ الْبِيضَ ضَاحِيَةً ضَرْباً تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّيْناً

قرأ الامام ابو حنیفة رحمه الله یرمیهم ای الله تعالٰی - او الطیر لانه اسم جمع مذکر وانما یؤنث علی المعنی - ومنه قول الشاعر -

كَالطَّيْرِ يَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوْبِ ذِي الْبَرَدِ

ذکره ابو حیان والجمهور قرأ بالتاء ای ترمیهم فَجَعَلَهُمْ - ای الله جل شانه وعظم سلطانه والضمیر یعود علی اصحاب الفیل قیل وکانت الفیلة فیهم ثلاثة عشر - وقیل ازید من ذلك وقیل کانت الفا - كَعَصْفٍ مَّأْكُوْلٍ قال سعید بن جبیر العصف التبن الذی تسمیه العامة الهبور - وفی روایة عنه هو ورق الحنطة - قال ابن عباس رض العصف القشرة تکون علی اعلی الحبة وقیل العصف والعصف ورق السنبل - قال ابو عبیدة العصف الذی یعصف من الزرع فیؤکل وهو العصیفة - قال بعضهم ولقوله کعصف ماکول معنیان - احدهما انه جعل اصحاب الفیل کورق اخذ ما فیه من الحب وبقی هو لا حب فیه والاخر انه اراد انه جعلهم کعصف قد اکله البهائم - وانشد ابو العباس محمد بن یزید -

فَصُيِّرُوْا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَّأْكُوْلٍ

اراد مثل عصف ماکول - وزاد الکاف لتاکید الشبه کما اکده بزیادة الکاف فی قوله تعالٰی - لیس کمثله شیء الا انه فی الاٰیة ادخل الحرف علی الاسم وهو سائغ وفی البیت ادخل الاسم وهو قوله مثل علی الحرف وهو الکاف والمعنی ان الله سبحانه اهلکهم وعذبهم فماتت عامتهم ولم یرجع منهم خبر فلما هلك ابرهة ملك بعده ابنه یکسوم ثم من بعده اخوه مسروق بن ابرهة ثم خرج سیف بن ذی یزن الحمیری الی کسری فاستعانه علی الحبشة فانفذ

مَعَه من جيوشه فقاتلوا مَعَه فردّ الله اليهم ملكهم وما كان في آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب للتهنئة - روي ان النبيّ صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قيل ولد صلى الله عليه وسلم - بعد ما مضى من واقعة الفيل خمسين وهذا القول صحّحه الخازن - والصحيح انّ في عام ولادته صلى الله عليه وسلم - اختلافا كثيرا - تم تفسير هذه السورة بعون الله الجليل والصّلوة على نبيه الذي هو ابن الخليل وعلى اله واصحابه الذين هم اولوا التفضل والتبجيل -

سورة لإيلاف قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش - اختلف في انها سورة مستقلة او متعلقة بالسورة المتقدمة قال الاخفش ان سورة الفيل وسورة قريش واحدة واليه مال الزمخشري لانّ في مصحف ابي ابن كعب ليس بينهما فصل وروي ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله - قرأهما في ركعة ثانية من المغرب وفي الاولى سورة التين - ولو كان كل واحد منهما سورة مستقلة لما قراهما في ركعة واحدة وعلى هذا التقدير يكون اللام متعلقة بقوله فجعلهم وهو مروي عن الاخفش او باضمار فعلنا والمعنى فعلنا ذلك اي تدمير الحبشة واهلاكهم - لايلاف قريش - وهذا ايضا مروي عن الاخفش قال وفيه امتنان من الله عزّ وجلّ عليهم وذلك لانه تعالى لو سلّط

علیهم اصحاب الفیل وهم الحبشان لتشتت العرب فی البلاد والامصار
ولم تجتمع کلمتهم - وهو قول الفراء والزجاج - وابن قتیبة - وفیه نظر
لان اتلاف اصحاب الفیل وجعلهم کعصف ماکول - لم یکن الا لشدة
کفرهم وطغواهم فی المعاصی ومنه ارادة هدم بیت الله المعظم ولا
یفهم ان اتلافهم کان لایلاف قریش - مع ان سیاق السورة نص علی ان تدمیرهم
کان جزاء لمعصیتهم بالنسبة الی بیت الله لا یقال - ان اهلاکهم یثمر
ثمرتین الاولی هی جزاء معصیتهم فی الدنیا والثانیة تالیف قریش
ولم یکن لهم حاصل هذا التالیف الا بعد تدمیر اصحاب الفیل استیمهم
لانا نقول ان تدمیرهم لیس سببا لایلاف قریش لجواز وقوع الاختلاف
بینهم بعد دمار اصحاب الفیل - وروی ان الکسائی والاخفش کانا
یقولان ان اللام لام التعجب ای اعجبوا لایلاف قریش کذا ذکر ابو حیان
فی تفسیره - وکل ذلک لیس یخلو عن تکلف وقال اکثر المفسرین ان
اللام متعلقة بقوله فلیعبد والاجل ایلافهم رحلتین وهذا هو الذی
ذهب الیه خلیل بن احمد - قال صاحب الکشاف فان قلت فلم دخلت
الفاء قلت لما فی الکلام من معنی الشرط علی ان نعم الله کثیرة لا تحصی
فان لم یعبدوه لسائر نعمه فلیعبدوه لهذه النعمة الواحدة التی هی
نعمة ظاهرة - انتهی وهذا المعنی احسن - قرأ ابن عامر لالاف علی وزن
فعال مصدر الف ثلاثیا یقال الف الرجل الفا والافا - ومنه قول الشاعر

زعمتم ان اخوتکم قریش   لهم الف ولیس لکم الاف

قرأ الجمهور لایلاف قریش مصدر آلف رباعیا ومنه قول مطرود
بن کعب الخزاعی

اَلْمُنْعِمِيْنَ اِذَا النُّجُوْمُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِيْنَ لِرِحْلَةِ الْاِيْلَافِ

وقرئ لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ ايلافهم رحلة الشتاء - وقرأ ابو جعفر ليلاف بياء ساكنة بعد اللام - والقرش الجمع والكسب والقرش بكسر القاف دابة تكون في البحر الملح - ومنه قريش قال صاحب اللسان هو دابة في البحر لا تدع دابة الا اكلتها فجميع الدواب تخافها - وقريش قبيلة سيد رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر - فكل من كان من ولد النضر فهو قرشي دون ولد كنانة ومن فوقه - قيل سموا القريش مشتق من الدابة التي تكون في البحر وتاكل جميع الدواب وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه دابة تسكن في البحر تاكل دوابه - قال الشاعر -

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِيْ تَسْكُنُ الْبَحْرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا

وقيل سميت بذلك لتقرشها - اي تجمعها الى مكة من حواليها بعد تفرقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب وبه سمي قصي مجمعًا وقيل سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش - وقيل سميت بذلك لتجرها وتكسبها وضربها في البلاد تبتغي الرزق - وقيل سميت بذلك لانهم كانوا اهل تجارة ولم يكونوا اهل ضرع وزرع من قولهم فلان يتقرش المال اي يجمعه - قال ابو حيان واجمعوا على صرف قريش راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه اذا لوحظ فيه معنى القبيلة كما في قول الشاعر -

وَجَاءَتْ مِنْ اَبَاطِحِهَا قُرَيْشٌ كَسَيْلِ اَتِيْ بِيْشَةِ حِيْنَ سَالَ

قال ابن بري وعندي انه اراد قريش غير مصروف لانه عنى القبيلة الا تراه

قال جاءت فانث فیکون منع صرفه للتانیث والعلمیّة - قال الاصمعی کان جدول ماء اَلِیّ - وکذا لفظ قریش فی قول عدی بن الرقاع یمدح الولید ابن عبد الملك

غَلَبَ المَسَامِيحَ الوَلِيدُ سَمَاحَةً ۔۔۔ وَكَفَى قُرَيْشَ المُعضِلَاتِ وَسَادَهَا

جعله سیبویه اسمًا للقبیلة فی نحو معد وقریش وثقیف - قال الجوهری ان اردت بقریش الحیّ صرفته وان اردت به القبیلة لم تصرفه والنسب الیه قریشیٌّ کثیرٌ وعلی القیاس وقرشیٌّ نادرٌ -

بِكُلِّ قُرَيْشِيٍّ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ ۔۔۔ سَرِيعٍ اِلَى دَاعِي النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ

وهذا من کتاب سیبویه رحمه الله - والمسامیح جمع مِسْمَاح بمعنی کثیر السّماحه - رِحْلَةَ الشِّتَاءِ - وکانت هذه الرحلة الی الیمن - وَالصَّيْفِ - فکانت الی الشّام - فیمتارون ویتجرون قال الامام الرازیؒ قال اللیث الرحلة اسم لارتحال من القوم للمسیر فی المراد من هذه الرّحلة - قال المفسرون کانت لقریش رحلتان رحلةٌ بالشتاء الی الیمن وبالصیف الی الشام وذکر عطاء عن ابن عباسؓ ان السّبب فی ذلك هو ان قریشا اذا اصاب واحدا منهم مخمّصة خرج وعیاله الی موضع وضربوا علی انفسهم خباءً حتی یموتوا الی ان جاء هاشم بن عبد مناف وکان سید قومه وکان له ابن یقال له اسدٌ وکان له تربٌ من بنی مخزوم یحبّه ویلعب معه فشکا الیه الضرّ والمجاعة فدخل اسدٌ علی امّه یبکی فارسلت الی اولئك بدقیقٍ وشحمٍ فعاشوا فیه ایّاما ثم اتی تربُ اسد الیه مرّة اخری وشکا الیه من فقام هاشمٌ خطیبًا فی قریش فقال انکم اجدبتم جدبًا تقلّون فیه وتذلّون وانتم اهل حرم الله واشرف ولد آدم والناس لکم تبعٌ قالوا نحن تبعٌ لك فلیس علیك

منا خلاف فجمع كل بنی أب على الرحلتين فی الشتاء الی الیمن و فی الصیف الی الشام الی التجارات فما ربح الغنی قسمه بین الفقیر و بینه حتی صار فقیرهم مثل غنیهم فجاء الاسلام و هم على ذلك فلم یكن فی العرب بنو أب أكثر مالاً و لا أعز من قریش قال الشاعر فیهم -

الخالطین فقیرهم بغنیهم حتی یكون فقیرهم كالكافی

قال ابن عباس رض یرحلون فی الصیف الی الطائف حیث الماء و الظل و یرحلون فی الشتاء الی مكة للتجارة و سائر اغراضهم و منه قول الشاعر -

سفرین بینهما له و لغیرها سفر الشتاء و رحلة الاصیاف

قال صاحب الكشاف اراد رحلتی الشتاء و الصیف و ذلك مثل قول الشاعر

كلوا فی بعض بطنكم تعفوا فان زمانكم زمن خمیص

انتهی اقول ای فی بعض بطونكم - و مثله قول الشاعر -

قد عض اعناقهم جلد الجوامیس

ای جلود الجوامیس - قال ابو حیان - و هذا عند سیبویه لا یجوز الا فی الضرورة اقول و قد ورد ذلك فی مواضع من القرآن كما قال الله - لقد كان لسبإ فی مسكنهم - حیث افرده حمزة و الكسائی و حفص - و المعنى ای فی مساكنهم - و كذا فی قوله تعالى - ختم الله على قلوبهم و على سمعهم حیث وحد السمع - و ابو حیان لا یعتبر فصاحة الكلام - الا بعد كونه مطابقا لاصول سیبویه و ما هذا الا ضلال و سعر - فلیعبدوا رب هذا البیت - امرهم الله تعالى بعبادته بعد ما انعم علیهم بجلائل نعمه الذی اطعمهم من جوع - شدید و ذلك لعموم الجدب و اشتداد القحط حتی ان هؤلاء الصعالیك كانوا یأكلون الجیف و العظام و امنهم

مِنْ خَوْفٍ - اي من خوف اصحاب الفيل والتخطف في بلدهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم قال ابن زيد كانت العرب يسبي بعضهم بعضا فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين

سورة الماعون ويقال لها سورة الدين وسورة اليتيم وهي ست او سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اَرَءَيْتَ الَّذِيْ يُكَذِّبُ بِالدِّيْنِ - اختلف في انها مكية او مدنية قال عطاء عن ابن عباس رض انها مدنية وروي ابن عباس رض انها مكية - وكذا اختلف في شان نزولها فمن قال انها مكية قال انها نزلت في العاص بن وائل - ومن قال انها مدنية قال انها نزلت في عبد الله بن ابي ابن سلول - وقيل في ابي جهل او الوليد بن المغيرة - قال ابو حيان قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة في العاصي ابن وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن ابي المنافق - وقال وروي انها نزلت في ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورا فاتاه يتيم فسأله شيئا فقرأ بعصا - والاستفهام معناه التعجب قال ابو حيان ومعناه التفهيم ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة قرأ الجمهور بالهمزتين - وقرئ باسقاط الثانية اعني أريت الحاقا بالمضارع لان حذف الثانية مختص بالمضارع - قال الزجاج لا يقال في رأيت ريت - ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الفا - واختلف في ان ارايت هل هو بمعنى اخبرني او بمعنى ابصرت او عرفت - فان كان الاول ينبغي ان يكون له

مفعولين احدهما الذي و الآخر محذوف فقدّره الحوفي اليس مستحقًا عذاب الله - و يؤيده قراءة عبد الله بن مسعود رض وهي أرأيتك بكاف الخطاب - قال النحاة ان كاف الخطاب لا تلحق بالرؤية التي هي بمعنى أبصر و قال صاحب الكشاف هو بمعنى عرفت و قال و المعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء و الذي يحتمل الجنس و العهد و الدّين الجزاء كما في قول خويلد بن نوفل الكلابي -

يَا حَارِ أَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَاعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِيْنُ تُدَانُ

اي تجزى - و منه قوله تعالى - اِنَّا لَمَدِيْنُوْنَ - اي مجزيون - و الدّيان هو المجازي و لما كان المجازي حقيقةً هو الله تعالى سمّي باسم الدّيان - و يكون معناه هو الحكم القاضي و يطلق هذا الاسم باعتبار معناه الاصلي على غيره تعالى و منه شعر الاعشى الحرمازي يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم - ﴿ يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبِ ﴾ اي اقضى العرب قال صاحب اللسان سئل بعض السلف عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه - فقال كان ديّان هذه الامّة بعد نبيّها اي قاضيها و حاكمها و قيل الدين الطّاعة - فيكون المعنى اي يكذب لطاعة الله ومن قول عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامًا لَنَا غُرًّا طِوَالًا عَصَيْنَا الْمُلْكَ فِيْهَا اَنْ نَدِيْنَا

اي نطيع - فَذٰلِكَ الَّذِيْ - قيل الفاء جواب شرط مقدر اي ان تأمّلته فذلك - يَدُعُّ الْيَتِيْمَ - قرأ الجمهور يدُعّ بضم الدال و تشديد العين من دعّه يدعّه قال ابن دريد اي دفعه دفعًا عنيفًا ومثله قوله تعالى يَوْمَ يُدَعُّوْنَ اِلٰى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا - و هو قول ابي عبيدة - و قرأ علي و الحسن

وأبو رجا بفتح الدال وتخفيف العين ومعناه يتركه ويجفوه - وَلَا يَحُضُّ - قرأ الجمهور يحضّ مضارع حضّ - قال ابو زيد الحضّ والحُضّ لغتان كالضّعف والضعف قال والصّحيح ما بدأنا به ان الحضّ مصدر والحُضّ الاسم قال الازهري ومعناه الحثّ على الخير وقرأ زيد بن على مضارع حاضضت قال الفراء وكل ذلك صواب - عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِيْنِ - اي لا يحث نفسه ولا اهله على ان يترحم على اليتيم والطّعام المسكين روي انّ هذه الاية نزلت في ابي جهل وكان وصيًّا ليتيم فجاءه عريانًا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا عنيفًا - وقيل في ابي سفيان فانه نحر جزورًا فسأله يتيم لحمًا فقرعه بعصاه او في الوليد بن مغيرة - وانّما يفعل هذا الفعل لانّه لما كان يعتقد بيوم البعث والجزاء - فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلٰوتِهِمْ سَاهُوْنَ - اى غافلون - والمراد بالمصلّين هم المنافقون الذين كانوا غافلين عن ثواب الصلوة - وهو قول الواحدي - روى عن ابن عباس رض انّه قال انّهم المنافقون الذين يصلون الصّلوة علانية ويتركونها سرًّا - قيل معناه هم الذين يؤخرون الصلوة عن وقتها وكذا روي سعد بن ابى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم - قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وهذا الحديث عن عاصم عن مصعب عن ابيه موقوفًا - وقد ضعّف البيهقى رفعه وصحّح وقفه وكذلك الحاكم - والصحيح هو الذي ذهب اليه ابن عباس رض - قال عطاء بن دينار الحمد لله الّذي قال عن صلوتهم ساهون ولم يقل في صلوتهم ساهون - انتهى فالسهو في الصّلاة يقع لكل مؤمن ومنافق الّا انّ النّبى صلى الله عليه وسلم سهى في بعض صلاته باذن الله تسهيلا له منه فهو غير داخل في مفهوم السهو اما السّهو

عنها فهو من شان المنافق فهذه الآية ليس الا في شان المنافقين كما يدل
عليه قوله تعالى - الَّذِيْنَ هُمْ يُرَاؤُنَ - قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم المنافقون لانّهم يُراؤن الناس بصلاتهم اذا حضروا - ويتركونها
اذا غابوا - وَيَمْنَعُوْنَ الْمَاعُوْنَ - الماعون من المعن وهو الشيء القليل
وهذا قول قطرب اختلف في معنى الماعون - روي عن علي رضي الله عنه
انه قال الماعون الزكاة قال الزجاج من جعل الماعون الزكاة فهو فاعول
من المعن وهو قليل من كثير - قال ابن سيدة الماعون - الطاعة والزكاة
وهو من السهولة والقلة لانها جزء من كل قال الراعي -

قومٌ على التنزيل لمّا يمنعوا ماعونهم ويبدّلوا التنزيلا

اي طاعتهم وزكاتهم - وقيل الماعون اسقاط البيت كالدلو والفاس
والقدر والقصعة لانّه لا يكرث معطيه ولا يعنّى كاسبه - قال ثعلب
الماعون ما يستعار من قدوم وسفرة وشفرة وجاء في الحديث حسن
مواساتهم بالماعون قال وهو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس
وغيرهما ممّا جرت العادة بعاريته - قال الفراء سمعت بعض العرب
يقول الماعون هو الماء وانشدني فيه -

أقول لصاحبي ببراق نجد تبصّر هل ترى برقًا أراه
يمجّ صبيره الماعون صبًّا إذا نسمٌ من الهيف اعتراه

وقال بعضهم الماعون في الجاهلية المنفعة والعطيّة - وفي الاسلام
الطاعة والزكاة والصدقة الواجبة والصحيح عندي في معناه ما روي
عن سيدي علي رضوان الله عليه انّ الماعون الزكاة فيكون معنى قوله
تعالى - فويلٌ للّذين يراؤن بصلاتهم في العلانية ويمنعون الزكاة

في السنة - وفي تفسير ابي حيان وكذا روي عن ابن عمر وابن عباس رض - اي الماعون هو الزكاة - ومنه قول الراعي -

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ إِنَّا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
عُرُبٌ نَرَى لِلّٰهِ مِنْ أَمْوَالِنَا حَقَّ الزَّكَاةِ مُنَزَّلًا تَنْزِيلًا
قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْنَعُوا مَاعُونَهُمْ وَيُضَيِّعُوا التَّهْلِيلَا

يعني بالماعون الزكاة وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب - تم تفسير هذه السورة بحمد الله فنحمده على ما علمنا معاني القرآن وجعلنا من الذين لا يعتصمون الا بالدليل والبرهان - ونصلي على محمد خير الانبياء وسيد العدنان - وعلى آله واصحابه هم سراة اهل المغفرة والرضوان

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ - وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية والقول الاول هو المشهور عند الجمهور قرأ الجمهور اعطيناك بالعين والحسن وطلحة وابن محيصن انطيناك بالنون - وفي الحديث وان مال الله مسئول ومُنطىً اي مُعطىً وروي الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل انطه كذا وكذا والانطاء لغة في الاعطاء - وقيل الانطاء الاعطاء بلغة اليمن وايضا جاء في الحديث الدعاء لا مانع لما انطيت ولا مُنطي لما منعت قال هو لغة اهل اليمن في اعطى وايضا جاء في الحديث

الید المنطیة خیر من الید السفلی هذا ما ذکره صاحب اللسان - و بهذه اللغة انشد ثعلب -

من المنطیات الموکب المعج بعدما یری فی فروع المقلتین نضوب

قال التبریزی هی لغة للعرب العادبة من اولی قریش ومنه قول الاعشی

جیادک خیر جیاد الملوک تصان الجلال وتنطی الشعیرا

قال ابو حیان قال ابو الفضل الرازی و ابو زکریا التبریزی - ابدل من العین نونا فان عنیا النون فی هذه اللغة مکان العین فی غیرها فحسن وان عنیا البدل الصناعی فلیس کذلک بل کل واحد من اللغتین اصل بنفسها لوجود تمام التصرف من کل واحدة فلا یقال الاصل العین ثم ابدلت النون منها انتهی - و انما قال اعطیناک ولم یقل اتیناک لان فی الایتاء تفضلا و وجوبا و فی الاعطاء تفضلا فقط - فاعطاء الکوثر للنبی صلی الله علیه وسلم - تفضل محض من الله علی نبیه صلی الله علیه وسلم هکذا ذکر الامام الرازی - و انما اتی بصیغة الجمع وان کان الاصل هو الواحد لان الله واحد لعظم شان المعطی والمعطی منه وانما بنی الکلام علی الجملة الاسمیة لافادة التاکید فی العطاء کذا ذکره الامام الرازی - و الخطاب فی هذا الکلام یدل علی ان الله تعالی تکلم معه لا بواسطة - کما فی قوله تعالی - الم نشرح لک صدرک والکوثر فوعل من الکثرة والواو زائدة - و اختلف اهل اللغة فی معناه فقیل معناه السید الکثیر الخیر - و منه قول الکمیت -

وانت کثیر یا ابن مروان طیب وکان ابوک ابن العقائل کوثرا

و هذا التفسیر یعم الحوض و النهر و المعانی الاخر - ولا بعد ان یقال

ان المراد به اولاد فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها لان كلهم سادة كرام اصحاب الخيرات الكثيرة والمقامات الالهية - فيكون المعنى ان الله تعالى اعطاه اولادا امجادا كثيرة يبقون ممكنين على مر الزمان وكثر الله هو كما قال فرزدق

اِنَّ عُدَّ اَهْلُ التُّقٰى كَانُوْا اَئِمَّتَهُمْ ؎ اَوْ قِيْلَ مَنْ خَيْرُ اَهْلِ الْاَرْضِ قِيْلَ هُمْ

وقيل الكوثر الكثير الملتف من الغبار اذا سطع وكثر ومنه قول امية

يُحَامِي الْحَقِيْقَ اِذَا مَا احْتَدَمْنَ ؎ وَحَمْحَمْنَ فِيْ كَوْثَرٍ كَالْجِلَالِ

اراد في غبار كانه جلال السفينة - ثم اختلف اهل النقل في معناه قال الحسن الكوثر القرآن - وقال هلال بن يساف التوحيد - قال جعفر الصادق رضى الله عنه المراد به نور قلبه دله على الله تعالى وقطعه عما سواه وقال عكرمة النبوة وقال الحسن بن الفضل هو تيسير القرآن وتخفيف الشرائع - وقال ابن كيسان الايثار - قيل هو الشفاعة - قال والاكثر ان الكوثر نهر في الجنة - وقيل هو حوض في الجنة - قال القرطبى اصح هذه الاقوال انه النهر او الحوض لانه ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم - نصا في الكوثر وهو قول اكثر المفسرين والاحاديث فى هذا الباب اكثر من ان تحصى فَصَلِّ لِرَبِّكَ - قيل المراد به اقامة الصلوات المكتوبة وقيل صلوة العيد وَانْحَرْ البدن لله تعالى التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المساكين المحاويج وقال بعضهم يراد به وضع اليمنى على اليسرى في الصلوة على النحر وفيه دليل للشافعىؒ - وكذا روي عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه - وكذا روي عن انس اخرجه البيهقى وقال الفراء والكلبى وابو الاحوص هو ان يستقبل القبلة بنحره - اِنَّ شَانِئَكَ - من الشناءة وهى البغض والشانى هو المبغض

لغتان الشنأن بالهمز وبغيره كما قال الاحوص -

وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا

قال ابو عمرو الشانئ المبغض والشنء والشنء البغضة - هو الابتر - البتر القطع يقال تبرت الشئ اي قطعته - والاباتر بضم الهمز من يقطع رحمه ومنه قول الشاعر

لئيم بدت في انفه خنزوانة على قطع ذي القربى احذ اباتر

روي عن ابن عباس لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقال بتر محمد فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر - وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط - تم تفسير سورة الكوثر - ولله الحمد والمنة والصلوة على محمد الذي هو نبي خير الامة - وعلى اله واصحابه الذين هم اولى الامة في الجنة

سورة الكافرون ست ايات وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقد نزلت في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك وعن ابن الزبير انها نزلت بالمدينة وذهب الاكثرون من العلماء الى القول الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

منهم الحارث بن قیس السہمی والعاص بن وائل والولید بن المغیرة
والاسود بن یغوث والاسود بن المطلب بن اسود وامیة بن خلف اتوا
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وقالوا ان اتبعت دیننا نتبع دینک
وان عبدت الہتنا نعبد الہک ونشرکک فی عبادة الہتنا سنة قال
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم نعوذ باللہ ان اشرک باللہ غیرہ ثم
قالوا ان لم ترض من جمیع الہتنا فامن بعض الہتنا حتی نؤمن الہک فکرہ
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وغضب فانزل اللہ تعالی ہذہ السورة
فغدا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم الی المسجد الحرام وفیہ الملأ من
قریش فقام بین ایدیہم وقرأ علیہم ہذہ السورة فغضبوا وجعلوا
یؤذونہ صلی اللہ علیہ وسلم وبعض من اصحابہ فالمراد بالکافرین
ہم المذکورون لانہم کانوا کافرین فی علم اللہ تعالی والکفر ہو لغة
شکر المنعم وفی الشرع ہو التکذیب باللہ ورسولہ والاصرار علی ما کان علیہ
وہؤلاء الذین ہم الموصوفون بہذہ الصفة والمستدیمون علیہا فخوطبوا
بقولہ قل یا ایہا الکافرون اعلم ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
کان موصوفا بخلق عظیم فلذلک امر فی بعض المواضع باظہار الخشونة والغلظة
فامرہ اللہ ان یقول یا ایہا الکافرون ولما کان موسی علیہ السلام مقطوعا
بالخشونة امرہ اللہ بالقول اللین کما قال وقولا لہ قولا لینا لعلہ یتذکر
او یخشی ومامورا بالرفق واللین فی الدعوة لانہ مع ذلک خاطب
منکریہ بقولہ یا ایہا الکافرون بجہة انہ کان مامورا بہذہ المخاطبة
کما تدل علیہ کلمة قل لا اعبد ما تعبدون قال الاخفش ومعناہ

وَلَا اَنَا عَابِدٌ - فی المستقبل - مَا عَبَدْتُّمْ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُوْنَ - فی المستقبل مَا اَعْبُدُ - قال الاخفش ولا حاجة الی القول بالتوکید بهذا التوجیه قال ابومسلم ما فی الاولیین بمعنی الذی والمراد به المعبود وفی الاخریین مصدریّة ای لا اعبد عبادتکم التی بُنیت علی الشرك والشك قال ابن قُتیبة انّ القراٰن لم ینزل دفعةً واحدة وانّما کان نزوله شیئا بعد شیٔ والامر فی ذلك ظاهر وهو ان المشرکین اتوا النبی صلی الله علیه وسلم - فقالوا استلم بعض اصنامنا حتی نؤمن بك ونصدق بنبوّتك فامره الله بان یقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبر واملاة من الزمان وجاؤه صلی الله علیه وسلم - فقالوا له اعبد بعض الهتنا واستلم بعض اصنامنا یومًا او شهرًا او حولا فنفعل مثل ذلك بالهك - فامره الله تعالی بان یقول لهم ولا انا عابدٌ ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد ای ان کنتم لا تعبدون الهی الا بهذا الشرط فانکم لا تعبدونه ابدًا - وقد طعن بعض الناس علی هذا التاویل بان قال انه یقتضی شرطا وهذا ما لا یدلّ علیه ظاهر الکلام - وحکی عن ابی العباس الثعلب انه قال انّما حسن التکرار لان تحت کلّ لفظةٍ معنًی لیس هو تحت الاخری وتلخیص الکلام قل یا ایها الکافرون لا اعبد ما تعبدون الساعة وفی هذه الحال ولا انتم عابدون ما اعبد فی هذه الحال ایضا - فاختصّ الفعلان منه ومنهم بالحال - وقال من بعد ولا انا عابدٌ ما عبدتم فی المستقبل وَلَا انتم عابدُوْنَ ما اعبدُ - فی المستقبل - فاختلف المعانی وحسن التکرار فی اختلافها - انتهی وهذا مثل قول الاخفش - وذهب الفراء الی انّ التکرار للتاکید کقول المجیب موکدًا بلی بلی - والممتنع لا لا - ومثله

قوله تعالیٰ - کلا سوف تعلمون ثم کلا سوف تعلمون - وانشد الفراء -
وَكَائِنْ وَكَمْ عِنْدِيْ لَهُمْ مِنْ صَنِيْعَةٍ أَيَادِيْ ثَنَوْهَا عَلَيَّ وَأَوْجَبُوْا
وقال بعضہم معناہ انی لا اعبد الاصنام التی تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد ای انتم غیر عابدین اللّٰہ الذی انا عابدہ اذا اشرکتم بہ واتخذتم الاصنام وغیرها معبودة من دونہ او معہ وانما یکون عابدا لہ من اخلص العبادة لہ دون غیرہ وافردہ بها - وقولہ ولا انا عابد ما عبدتم ای لست اعبد عبادتکم ومعنی لا انتم عابدون ای لستم عابدین عبادتی علی ما ذکر فلم یتکرر الکلام الا لاختلاف المعانی - فان قیل اما اختلاف المعبودین فلا شبهة فیہ فما الوجہ فی اختلاف العبادة - قلنا انہ صلی اللّٰہ علیہ وسلم - کان یعبد من یخلص لہ العبادة ولا یشرک بہ شیئا وهم یشرکون فاختلفت العبادتان ولانہ کان النبی صلی اللّٰہ علیہ وسلم یتقرب الی معبودہ بالافعال التی اوحاها الیہ معبودہ وهم لا یفعلون تلک الافعال الموجبة المقربة لہ بل یطلبون تقرب معبودهم المزعوم بافعال یحدثونها بانفسهم - لکم دینکم ولی دین - الدین هو الجزاء کما فی قول الشاعر -
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَانِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوْا
وایضا کما قال الشاعر
إِذَا مَا لَقُوْنَا لَقِيْنَاهُمُ وَدِنَّاهُمُ مِثْلَ مَا يُقْرِضُوْنَا
فیکون المعنی لکم جزاء عملکم ولی جزاء عملی - فان قیل ان الظاهر هذا الامر مقتضی الاباحة فیامهم علی دینهم ولیس هو الا الشرک والکفر - قیل لہ ان الظاهر الکلام وان کان یدل علی ذلک لکن فیہ وعید لشدید لہ

تعالى اعملوا ما شئتم - وكما في قوله تعالى - ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - قال طائفة من العلماء ان هذه الاية منسوخة باية القتال - اقول ان مفهوم الاية تدل على ان جزائي او حسابي مغاير لجزاءكم وحسابهم وهو صحيح لا شبهة فيه - فهذا المفهوم محكم لا يقبل شيئا من النسخ - قال البيضاوي في تفسيره فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد - ليكون منسوخا باية القتال انتهى - اقول ولعل القائلين بالنسخ لا يتأملون في غوامض الشريعة - وظاهر ان الدين بدأ غريبا ضعيفا ثم صار مقيما قويا ويمكن ان يعود السيرة الاولى فاذا كانت هذه الاية منسوخة باية القتال والجهاد فالجهاد لا يكون الا بعدة وعدة - ويزداد الضعف فيه يوما فيوما فعلى شيء يكون عمل المسلمين ومعلوم ان المنسوخ هو المعدوم فلا يمكن اعادته والناسخ ايضا معدوم لانتفاء شرائط وجوده فيجب التعطل - وحذفت الياء من قوله تعالى - دين وقفا وقرأ نافع وهشام وحفص والبزي بفتح الياء والباقون باسكانها قال البيضاوي وتبعا للزمخشري روى في فضيلة هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القران وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر انتهى - والمراد بالفزع الاكبر هول القيامة اقول فهذا الحديث الى قوله ربع القران صحيح رواه الترمذي والباقي موضوع لا اصل له - عند الحفاظ - قال الاثبات وكذا حال الروايات المذكورة في الكشاف والبيضاوي في فضائل السور فان اكثرها موضوعات - وللصوفية في تاويل هذه الاية كلام اخر - وبيانه ان الذات لها مرتبتان الاولى هي التنزيه الحقيقي للخزينة

هذه المرتبة بالاحدية ولا يعتبر فيها شأن من شيون التعدد والتكثر ولا يلاحظ فيها صفة من الصفات - والثانية هي التشبيه - وهو ظهور الذات في مجالي الاكوان ومظاهر الاعيان - فالذات باعتبار المرتبة الاولى المعبود الحقيقي فلا يستحق بالعبادة الا هو وباعتبار المرتبة الثانية هو العابد مطلقاً - فالمؤمن من هو الذي يعبد الذات في مقام التنزيه والكافر هو الذي يعبد الذات في مقام التشبيه - وانما يلزم الكفر لمن يعبد الذات في مقام التشبيه لان التشبيه منشأ التكثر ومبدأ التعدد فليس فيه توحيد حقيقي والله تعالى امر العباد بان يعبدوه في مقام التنزيه - كما قال وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ - اي يعبدونني ولا يعبدون سوائي فالمعبودية مرتبة تقتضي الوحدة والعابدية الكثرة كما هو ظاهر من فحوى هذه الآية - فرسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب هؤلاء المشركين بقوله يايها الكفرون بالخطاب الحقيقي لانهم كانوا يعبدون الاصنام وكان هذا الخطاب حقيقاً بمقام النبوة - ثم خاطبهم على طريق الرفق واللين لقوله لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد - لانهم لم يكونوا يعبدون في زعمهم الا المعبود الحقيقي الذي تمثل بين يديهم بالمثل الكونية والعارف يعرفها من احدى مرتبتي الذات التي هي التشبيه فلا يجوز للعارف ان يذم هذه المرتبة كما ينمها غيره فيجب له الصمت في هذا المقام باعتبار مشاهدته الوحدة الحقيقية في مجالي الاكوان - ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين - لان ديني باعتبار النبوة والرسالة هو التنزيه ودينكم باعتبار الظهور التفصيلي هو التشبيه فلا تترتب بهذه الاعتبارات - والله اعلم بالصواب

تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد الانبياء والمرسلين وعلى اله واصحابه اجمعين

سورة النصر وتسمى التوديع وهي ثلاث آيات وهي مدنية بالاجماع بلا خلاف

قال اهل العلم ان هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في اوسط ايام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع وهو قول البيهقي وابو يعلى والبزار

بسم الله الرحمن الرحيم

اِذَا جَآءَ نَصْرُ اللّٰهِ - كلمة اذا في موضع النصب بقوله فسبح - هذا ما ذهب اليه صاحب الكشاف قال ابو حيان ولا يصح اعمال فسبح في اذا لاجل الفاء لان الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل العامل في اذا الفعل الذي بعدها على صحيح - انتهى ومعنى اذا جاء نصر الله اي اذا جاءك يا محمد نصر الله كذا قال الواحدي - والنصر الاعانة والاسم النصرة - وَالْفَتْحُ - عطف على نصر الله اي فتح البلاد والامصار قال ابو حيان ومتعلق النصر والفتح محذوف فالظاهر انه تعالى نصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على اعدائهم وفتح مكة وغيرها عليهم كالطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن انتهى قيل والمراد بالفتح فتح مكة وكان فتحها لعشر مضين من رمضان سنة ثمان وملخص هذه القصة ان ابا سفيان لما اتى النبي

صلى الله عليه وسلم ورجع خائبًا الى قومه وقع الترعرع والاضطراب في قريش وكانوا لا يستطيعون على أن يقاوموا النبي صلى الله عليه وسلم ويهشموا شوكته وقد عميت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما يظهر غدًا حتى سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة في كتيبة خضراء وفيها المهاجرون والانصار حتى لا يرى منهم الا الحدق وصعدوا على عقبات مكة ثم انحدروا وكانوا معه صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار كما اخبر الله تعالى في التورة حيث وخرج من جبال فاران مع عشرة الاف من الملائكة المقربين - فخرج عباس رض سريعًا حتى الى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد جاءكم - قال النبي صلى الله عليه وسلم - لخالد والزبير حين دخلا مكة لا تقاتل الا من قاتلكما - وامر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كدي ولم يكن القتال من قبل الزبير واما خالد بن الوليد فقدم على قريش فقاتلهم باسفل مكة ثم هزمهم الله فقتل من المشركين اثنا عشر او ثلاثة عشر رجلا ومن المسلمين رجل من جهينة يقال له سلمة من خيل خالد بن الوليد فهزم القريش والمشركون ثم امنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح مكة ولم يبق فيه رجل من أهل الشرك - وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا - ورايت اما يكون بمعنى ابصرت او يكون معنى علمت فعلى الاول وابصرت الناس داخلين في دين الله افواجًا - فيكون قوله ويدخلون حالًا - وعلى الثاني يكون وعلمت الناس داخلين فالمفعول الثاني هو قوله يدخلون - والمراد

بالناس قیل اهل الیمن کما هو قول ابی هریرة و ابن عباس و عکرمة و مقاتل و قیل هم الاعراب و ذهب الیه الجمهور - قال ابن کثیر فان احیاء العرب کانت تتلوم باسلامها فتح مکة یقولون ان ظهر علی قومه فهو نبی فلما فتح الله علیه مکة دخلوا فی دین الله افواجا - فلم تمض سنتان حتی استوسقت جزیرة العرب ایمانا و لم یبق فی سائر قبائل العرب الا مظهر للاسلام و لله الحمد و المنة - اقول و هذا قول ذهب الیه اکثر المفسرین و ذلک لان نصاری بنی تغلب لم یسلموا فی حیاة رسول الله صلی الله علیه وسلم لکنهم اعطوا الجزیة فقرأ الجمهور یدخلون مبنیا للفاعل و قرأ ابن کثیر فی روایة مبنیا للمفعول و المراد بدین الله ملة الاسلام و افواجا جمع فوج قیل و القیاس ان یجیء علی افعل لان الضمة لما استثقلت علی الواو عدل من افوج الی افواج انتهی و القیاس فی المعتل ان یکون جمعه علی افعال - مثل قول و اقوال و طود و اطواد و حوض و احواض و شذ فیه افعل کثوب و انوب

فسبح بحمد ربک - قال ابو حیان ای متلبسا بحمده علی هذه النعم التی خولکها من نصرک علی الاعداء و فتحک البلاد و اسلام الناس و ای نعمة اعظم منها اذ کل حسنة یعملها المسلمون فهی فی میزانه انتهی - و المراد بالحمد الشکر لانه فی مقابلة النعمة الجزیلة التی ذکرت انفا - و انما قال بحمد ربک و لم یقل بحمد الهک مراعاة لهذا المقام لان النصر و الاعانة من لوازم التربیة و ان کان لفظة الاله جامعا لحقائق الاسماء لاکن المعنیان المذکورین یوجد ان صریحا فی اسم الرب و المعنی نزه ربک المنعم و متلبسا باظهار الشکر علی النعم التی فضلنا بها علیک - و استغفره ای اطلب المغفرة للمؤمنین الذین یدخلون فی دین الله افواجا لاهتمام

و تاخيرهم عن الايمان و مثله قوله تعالى - فاستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات و قال بعضهم ان الاستغفار من الانبياء عليهم السلام تعبدا
لان الله تعالى لما اكرمهم بالنبوة و الرسالة فطرهم على فطرة لا تجنح الى المعصية
والجناية حتى صارت قواهم الشهوانية مقهورة تحت قهر نفوسهم الناطقة
فاذا خوطبوا بالاستغفار ليسوا مخاطبين به حقيقة بل المخاطب به اممهم
فيكون المعنى قل للمؤمنين ان يستغفروا الله ربهم من كل ذنب و خطيئة
و المعنى الاول هو الاولى - إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا - تعليل لامره تعالى بالاستغفار
اى استغفر الله للمؤمنين الذي من شانه ان يتوب عليهم و يقبل توبتهم
قال المفسرون و الامام الرازي اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت
على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال ابن عمر و انما نزلت بمنى في
حجة الوداع - ثم نزل اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ - فلم
يعش رسول الله صلى الله عليه و سلم - بعد نزولها الا ستين يوما - يسبح
الله و يستغفره - حتى لحق بالرفيق الاعلى - قد تم تفسير هذه السورة
فالحمد لله و الصلوة على نبيه محمد و آله و اصحابه اجمعين

سورة تبت و تسمى سورة ابي لهب خمس آيات مكية بلا خلاف و هو قول عامة

و ابن عباس و ابن الزبير رضي الله عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ اَبِیْ لَهَبٍ - قال مقاتل وابن عباسؓ خسرت وهذا قول ابن دريد ومنه قول الراجز -

اَخْسِرْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لَمْ تَسْتَقِلْ تَبَّتْ يَدَا صَافِقِهَا مَاذَا فَعَلْ

اختلف فی شان نزولها قال ابن عباس رضی الله عنه كان رسول الله صلی الله عليه وسلم يكتم امره فی اول البعثة ويصلی فی شعاب مكة ثلاث سنين الی ان نزل قوله تعالی - وَاَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْاَقْرَبِيْنَ - فصعد الصفا ونادی يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال هذه غالب اتتك فما عندك ثم نادی يا آل لوی فرجع من لم يكن من آل لوی فقال ابو لهب هذه لوی قد اتتك فما عندك ثم نادی يا آل مرة فرجع من لم يكن من آل مرة ثم قال يا آل كلاب ثم قال بعده يا آل قصی فقال ابو لهب هذه قصی فما عندك - فقال ان الله امرنی ان انذر عشيرتی الاقربين وانتم الاقربون اعلموا انی لا املك من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم عند ربكم فقال ابو لهب الهذا دعوتنا فتفرقوا من يجيء الی بنی تميم وروی ان رسول الله دعاهم الی التوحيد بها ثم ذهب الی بيت ابی لهب ليلا ودق بابه ففتح حتی دخل فی بيته وجلس بين يديه كالمعتذر وجعل يدعوه الی الاسلام واوضح دلائله ثم قال وان منعك الحمية فقل لی سرا او اسكت فغضب ابو لهب وقال لا اومن بك حتی يؤمن بك هذا الجدی فقال رسول الله صلی الله عليه وسلم للجدی من انا فقال رسول الله - فتغيظوا واخذ يدی الجدی وفرقه فقال ابو لهب تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدی بل تبا لك كذا ذكر الامام الرازی فی تفسيره فنزلت السورة علی وفق ذلك - تبت يدا ابی لهب - لانه شق يدی الجدی وابو لهب

هذا هو احد اعمام رسول الله صلی الله علیه وسلم - واسمه عبد العزّی بن عبد المطلب وکنیته ابو عتبة - وانما سمّی ابا لهب لاشراق وجهه وکان احول ذا غدیرتین کثیر الاذیة لرسول الله صلی الله علیه وسلم والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدینه - قال محمد بن اسحٰق سمعت حسین بن عبد الله بن عبید الله بن عباس رض قال سمعت ربیعة بن عباد الدّیلی یقول انّی لمع ابی رجل شابٌ انظر الی رسول الله صلی الله علیه وسلم - یتبّع القبائل وورائه رجل احول وضیء الوجه ذو جمّة یقف رسول الله صلی الله علیه وسلم علی القبیلة فیقول یا بنی فلان انّی رسول الله الیکم امرکم ان تعبدوا الله لا تشرکوا به شیئا - وان تصدّقوا قولی وتمنعونی حتی انفذ عن الله ما بعثنی به - واذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه یا بنی فلان هذا یرید منکم ان تسلخوا اللات والعزّی وحلفاءکم من الجن من بنی مالك بن اقیش الی ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتّبعوه فقلت لابی من هذا قال عمّه ابو لهب رواه احمد - وَ تَبَّ - وهذه غیر الاولی لانّ الاولی جملة انشائیة مغزاها هو الدعاء والثانیة اخبار ومعناه انّ ابا لهب ان کان حیًّا فی حیّه لکنه هالكٌ وخاسرٌ فاطلاق التباب علیه باعتبار ما یؤول الیه وانما قال تبّ بصیغة الماضی لکون تبابه قطعیًّا - مَآ اَغْنٰی عَنْهُ مَالُهٗ وَمَا کَسَبَ - کلمة ما امّا نافیة وامّا استفهامیّة فعلی الاول یکون المعنی انّ امواله ومکاسبه لا تغنیه عن التباب والخسران - وعلی الثانی یکون معناه هل یغنیه ماله وکسبه من الهلاکة والتعبیر بصیغة الماضی لتاکید الحکم ووقوعه بالفعل کالماضی - قال ابن عباس رض انّ المراد بما کسب ولده وکذا روی عن عائشة رضی الله عنها - روی عن ابن مسعود رضی الله

عنه - انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما دعا قومه الى الايمان قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقّا فانّي افتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي - فانزل الله تعالى - ما اغنى عنه ماله وما كسب - روى انّه مات بعد غزوة بدر بالعدسة التي حدثت في جلده والعرب كانت تهرب منها وزعموا انها متعدّية - قالت المعتزلة انّ الاية تدلّ على انّ ابا لهب كان كافرا في علم الله تعالى فتكليفه بالايمان تكليف ما لا يطاق وهو لا يليق بشان الحكيم وجوابه ان المكلف هو الذي يعطى البصيرة والعقل من الله تعالى - ويميّز بين الصواب والخطاء والنفع والضرر وكان ابو لهب كذلك فهو مكلف قطعا - ثم فعل النبيّ صلى الله عليه وسلم ليس الّا اراءة الطريق كما اشار اليه الله تعالى - في قوله انك لا تهدي من احببت ولكن الايصال الى طريق الحق هو فعل الله تعالى حقيقة - فاراءة سبيل الحق والارشاد اليه ليس تكليفا بما لا يطاق عليه - ثم التكليف بما لا يطاق جائز عند بعض والمراد به ان يمتنع الفعل لعلم الله بعدم وقوعه او علّة تعلق ارادته بذلك الفعل او اخباره بعدم وقوعه فانّ مثله لا تتعلق به القدرة الحادثة لان القدرة الحادثة لا توجد الا مع الفعل ولا تتعلق بالضدّين والتكليف بهذا جائز بالنظر الى امكانه في نفسه والّا لم يكن العاصي بفسقه وكفره مكلّفا بالايمان وتمام البحث مذكور في تفسير قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا الا وسعها - سيصلى نارا ذات لهب - قراء الجمهور بفتح الياء واسكان الصاد وتخفيف اللام اي سيصلى هو بنفسه النار اي سيحترق من صلى يصلى اذا احترق والصلاة والصلا اسم للوقود وصلّى بمعنى ادخل في النار

أَلَا يَا اسلمي يا هند هند بني بدر ... تحية من صلى فؤادك بالجمر

اراد انه قتل قومها فاحرق فؤادها بالحزن عليهم ومنه قوله تعالى - فسوف نصليه نارا اى ندخله - وفي الاية اخبار بالغيب بمعنى ان ابالهب سيدخل نارا ذات لهب في الاخرة - وَامْرَاَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ - اسمها ام جميل بنت حرب عوراء اخت ابى سفيان وعمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن سيرتها انها تخرج ليلا الى الغابات والبرادي وتاخذ شوكا شوك العضاه وحطبا فتجعلها حزمة وتاتى حمالة الى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم - اضرارا له - حكى ان طالب بن ابى طالب دخل على معاوية فقال له معاوية ما يفعل عمك ابولهب في النار - قال يفترش نعمتك في النار - وقيل معنى حمالة الحطب انها تمشى بالنميمة بين الناس - ومن ذلك قول الشاعر -

من البيض لم تصطد على ظهر لامة ... ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

النميمة من حطب فلان بفلان سعى به - قال ابو حيان معناه حمالة الخطايا والذنوب وهو قول ابن جبير - قال ابن عباس وصار ذلك لقبا لها - قرأ الجمهور حمالة الحطب بالرفع بتقدير انه خبر مبتدأ محذوف اى هى حمالة الحطب او صفة لامراته - وقرأ عاصم وحفص بالنصب على الذم - وعلى تقدير كونه لقبا صار معرفة يجوز فيه الرفع لانه بدل او عطف بيان لقوله امراته كذا قال ابو حيان - فِيْ جِيْدِهَا - اى في عنقها يوم القيامة حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ - المسد بالتحريك الليف وقيل حبل من ليف وخوص او شعر او وبر او صوف او جلود الابل او من اى شيء - قال الزجاج جاء في التفسير انها سلسلة طولها سبعون ذراعا تسلك بها في النار - وقال ابن السكيت

يقال مسد الحبل مسدا اذا اجاد فتله قيل ولقد عيّر بعض الناس
عتبة بن ابی لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي عما تعيّر من حمالة الحطب
غرّاء شادخة في المجد سامية كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

الشادخة متسعة الجبين۔ ذكر المفسرون لما سمعت ام جميل هذه
السورة اتت ابا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
بيدها فهر فقالت بلغني ان صاحبك هجاني ولافعلن واعمى الله تعالى
بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم۔ فروي ان ابا بكر رضي الله عنه
قال هل ترين معي احدا قالت اتهزأ بي لا اري غيرك وان كان
شاعرا فانا مثله اقول

مذمما ابينا ۔ ودينه قلينا ۔ وامره عصينا

فسكت ابو بكر رضي الله عنه ومضت هي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم۔ لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرها۔ وفي رواية
اسماء عن ابي بكر رضي الله عنه اقبلت العوراء ام جميل ولها ولولة وفي
يدها فهر وهي تقول ؛ مذمما ابينا ؛ الخ ورسول الله صلى الله
عليه وسلم۔ جالس في المسجد معه ابو بكر رضي الله عنه فلما راها
ابو بكر قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقبلت وانا اخاف عليك
ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم۔ انها لن تراني وقرأ قرانا
اعتصم به كما قال الله تعالى۔ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا۔ فاقبلت حتى وقفت على ابي بكر
ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اني اخبرت ان

صاحبك هجاني قال ورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها - كذا روي ابن ابي حاتم انتهى ما ذكر ابن كثير والفهر الحجر الذي يملأ الكف - اقول ان هذا الحديث صحيح باعتبار الرواية لكن فيه شيئًا - الاول مخافة ابي بكر الصديق رض منها وقوله اني اخاف عليك، والثاني مخافة رسول الله صلى الله عليه وسلم - من فهوها وقال لن تراني وقرأ قرآنًا اعتصم به وفي رواية البزار انه قال ابو بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم - او تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - سيحال بيني وبينها - وكل ذلك يدل على مخافة رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ومثل هذه المخافة لا تليق بشان النبي صلى الله عليه وسلم - والله اعلم وعلمه اتم - تم تفسير هذه السورة فالحمد لله الذي جعل نبيه بشيرًا ونذيرًا - والصلوة عليه بكرة واصيلًا - وعلى اله واصحابه ما دام الشمس طلعت والقمر منيرًا

سورة الاخلاص وهي اربع آيات مكية

وفضائلها كثيرة روي ان قراءتها تعدل ثلث القرآن رواه الامام احمد في مسنده

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد - وفي سبب نزولها اخرج الامام احمد في مسنده عن ابي ابن كعب رضي الله عنه ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم - يا محمد

النسب لنا ربك فانزل الله تعالی - قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ اَللّٰهُ الصَّمَدُ لَمْ یَلِدْ وَلَمْ یُوْلَدْ وَلَمْ یَکُنْ لَّهٗ کُفُوًا اَحَدٌ - و کذا روی الترمذی و ابن جریر وغیرهما و ذکر ابو حیان روی عن ابن عباس رضی الله عنهما ان الیهود قالوا یا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت اقول وهذا غریب لان اکثر الاحادیث تدل علی ان هذا السؤال کان من المشرکین او من قریش و بعضها یدل علی ان اعرابیا جاء النبی صلی الله علیه و سلم وسأل ذلك - ولان اهل الکتاب کانوا یعلمون ان الله جل شانه متعال عن النسب - الا ان بعضا من اهل الکتاب سأل رسول الله صلی الله علیه و سلم تعنتا او امتحانا بانه یا محمد من خلق الخلق قال الله فقالوا من خلق الله فغضب النبی صلی الله علیه وسلم - فنزل جبریل علیه السلام - فسکنه وقال واخفض جناحك یا محمد فنزل قل هو الله احد فلما تلاه قالوا صف لنا ربك کیف عضده و ذراعه فغضب اشد من غضبه الاول فاتاه جبریل علیه السلام بقوله وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهٖ - و انما سألوا ذلك لان مذهبهم التشبیه وروی عن ابن عباس رضی الله عنه قال قدم وفد نجران فقالوا صف لنا ربك أمن زبرجد او یاقوت او ذهب او فضة فقال ان ربی لیس من شیء لانه خالق الاشیاء فنزلت قل هو الله احد - قالوا هو واحد وانت واحد فقال لیس کمثله شیء - قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا زدنا فنزل لم یلد کما ولدت مریم ولم یولد کما ولد عیسی ولم یکن له کفوا احد ولهذه السورة اسماء کثیرة منها - سورة التوحید وسورة النجاة وسورة الولایة وسورة النسبة وسورة المعرفة وسورة النور وغیرها - و هو ضمیر غائب لا یعتبر

بغیب الهویة و لها مراتب الاولى هي الاحدیة و هي التي تجامع الشئون
السلبیة لان المراد بها کون هذه الحقیقة منزهة عن انحاء الصفات التي
یمکن وجودها في الخارج - و الثانیة هي الوحدة المطلقة وهي الذات التي
نعتت ببعض الصفات الثبوتیة کالعلم والنور مثلا وتسمى بالتعین الاول
و الثالثة هي الواحدیة وهي الذات التي اعتبرت بها الصفات الثبوتیة
کلها و هي مرتبة الجمع وتسمى بالالوهیة فالله علم لذات احدیة جامعة
لجمیع الصفات فالضمیر الغائب الذي هو الاحدیة هو الله تعالى و هو
مبتدأ و خبره هو الله تعالى - و قال بعض الاعراب انه ضمیر الشان فیکون
الله مبتدأ وخبره احد - قال الزجاج و في الکلام تقدیره هو ان الذي
سألتم عنه هو الله تعالى - ثم الفرق بین الاحد و الواحد هو ان الاحد
شيء بني لنفي ما یذکر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح العدد لان
احدا یصلح في الکلام في موضع الجحود و واحد في موضع الاثبات یقال
ما اتاني منهم احد فمعناه لا واحد اتاني و لا اثنان و اذا قلت جاءني
منهم واحد فمعناه انه لم یاتني منهم اثنان - وهذا معناه اذا لم یضف الى
شيء فاذا اضیف الى شيء قرب من معنى الواحد - و حاصل معناه ان
الاحد هو الفرد الذي لم یزل وحده و لم یکن معه اخر - قرأ عبد الله
و ابي بن کعب رضي الله عنهما هو الله احد بغیر قل - ذکر صاحب الکشاف
و في قراءة النبي صلى الله علیه وسلم الله احد بغیر قل هو - وقال من قرأ
الله احد کان بعدل القرآن و قرأ الاعمش هو الله الواحد وذکر المبرد
في الکامل قل هو الله احد الله الصمد بغیر تنوین احد اسقط للا فانه

الساكنين - اقول و ما جميع ما ذكر من القراآت ليست من السبعة والعشرة بل هي شاذة لا يجوز قراءتها في الصلاة - اَللّٰهُ الصَّمَدُ - من صمد اليه اذا قصده والصَّمَدُ بالتحريك السيّد المطاع الَّذِي لا يقضى دونه امر - و قيل الذي يُصْمَدُ اليه في الحوائج اي يقصد قال الشاعر -

أَلَا بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ   بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وا يروى بخير بني اسد و انشد الجوهري

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ   خُذْهَا حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

كذا ذكر صاحب اللسان - قال ابو عمر الصَّمَدُ هو الذي لا يأكل ولا يشرب و هو قول الشعبي - و الامام الرازيّ طوّل الكلام في معناه - و قال البجلي الصَّمَدُ هو الذي يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد انتهى و هذا المعنى مطابق بما قاله اهل اللغة لانّ السيّد المطاع الذي لا يقضى دونه مختار في امره ما يشاء - و من لم يكن كذلك لكان اما موجبًا و اما ممكنا و الثاني باطل لانّ من كان ممكنًا فهو محتاج في نفسه فلا يكون قادرًا على قضاء حوائج غيره و الاول ايضًا باطل لانّه يلزم منه ان يكون مضطرًا في اصل افعاله كالنار للاحراق مثلاً فيكون فعله طبعيًا و الفعل الطبعيّ ليس محمودًا و لا مذمومًا اما تكرير لفظ الله في قوله الله الصّمد فاما للتعظيم و اما للالتذاذ اذ الحاصل في ذهن المحبين الطالبين لوجه الله كما في قول قيس العامري

تَاللّٰهِ يَا ظَبْيَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا   أَلَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

او لانّ الصّمديّة لا تكون نعتًا الا للالوهيّة و لذلك ذكر الصّمد بحرف التعريف الذي يخصّص المعرّف بالصفة الالوهية و لم يكن كلمة اصل لام التعريف لانّ العرب كانوا جاهلين و لا يعرفون الحقيقة الاحديّة

بل انهم يعتقدون ان الحقيقة الالوهية متعددة في نفسها فلم يناسب اتيان هذه اللفظة بالتعريف فلذلك نكرها وبالجملة ان الاحدية المحضة والصمدية الساذجة توجبان ان الحقيقة المعبرة بالالوهية متنزهة عن كل صفة ممكنة موجودة في حقائق المجردات والجسمانيات فاستحال ان تكون والدا ومولودا ولذلك قال تعالى لم يلد ولم يولد

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ - اى لم يلد كما ولدت مريم عليها السلام ولم يولد مثل عيسى عليه السلام - وهذا رد لما قالت الكفرة كما قال مشركوا العرب الملائكة بنات الله وقالت اليهود ان عزيرا ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله - الا انه لم يكن من هذه الكفرة احد من يدعى ان له والدا - فرد هم الله تعالى لان هاتين الصفتين من خواص الاجسام وكونه تعالى جسما وجسمانيا باطل فهاتان الصفتان بالنسبة اليه تعالى باطلتان

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ - الكفء والكفوء على فعل وفعول والمصدر الكفاء والكفاءة بالمد والفصر كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

ومعناه لا نظير له - قال الزجاج وفي الكفوء اربعة اوجه منها ثلاثة كُفُوٌ بضم الكاف والفاء وكفأ بضم واسكان الفاء وكفأ بكسر الكاف وسكون الفاء وقد قرئ بها وكفاء بكسر الكاف والمد ولم يقرأ بها ومعناه لم يكن احد مثلا لله تعالى - وقرأ ابن كثير ابن عامر وابو عمرو البصرى والكسائى وعاصم متقلا مهموزا - وقرأ حمزة كفأ بسكون الفاء مهموزا واذا وقف قرأ كفا - بغير همز واختلف عن نافع

[illegible]

للصفات السلبية كلها فهي يشتمل نفي التوالد و الكفو وغيرهما و انما نص بنفي هاتين الصفتين لترديد اوهامهم الباطلة - و الكفو اذا اريد به المساوي في الذات و الصفات فهو باطل قطعًا لانه تعالى واجب بالذات و صفاته واجبة بها و اذا كان شئ مساويًا له لزم تعدد الواجب وهو باطل و اليه اشار الله تعالى ليس كمثله شئ اما الكفو لغةً فهو يستعمل في انساب الناس و الحيوان و لو كان له تعالى كفوا لكان جسما و جسمانيا وهو باطل - و في اعراب هذه الاية وجهان الاولى ان قوله له خبر و كفوًا منصوب على الحال - و الثاني انه له متعلق بقوله كفوًا و الخبر كفوًا و قدم الظرف اي الجار و المجرور لمزيد الاهتمام لان الضمير في له يرجع الى الله تعالى قال صاحب الكشاف لان هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه و تعالى - هذا المعنى مصبه و مركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شئ و اعناه و احقه بالتقديم واحرٰه انتهى و هذا القول يدل على ان تقديم قوله له لاهتمام نفي المكافاة لا لكونه خبرا - لان الظرف اذا كان غير مستقر وجب تاخيره قال مكي ان سيبويه لم يمنع الغاء الظرف اذا تقدم - و انما اجاز ان يكون خبرًا و ان لا يكون خبرًا و يجوز ان يكون حالا من النكرة و هي احدًا لما تقدم نعتها عليها فيكون له الخبر على مذهب سيبويه - انتهى و قال صاحب الكشاف ان الظرف اذا كان غير مستقر لا يجوز الا تاخيره و قد نص سيبويه على ذلك في كتابه فلا يجوز تقديمه على الخبرية فما ذهب اليه مكي غير صحيح هذا و يلخص ما ذهب اليه الزمخشري و ح لم يبق لتقديم هذا الظرف وجه الا ما ذكره الزمخشري وهو اهتمام نفي المكافاة و المفسرون اختاروا قوله ولم يتفقوا ما قال

سيبويه حتى ان احمد المنير شنّع على سيبويه و قال انه سمع بعض الجفاة من العرب و جرى هذا الجلف على عادته فجفا طبعه عن لطف المعنى لكن لاجله تقديم الظرف مع الخبر على الاسم وهذا المشنّع ايضًا لم ينقل قول سيبويه و لم يراجع الى كتابه الا ان ابا حيّان نقل هذه المسئلة و تامّل في قوله ثم نقل ما قاله بعينه و قال قال سيبويه و تقول ما كان فيها احدٌ خيرًا منك و ما كان احدٌ مثلك فيها و ليس احد فيها خيرٌ منك اذا جعلت فيها مستقرًا و لم تجعله على قولك فيها زيدٌ قائمٌ اجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها زيدٌ قائمٌ نصبت فيقول ما كان فيها احدٌ خيرًا منك و ما كان احدٌ خيرًا منك فيها الا انك اذا اردت الالغاء فكلّما اخرت الملغى كان احسن و اذا اردت ان يكون مستقرًا فكلّما قدّمته كان احسن و التقديم و التاخير و الالغاء و الاستقرار عربي جيّد كثيرٌ قال الله تعالى و لم يكن له كفوًا احدٌ - و قال - مَا دَامَ فِيهِنَّ فَصِيلُ حَيًّا - انتهى قال ابو حيان و ما نقلناه ملخصًا و هو بالفاظ سيبويه - انتهى قول ابي حيّان - و بهذا القول يظهر انّ الظرف اذا كان غير مستقر يختار في تقديمه و تاخيره و كل ذلك احسن - فما ذهب اليه صاحب الكشاف ان الظرف اذا كان غير مستقر لا يجوز تقديمه مخالف لما ذهب اليه سيبويه - امّا تشنيع محشي الكشاف على سيبويه فهو مردود عليه و الظاهر ممّا ذهب اليه لا يحتاج الى سوال و لا جواب ذكرهما صاحب الكشاف و لا الى تاويل مكّي - فينبغي ان يقال ان كفوًا خبر لم يكن و له متعلقٌ بكفو - و ان جعل له خبرٌ و يقال لم يكن له احدٌ لا يصحّ الكلام - و كذا لو جعل كفوًا صفة لاحدٍ

بعون الله الملك العليم و الصلوة على نبيه و التسليم و على اله و اصحابه الذين ارشدوا الناس الى الدين القويم

سورة الفلق مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ - قال الفراء الفلق الصبح يقال هو ابين من فلق الصبح و فرق الصبح وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشي -

حَتّٰى اِذَا مَا انْجَلٰى عَنْ وَجْهِهٖ فَلَقٌ هَادِيْهِ فِيْ اُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ مُنْتَصِبٌ

وقال الزجاج الفلق بيان الصبح - وقال بعض العرب الفلق بسكون اللام الخلق وقد يقال بتحريكها الخلق كله ومنه قوله تعالى اِنَّ اللّٰهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى - اي خالقهما - وقال الزجاج و فالق الاصباح يجوز ان يكون معناه خالق الاصباح والاصل في الفلق هو الشق ويلزمه الظهور والبيان والخروج لانه اذا شق الشيء يظهر منه شيء ويخرج - فيكون المعنى على الاول قل اعوذ برب الصبح وعلى الثاني برب الفلق - واختلف في شان نزولها - فقالت عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى انه ياتي النساء ولا ياتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا - فقال يا عائشة اعلمت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال الذي عند راسي للاخر ما بال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد ابن اعصم رجل من بني زريق

حليف ليهود كان منافقا - قال وفيم قال في مشط ومشاطة - قال واين
قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان قالت فاتى البئر حتى
استخرجه فقال هذه البئر التي اريتها وكان ماءها نقاعة الحناء وكان
نخلها رءوس الشياطين رواه البخاري قالت عائشة رضي الله عنها فقلت
هل اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس منه
شرا او روي عن زيد بن ارقم مثله - اقول دل هذه الرواية على وقوع اثر
الطب على الانبياء عليهم السلام ولا بأس به عند العقل لكن المعتزلة انكروا
هذا القول لقوله تعالى - والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث
اتى - وتجويز اثر الطب عليهم يفضي الى القدح في نبوتهم - لان الانسان اذا كان
قادرا على اضرار النبي لعجز النبي في مقابلته ومقاومته فكيف يحصل غرض
البعثة - وهذا القول باطل - وجوابه ان هذه الرواية قد صحت عند اصحابها
فلا يجوز القدح فيها ويجوز تضرر النبي بامته على طريق النقل والعقل اما على طريق
النقل فكما ذكر في القرآن في قصص نوح وابراهيم ولوط وعيسى وزكريا و
يحيى عليهم الصلوة والسلام فان كل واحد منهم قد اذاه امته بل قتلت بعضهم
مثل يحيى وزكريا عليهما الصلوة والسلام - على ان الله تعالى ذكر في القرآن فلم
تقتلون انبياء الله - فاي شيء اشد ضررا من القتل اما على طريق العقل فيجوز
ان يعصم الله نبيه في تبليغ شرائعه واحكامه من الجن والانس اما الاضرار
ببدنه فهو ليس ببعيد كما قدمنا - واختلف في ان الرقى بالقرآن بل هي
بنحو تام لا فذهب ابن عباس وعلي وعثمان ابن العاص الثقفي وعائشة
رضي الله عنهم ان الرقى بالقران جائز وذهب ابن مسعود وجابر رضي الله عنهما
الى عدم جوازه واستدلا بقوله عليه الصلوة والسلام - ان لله عبادا لا يكتوون

لا یسترقون و علی ربهم یتوکلون - و ایضا روی ان رسول الله صلی الله علیه و سلم نهی عن الرقی - واجیب ان هذه الروایات لا تدل علی نهی الرقی بالقرآن بل تدل علی نهی الرقی التی یسترقون بها الاعراب و لا مریة فی کونها منهیة عنها - اما التوکل علی الله فهو مرتبة فوق مرتبة التجویز فمن توکل علی الله فی جمیع الامور و لا یسترقی بالقرآن ایضا فهو اعلی و افضل ممن یسترقی به

اما اضافة الرب الی الفلق فمعناها انه رب الخلق کما قدمنا - من شر ما خلق قال عطاء عن ابن عباس المراد بالشر و الشر قد یکون اختیاریا و منشاه الشعور فیصدق هذا القسم علی ابلیس و جنوده و سائر الحیوانات المؤذیة و قد یکون لا اختیاریا فهو اما ان یکون طبعیا کاحراق النار و اهلاک السموم و قد یکون اضطراریا کقتل الانسان نفسه فی وقت الحمیة و الانفة و کل ذلک شر خبیث و الشر الاختیاری علی قسمین الاول هو الذی منشاه شعور جزئی و هو شرور الحیوانات کافتراس السباع و لدغ ذوات السموم و الثانی هو الذی منشاه شعور کلی کشرور الانسان و الجن فالشر الطبعی و الشر الذی منشاه شعور جزئی خارجان من دائرة المجازاة اما الشر الذی منشاه شعور کلی و ان کان اضطراریا واقع تحت الجزاء - قراء الجمهور من شر ما خلق باضافة شر الی ما و ما عام یدخل فیه جمیع من یوجد منه الشر من مکلف و غیر مکلف مثل افتراس السباع و الاحراق بالنار و الاغراق بالبحر - و قرأ عمرو بن فائد من شر بالتنوین - و قال ابن عطیة - و قرأ عمرو بن عبید من شر بالتنوین و ما خلق بالنفی - و هذه قراءة باطلة - لا اصل لها غیر مرفوعة الی ائمة هذا الفن - قالت المعتزلة ان الشر لیس بداخل تحت الخلق - و هو باطل نقلا و عقلا - اما الاول فلان الله تعالی قال فی القرآن الحکیم الله خالق کل شیء فاعلم

فالشر داخل تحت الشیٔ فوجب أن یکون داخلاً تحت الخلق - اما الثانی فلان الشر لو لم یکن داخلاً تحت الخلق لوجب أن یکون اما واجباً و اما ممتنعاً وهما باطلان لانه لو کان واجباً لزم تعدد الواجب وهو باطل ولو کان ممتنعاً لکان معدوماً محضاً لا یظهر منه فعل ولا اثر والظاهر خلافه لان له آثاراً کثیرة فی الخلق فلا یکون ممتنعاً فوجب أن یکون ممکناً وکل ممکن فهو محتاج فی وجوده الی الجاعل فالشر وجب ان یکون محتاجاً فی وجوده الی الجاعل - ومن شر غاسق اذا وقب - قیل الغاسق اللیل وقال الحسن الغاسق اول اللیل - قال الاخفش الغسق ظلمة اللیل وقال الفراء اول ظلمة وقیل هو القمر سمی به لانه یکسف فیغسق ای یذهب نوره ویسود ویظلم یقال غسق یغسق غسوقاً اذا اظلم وهو قول ابن قتیبة - قال ثعلب وجاء فی الحدیث ان عائشة رضی الله عنها قالت اخذ رسول الله صلی الله علیه وسلم بیدی ثم اطلع القمر و نظر الیه فقال هذا الغاسق اذا وقب فتعوذی بالله من شره لانه من شره اذا کسف وروی عن ابی هریرة انه الثریا وقال الزجاج الغسق البرد والغاسق هو اللیل لانه ابرد من النهار والغاسق البارد واستعیذ من شره لانه فیه تبث الشیاطین والهوام والحشرات واهل الفتن ومنه قول الشاعر،

یا طیف هند لقد ابقیت لی ارقا اذ جئتنا طارقاً واللیل قد غسقا

وقال ابن شهاب هو الشمس اذا غربت و ذهب اکثر اهل اللغة الی ان الغاسق هو اللیل وهو الصحیح و وقب معناه اظلم - و اقبل ظلامه - ومنه قول الشاعر

وقب الظلام علیهم فکانهم [illegible]

وَمِنْ شَرِّ النَّفّٰثٰتِ فِي الْعُقَدِ - النفث شبه النفخ دون تفل بريق - وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم - قال ان روح القدس نفث
في روعي - النفاثات والنوافث السواحر حين ينفثن في العقد بلا ريق
قرأ الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وكذا قرأ ابن عمر والحسن
وفي رواية يعقوب النافثات وابو الربيع النفثات بغير الف وكانت
السواحر ينفثن على عقد يعقدن في الخيوط والمبالغة بالنظر الى شدة
ولعهن في اثر يترتب سحرهن على من يريدن كونه مسحورا - قيل انها بنات
لبيد بن اعصم اليهودي - وقيل ان اليهود كانوا ساحرين - قال السحرة ان
السحر من النساء اشد تأثيرا من السحر لرجال لانهن اشد اعتقادا في
امثال هذه الامور من الرجال وذلك لجهلهن من العلوم الحقيقية
وخلوهن من اليقينيات فيكون السحر اوقع تاثيرا منهن - وَمِنْ شَرِّ
حَاسِدٍ اِذَا حَسَدَ - والمراد بالحاسد الحاسد المطلق سواء كان من الجن
او من الانس والاشبه ان يراد به الشيطان لانه اشد حسدا على الانسان
من غيره لانه يسعى دائما في ازالة عبادات الانسان وحسناته ويغوي
على اكتساب السيئات واقتراف المعاصي - قال عمر بن عبد العزيز رض لم ار
ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد - روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اخبره بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فنزحوا ماء البئر
كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راس
واسنان من مشطه واذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة
بالابر فانزل الله تعالى السورتين اي المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت

الاخيرة فقام كانما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك من حاسد وعين الله يشفيك تم تفسير هذه السورة فالحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد واله واصحابه اجمعين

سورة الناس ست آيات قيل هي مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس - قرأ الجمهور بترك الامالة وقرأ ابو عمرو البصري بها روى المنذري عن ابي الهيثم انه سأله عن الناس ما اصله فقال الاناس فالالف فيه اصلية ثم زيدت عليه اللام للتعريف واصل تلك اللام ابدا الا من احرف قليلة مثل الاسم والابن وما اشبههما من الالفات الوصلية فلما زادوها على اناس صار الاسم الاناس ثم كثرت في الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها فتركوها وصار الباقي الناس بتحريك اللام بالضمة فلما تحركت اللام والنون ادغموا اللام في النون فقالوا الناس فلما طرحوا الالف واللام ابتدأوا الاسم فقالوا ناس قال الازهري وهذا الذي قاله ابو الهيثم تعليل النحويين - والناس والانسان واحد والمراد به الكون الجامع الذي يحيط به جميع مراتب الوجود ومرآت الانوار الذات فليس في مخلوقه اعلى واشرف منه ولذلك قال برب الناس والملك وان كان اصفى خلقة واسنى فطرة منه الا انه لنسخ في

مرتبة الجمع كما هو محقق عند اهل البصيرة - ومعنى برب الناس مربيهم
باقاضة مصالحهم الكونية وايصال منافعهم الالهية ثم تعليم لتعوذ
هذه اية جزيلة من الله لرجوع العبد من البعد الى القرب لان من اعاذه
الله تعالى فقد قرب ومن قرب منه فقد وصل مَلِكِ النَّاسِ - اى مالكهم
ومدبر امورهم سواء كانت دينية او دنياوية ولا يلزم من اضافته
الى الناس بانه ليس ملك غيرهم - لان هذه الاضافة لاثبات كرامة
الانسان وفضيلته على سائر مخلوقاته واذا كان الله عز اسمه ملك من
هو مكرم من الخلائق وافضلهم يجب ان يكون ملك من هو ليس منعوتا
بهذه الخطة العظيمة وهو عطف بيان لرب الناس بمعنى ان تربيته
اياهم ليست تربية اضافية بل هى تربية حقيقية لان تربية المالك
عبده محيطة بكل ما لا بد منه من اصلاح معيشته ومعاده - هذا
اذا كان الملك بمعنى المالك اما اذا كان بمعنى المتصرف الكامل فى
ملكه فهو ظاهر لان الله تعالى اذا كان جاعلهم ومحييهم ومميتهم ثم
رازقهم فهو متصرف فيهم قطعا - اِلٰهِ النَّاسِ - عطف بيان لقوله
برب الناس اى معبودهم كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فالاضافة ليست للاختصاص بل للشرف والكرامة كما نبهناك اولا وهذا
يدل على ان من كان رب الناس ملكهم بالقدرة التامة والامر ذاته
هو اله الناس حقيقة فالرب والملك حقيقة هو الله تعالى وهذا البيان
ترديد لاوهام الكفرة الذين اتخذوا اربابا من دون الله فهم جاهلون
لانهم لا يعرفون بان الربوبية والملكية لا تصح الا لمن كان منعوتا
بالالوهية - مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ - والاصل فى الوسوسة الصوت الخفى

من الوحي- وقد يراد بالوسواس الوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسواسا والوسواس بكسر الواو المصدر هو قول الفراء وبالفتح اسم له وقيل بالفتح هو الشيطان وقال الزجاج هو الشيطان ومعناه ذو الوسواس وانما ذكر باسم المصدر لقصد المبالغة نحو زيد عدل وهذا لكثرة وساوسه وتوفر خدائعه بالنسبة الى الانسان ومزيد اغوائه بسعة رحمة الله او بتسويل ان له امتدادا في عمره فيكون مجال للتوبة وكل ذلك اغواء ومخادعة نعوذ بالله من شروره ووساوسه فكان هاتين السورتين الكريمتين علتان دافعتان لوساوس الباطلة فنزولهما لهذا المطلب الشريف نعمة جزيلة ومنحة جليلة من الله تعالى - الخناس - وهو صفة الوسواس - روى ابو عبيد عن الفراء والاموي خنس يخنس خنوسا اذا تاخر وانقبض منه قول البعيث

وَصَهْبَاءَ مِنْ طُولِ الْكَلَالِ زَجَرْتُهَا   وَقَدْ جُعِلَتْ عَنْهَا الْاُخْرَةُ تَخْنُسُ

والصهباء الناقة - اى تتاخر - قال الازهري وانشد لي ابو بكر الايادي لشاعر قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فانشده من ابيات -

وَاِنْ دَحَسُوْا بِالشَّرِّ فَاعْفُ تَكَرُّمًا   وَاِنْ خَنَسُوْا عَنْكَ الْحَدِيْثَ فَلَا تَسَلْ

وجاء في الحديث الشيطان يوسوس في قلب العبد فاذا ذكر الله خنس اى انقبض منه وتاخر قال الازهري وكذا قال الفراء - وقيل ان له راسا كراس الحية يجثم على القلب فاذا ذكر الله تنحى وخنس واذا ترك ذكر الله رجع الى القلب يوسوس نعوذ بالله منه فالخناس هو المتاخر بالمبالغة اي يكثر في التاخر ثم يرجع الى الوسوسة مرة بعد اولى وكرة بعد اخرى ويحوم حول قلب الانسان من خلفه وقدامه ويمنه و

يسارِه ليوسوسه ويرجعه الى الخيالاتِ الفاسدة والخطرات المهيّجة للسيّات بل يجري في بدن الانسان مجارى الدّم لكونه من الاجسام الهوائية المارجيّة فلا مزحل منه الا بذكر الله تعالى - لانّه للوسوسة كالنّار للحطب اليابس ويجب على الذاكرين ان يبدأوا بهاتين السورتين وبالتعوذ قبل الذكر ليحصل له الامان من تسويلاته الكاذبة ونزغاته المهلكة

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ - صدر الشئ اعلاه وجمعه صدور ولا يكسّر على غير ذلك وهو مذكر وانّما انّثه بعض الشعراء باعتبار كونه مضافًا الى المؤنث ومنه قول الاعشى -

وَتَشْرَقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ اَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

والصدور غير القلوب كما قال الله تعالى ولكن تعمى القلوب الّذي في الصدور لكن المراد بالصدور في هذا المقام هي القلب على طريق المجاز المرسل والضمير في يوسوس يرجع الى الشيطان وانّما يقدر على الاغواء والوسوسة لكونهم غافلين عن ذكر الله واشتغالهم في امورهم عنها قال بعض العقلاء المراد بالوسواس هو القوة الوهميّة المخترعة لصور بديعة واشكال عجيبة وهو تاويل بارد موافق لمذهب الطبعيين والاصح عند العلماء انّ الالفاظ تدلّ على معانيها الحقيقية عند التبادر وعرائها عن القرنية الصارفة عنها واذا وجدت قرنية صارفة عن المعاني الحقيقة او في ارادتها محال عقلي يخالفه الشرع يجوز ارادة المعنى المجازي الذي يطابقه نص أخر او حديث صحيح اسند الى رسول صلى الله عليه وسلم امّا التاويل العقلي الغير المطابق بنص كذا او حديث كذا فهو مردود عند اهل الحق لانه خروج عن [illegible]

بالوسواس باطل - و الذي في محل الجر و النصب بتقدير اذم او الرفع
ای هو الذي - مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ - بیان للوسواس او للذی و متعلق
بقوله یوسوس ای من جهة الجنّة والناس - و قال ابو حیّان و مِن للتبعیض
ای کائنا من الجنّة و الناس فهی موضع الحال ای ذلک الموسوس هو
بعض الجنة و بعض الناس - انتهی و المراد بالجنّة ذریّة ابلیس فانهم
الموکلون باولاد آدم علیه السّلام فانه ما من احد من بنی آدم الا وله
قرین یزین له الفواحش ولا یألوه جهداً في الخبال و هؤلاء القرناء کانوا
للانبیاء علیه السّلام الا انهم یطیعونهم کما قال الله و کذلک جعلنا
لکل نبی من شیاطین الانس والجن یوحی بعضهم الی بعض زخرف القول غرورا
و الیه اشار النبیّ صلی الله علیه و سلم حیث و انت یا رسول الله قال
نعم الا ان الله اعانني علیه فاسلم فلا یامرني الا بخیر - والمراد بشیاطین
الانس هم الذین یحرّضون النّاس الی معصیة و یزیّنونها فی اعینهم
و هم قسیم لشیاطین الجنّ - قال الامام الرازی ان المستعاذ منه فی سورة
الفلق ثلثة انواع الغاسق و النفّاثات والحاسد و المستعاذ به واحد
و هو الربّ فکان الصّفة الربوبیة تکفی بنفسها الاستعاذة من هذه
الاشیاء و فی هذه السورة المستعاذ منه واحد و هو الموسوس و المستعاذ
به هو الله تعالی الا انّه ذکره بثلث صفات الربوبیّة و الملکیّة و الالوهیة
فذکر المستعاذ به بهذه الصفات الکاملة یدل علی قوّته و عظمته و کسر
المستعاذ منه و تذلیله اقول و لا یخفی علی الفطن المتدرّب ان اوّل الکلام
فی القران بسم الله ای اسم الله تعالی - و اخره و الناس - فکانّ دائرة
الوحدة ابتدأت من نقطة الالوهیة و امتدّت ... علی نقطة

العبودية فليس في الوجود شيء الا هاتين نقطتين و نقطة العبودية
وان كانت نقطة الاختتام الا انها منطوية في نقطة الالوهية
فلا يرى الا دائرة الوحدة فالحمد لله الذي هو الاول والآخر
والظاهر والباطن وهو بكل شيء محيط ط تم المجلد الرابع من تفسير
لوامع البيان - فالحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان
والصلوة والسلام على من ارسل الى كافة الانس والجان
وعلى آله واصحابه الذين هم خير من
نطق بالقرآن

خاتمة طبع تفسير لوامع البيان

الحمد لله الذي هو بارئ النسم وسابغ النعم - والصلوة والسلام
على محمد سيد الانام الذي آتاه الله جوامع الكلم وآله لاسيما على
الامام الهمام هو امام الانام خليفة الله الملك العلام السيد محمد
المهدي الموعود عليه الصلوة والسلام وعلى اصحابهما البررة
الكرام

اما بعد يقول المرتضى بن شريف الحسيني المهدوي

ان الله عز وجل خلق لهذا الدين رجالا اخذوا كتاب الله الكريم وسنة
رسوله الذي خلق على خلق عظيم حتى اصلحوا بهما احوال الناس من
المعاش والمعاد وهدوهم الى سبيل الرشاد فمنهم الامام العلام الحبر الفهامة العلامة
بحر العلوم واشرف بن على الحسينى المهدى والحيدرآبادى فانه صنف كتبا كثيرة فى فنون الدين لا
سيما اسفرا كبيرا سماه بلوامع البيان فى تفسير القرآن فانه كشف فيه القناع عن وجوه المعانى
وبالغ فى توجيه نكاته على اساليب الادباء مع حسن التفسير والتاويل فلما صرف همتنا
جهدنا الى اشاعة الجزء الاخير منه اعاننا فى طبعه الماجد الكريم صاحب النشر ف
التليد والقديم النواب ابن النواب محمد بهادر خان سلمه الله الكريم المنان قبل فى طبع ذلك
الجزء همته حتى كمل طبعه وانشاؤه وذلك فى اوسط ربيع الاول من عام ثمان واربعين بعد الالف
وثلثمائة من الهجرة النبوية عليه الف الف صلوة وتحية فجاء بحمد الله ما يروق به الانظار
ويقر به عيون اولى الابصار فالمسئول من الله تعالى ان يوفقه فى اعانة
امور الدين ويكشف على قلبه حقائق معانى القرآن فانها اصل الدين ونوال اليقين

فہرست الجزء الثلاثون من تفسیر لوامع البیان فی تفسیر القرآن